

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

مكتبة الإمام ابن القيم العامة بالرياض (١١)

جُزْءٌ فِيمَا

امْتِحَانُ السُّنَنِ مِنَ الْبَدْءِ إِلَى

الْأَفْءِ

أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الْوَالِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّيْرَازِيُّ الْقُدْسِيُّ

المتوفى سنة ٤٨٦ هـ
رحمته الله تعالى

حَقَّقَهُ وَدَرَسَ مَسَائِلَهُ

د. فهد بن سعد بن إبراهيم المقرئ
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالرياض

دار الإمام مالك
الرياض

رَفَعُ

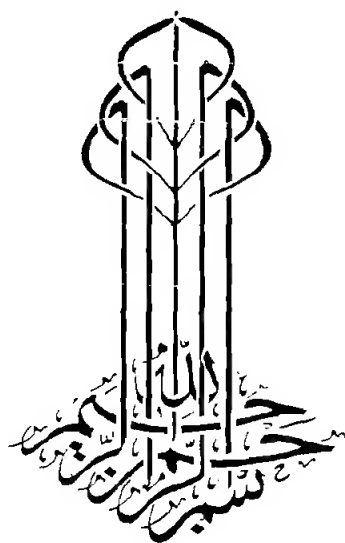
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

جزء فريد

امتحان السنني من البديعي



رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

سلسلة إصدارات مكتبة الإمام ابن القيم العامة بالرياض (١١)

رفع
عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

جزء فيه

امتحان السنني من البديعي

ألفه
أبو الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي القندي
المتوفى سنة ٤٨٦ هـ
رحمة الله تعالى

حققه ودرست مسأله
د. فهد بن سعد بن إبراهيم المقرن
الاستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالرياض

دار الإمام مالك
ابوظبي

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

حقوق الطبع محفوظة
ملكبة ابن القيم العامة بالرياض
ت: ٤٢٥.٩٩ - ١ / ٤٢٥٥٩٩ - ١
الرياض ٣١٨٠ - ص.ب. ١١٤٧٧

مكتبة وتسجيلات
دار الإمام مالك
أبو ظبي

الإمارات العربية المتحدة
أبو ظبي شارع النصر مقابل المجمع الثقافي
هاتف: ٠٠٩٧١٢-٦٢١٧٠٠١
فاكس: ٠٠٩٧١٢-٦٢١٧٠٠٣
ص.ب: ٣٧٤٦١

البريد الإلكتروني : malikbook@maktoob.com

(الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١) .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣) .

أما بعد :

فإن أحسن الكلام كلام الله سبحانه وتعالى ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، آية: ١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١ .

ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فلا ريب أن الاشتغال بنشر كتب أهل العلم من أعظم القربات وأولى المهمات وخاصة تلك الكتب التي تعنى بعقيدة أهل السنة والجماعة، وتسير على خطى السلف الصالح في الاعتقاد، ومكتبتنا الإسلامية زاخرة بتلك الكتب والله الحمد.

فيتعين على طلاب العلم اليوم بذل الجهد في نشر كتب السلف نشرًا مفيداً، يخدم تلك الكتب ويسهم في تسهيل وصولها إلى كل فرد مسلم في أصقاع الأرض.

وفي هذا الزمان الحاجة ماسة إلى نشر عقيدة أهل السنة والجماعة خاصة في ضوء المتغيرات الحضارية التي لم تكن في الحسبان.

فتقدم وسائل الاتصال والمعرفة، يسر لكل ناعق وصاحب هوى وضلال أن يوصل صوته إلى كل فرد من أفراد العالم عبر ما يسمى بالفضائيات أو ما يسمى بشبكة الحاسب الآلي [الإنترنت]، فأصبح العالم قرية صغيرة ما يحدث في شرقه يسمع في غربه في لحظات معدودة فأختلط الحابل بالنابل، وصار كل صاحب فكر ضال يدعي لنفسه الحق وحماية الدين، وأكثر الناس لا يملكون القدرة على التمييز بين الحق والباطل، فالواجب اليوم على طلبة العلم أكثر مما كان قبل، والغزو اليوم أشد ضراوة وفتكاً مما مضى، ولا بد من حماية العقيدة وإحياء منهج السلف الرشيد الذي أوصانا به نبينا فقال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الرشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ،

وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).
ولا نجاة للناس مما هم فيه، ولا حل لمشكلات العالم إلا
بالرجوع إلى الكتاب والسنة واقتفاء منهج السلف في كل صغيرة
وكبيرة.

فالحاجة شديدة إلى نشر كتب السلف في ضوء كثرة الانحرافات
العقدية التي وقع فيها المسلمون في هذا الزمان، ومساهمة مني في
القيام بواجب نصره الدين وقع اختياري على هذه المخطوطة التي جرى
فيها مؤلفها الإمام أبو الفرج عبدالواحد بن محمد الشيرازي على نهج
السلف في النصيحة لعامة المسلمين، وتحذيرهم من البدع
والمبتدعين.

فصنف هذا الجزء الفريد في نوعه ومضمونه وموضوعه، ولكون
هذه المخطوطة لم تنشر من قبل مع أهميتها وأهمية موضوعها، ولكون
نشرها من قبل غير المختصين بدراسة هذا العلم قد يسيء للجزء، ولا
يحقق الفائدة المرجوة منه، قدمتها موضوعاً لرسالة الماجستير في
العقيدة والمذاهب المعاصرة بعنوان:

[جزء فيه امتحان السني من البدعي تحقيقه ودراسة مسأله]

فلهذه الأسباب ولغيرها وقع اختياري على هذا الموضوع.

(١) أخرجه أبوداود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٨١٦)، وقال حديث حسن.

خطة البحث

المقدمة: وتشمل أهمية البحث، وأسباب اختيار الموضوع ورسم
الخطة والمنهج المتبع.

القسم الأول: الدراسة، وفيها ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمة المؤلف، وفيه مبحثان.

المبحث الأول: عصر المؤلف، ويتضمن ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة العلمية.

المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثاني: حياة المؤلف، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.

المطلب الثاني: رحلاته وجهوده، في نشر مذهب الإمام أحمد بن

حنبل - رحمه الله تعالى -.

المطلب الثالث: عقيدته وعبادته وزهده.

المطلب الرابع: شيوخه.

المطلب الخامس: فقه المؤلف واختياراته الفقهية.

المطلب السادس: ذريته وتلاميذه وسنة وفاته.

الفصل الثاني: منهج المؤلف في جزئه وتقويمه، وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول: وصف النسخ الخطية.

المبحث الثاني: توثيق نسبة الجزء للمؤلف.

المبحث الثالث: سبب تأليف الجزء.

المبحث الرابع: منهج المؤلف في جزئه.

المبحث الخامس: تقويم الجزء.

الفصل الثالث: حكم امتحان الناس في عقائدهم.

القسم الثاني: تحقيق الجزء ودراسة مسائله.

المنهج المتبع في تحقيق الجزء:

حيث إنني لم أعثر للجزء إلا على نسخة خطية واحدة، اعتمدتها نسخة أمّا، ونسخة أخرى مختصرة، التزم مختصرها بلفظ المؤلف غالباً، واختصاره لها اقتصر على حذف النصوص التي استدل بها المؤلف، فكتب على طرتها:

[مسائل الامتحان لأبي الفرج عبدالواحد بن محمد الشيرازي بغير الأدلة في أصول السنة] فكان منهجي في التحقيق الآتي:

أولاً: جعلت النسخة الكاملة أصلاً، وأقارنها بالنسخة المختصرة وأضع الفروق في الهامش.

ثانياً: كتابة المخطوط وفق الرسم الإملائي، ووضع علامات الترقيم.

ثالثاً: عزو الآيات إلى سورها وأرقامها.

رابعاً: تخريج الأحاديث الواردة في الجزء، ومنهجي في تخريج الأحاديث عدة أمور:

الأمر الأول: إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإنني أخرجه منهما، وأذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث، وأكتفي بذلك عما سواهما غالباً.

الأمر الثاني: إذا لم يكن الحديث في الصحيحين، فإنني أتوسع في تخريجه حسب الاستطاعة، وأنقل أقوال الأئمة في الحكم على الحديث إن وجدت ذلك، وأجتهد في الحكم فيما لم أجد لأهل الحديث فيه كلام حسب القدرة والاستطاعة.

خامساً: التعريف بالفرق الواردة في الجزء.

سادساً: التعريف بالمصطلحات الواردة.

سابعاً: أضع عنوان المسألة في أعلى الصفحة.

أما المنهج المتبع في دراسة المسائل فهو الآتي:

أولاً: أفرد متن المسألة في صفحة مستقلة ثم أعقبها بدراسة المسألة في صفحة أخرى واضعاً عنوان في أعلى الصفحة [دراسة المسألة].

ثانياً: توضيح المقصود من المسألة بنقل كلام العلماء فيها، وذكر بعض الأدلة التي لم يذكرها المؤلف زيادة في البيان.

ثالثاً: توثيق ما ينسبه المؤلف من الأقوال للفرق المخالفة لاعتقاد أهل السنة والجماعة.

رابعاً: أقرر في كل مسألة ذكرها المؤلف عقيدة أهل السنة والجماعة بالأدلة من الكتاب والسنة.

خامساً: تعقبت المؤلف في بعض المسائل التي أخطأ فيها، ونسب فيها قولاً لقائل لم يقل به، أو أطلق عبارة تحتاج إلى تقييد أو أجمل عبارة حقها التفصيل.

سادساً: في شرح المسائل سلكت مسلك الاختصار الإيجاز وعدم الإطالة ما لم تستدع المسألة التفصيل والإطالة، وسعيت في دراسة المسائل إلى توضيحها بالأدلة من الكتاب والسنة. هذا هو منهجي في هذا البحث.

ولا يفوتني في نهاية هذه المقدمة أن أحمد الله - تعالى - وأشكره على ما أولانيه من نعم لا تعد ولا تحصى، وأسأله المزيد من فضله.

كما لا يفوتني أن أشكر من لهما حق الشكر بعد الله والداي أجزل الله لهما المثوبة، ورزقني برهما.

كما أشكر ولاية الأمر في هذه البلاد على ما يقدمون للعلم وطلبته من جهود جعلها الله في ميزان حسناتهم.

كما أشكر معالي وزير التعليم العالي د/ خالد بن محمد العنقري،
ومعالي الأستاذ د. محمد بن سعد السالم مدير جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية، ووكلاؤها وكلية أصول الدين.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني في هذا البحث، وفي
مقدمتهم فضيلة الدكتور عبدالكريم بن محمد الحميدي، المشرف على
الرسالة الذي لقيت منه كل عناية واهتمام أجزل الله له المثوبة.

وفضيلة الدكتور: يوسف بن محمد السعيد.

وفضيلة الدكتور: محمد بن عبدالرحمن الخميس.

كما أتقدم بالشكر لأخي الشيخ مقرن بن سعد المقرن.

وأخي الأستاذ: خالد بن سعد المقرن.

والشيخ: عبد العزيز بن إبراهيم الدخيل، والأخوة القائمين على

مكتبة ابن القيم العامة بالرياض على ما بذلوه من نصيح وتوجيه ومعونة
فلهم مني جزيل الشكر، وأسأل الله لي ولهم المغفرة والنجاة من النار،
هذا والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

(١١)

جزء فيه امتحان السني من البدعي

القسم الأول

الدراسة

رَفَعُ
عبد الرحمن النخري
أُسَلِّمُ (نَبِيَّ الْفَرْدَوَسِ)

الفصل الأول

ترجمة المؤلف

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة العلمية.

المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثاني: حياة المؤلف.

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.

المطلب الثاني: رحلاته، وجهوده في نشر مذهب الإمام أحمد.

المطلب الثالث: عقيدته، وعبادته، وزهده.

المطلب الرابع: شيوخه.

المطلب الخامس: فقه المؤلف، واختيارته الفقهية.

المطلب السادس: ذريته، وتلاميذه، وسنة وفاته.

الفصل الأول

ترجمة المؤلف

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المطلب الأول: الحالة السياسية:

عاش المؤلف في القرن الخامس الهجري، وقد تميز هذا العصر بعدم الاستقرار السياسي، فقد أدرك آخر عصر الخليفة العباسي القادر بالله ت ٤٢٢هـ وعهد الخليفة القائم بأمر الله ت ٤٦٧هـ، والمقتدي بأمر الله ت ٤٨٧هـ، وقد تمزقت دولة الخلافة العباسية إلى دويلات متناحرة.

الأمويون يحكمون الأندلس، والدولة الغزنوية تحكم خراسان والهند، وبنوبويه الرافضة يحكمون بلاد فارس، وامتد حكمهم إلى جنوب العراق حتى انتهى سلطانهم في عام ٤٤٧هـ وتلا ذلك نفوذ دولة السلاجقة، فقد عاصر المؤلف طغرل بك السلجوقي ت ٤٥٥هـ وألب أرسلان ت ٤٦٥هـ وملك شاة ت ٤٨٥هـ. ومصر يحكمها الفاطميون العبيديون.

وقد كان سلطان الخليفة العباسي ضعيفاً، وقد عانى من نفوذ السلطان البويهى من عام ٣٣٤هـ حتى عام ٤٧٧هـ وكان باستطاعة البويهيين القضاء على الخلافة العباسية إلا أنهم آثروا بقاءها ليستمدوا

من بقائها شرعيتهم إلا أن الخليفة القائم بأمر الله لما أحس بالخطر راسل السلطان السلجوقي يستنهضه على السير إلى العراق الذي أجاب دعوة الخليفة فدخل بغداد وأنهى بذلك ولاية بني بويه.

ثم بعد ذلك استمر نفوذ السلاجقة على الخليفة العباسي إلا أن الخليفة فضل انقضاء على دولة الرافضة البويهيين واستبدلهم بالسلاجقة السنيين^(١).

هكذا كانت الحالة السياسية في عصر المؤلف، عصر دويلات متناحرة على السلطة، عصر السطو على سلطان الخليفة العباسي وتجريده من مسؤولياته، مع الحفاظ على بقائه على عرش الخلافة اسماً والدعاء له بذلك على المنابر.

يقول ابن كثير وفي هذا السنة: «ووهى أمر الخلافة جداً، واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها، ومع هذا فليس له فيها نفوذ ولا كلمة تطاع»^(٢).

(١) انظر البداية والنهاية (٣١/١٢ - ٤٠) الكامل (٢٤٧/٧ - ٢٥٠) لابن الأثير.

(٢) البداية والنهاية (١١/١٨٤).

المطلب الثاني

الحالة العلمية

شهد عصر المؤلف ازدهاراً علمياً واضحاً يتمثل في وجود كثير من العلماء المتبحرين في مختلف العلوم.

ففي علم الحديث عاش في هذا العصر:

الحافظ أبوبكر البرقاني ٤٢٥هـ، والحافظ أبونعيم الأصبهاني ٤٢٨هـ.

والحافظ أبوذر الهروي ٤٣٣هـ، والحافظ أبو عثمان الصابوني ٤٤٩هـ.

والحافظ أبو نصر السجزي ٤٤٤هـ، والحافظ محمد بن علي الصوري ٤٤١هـ.

والحافظ أبو محمد بن حزم الأندلسي ٤٥٦هـ.

والحافظ أبو بكر البيهقي ٤٥٨هـ والحافظ الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ.

الحافظ أبو نصر بن ماكولا ٤٧٥هـ، وفي الفقه: الإمام أبو علي العكبري ٤٢٨هـ.

والقاضي أبويعلی ٤٥٨هـ وشيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي ٤٧١هـ وأبو الوفاء بن عقيل ٥١٣هـ من الحنابلة.

وأبو الفتح الرازي ٤٤٧ هـ وأبو الطيب الطبري ٤٥٠ هـ .
والبيهقي ٤٥٨ هـ الجويني ٤٧٨ هـ ، وأبو إسحاق الشيرازي ٤٧٦ هـ
من الشافعية .
وأبو الحسين القدوري ٤٢٨ هـ وأبو عبدالله الصميري ٤٣٦ هـ ،
وأبو عبدالله الدامغاني ٤٧٨ هـ من الحنفية .
وعبد الوهاب بن علي بن نصر ٤٢٢ هـ وأبو بكر بن العربي ،
وأبو الوليد الباجي ٤٧٤ هـ من علماء المالكية .
أما في علم التفسير : فقد برز الثعالبي ٤٢٧ هـ وأبو الحسن الحوفي
٤٢٩ هـ والواحدي ٤٦٨ هـ .
وفي علم الكلام : أبو الحسين البصري المعتزلي ٤٣٦ هـ من
المعتزلة .
وأبو جعفر السمناني الأشعري ٤٤٤ هـ والجويني ٤٧٨ هـ
وأبو القاسم القشيري ٤٦٥ هـ من الأشاعرة .
ومن مظاهر ازدهار العلمي في هذا العصر : انتشار المدارس ؛
ففي نيسابور كانت المدرسة البيهقية والسعدية ، وفي بغداد النظامية ،
وفي الشام المدرسة التاجية . ففي هذا الجو العلمي نشأ المؤلف
- رحمه الله تعالى - .

المطلب الثالث الحالة الاجتماعية

نتيجة لسوء الحالة السياسية سادت الحروب والاضطرابات، فالأمن يكاد ينعدم نتيجة للحروب المستمرة، وكذلك نتيجة لما يقوم به العيارون واللصوص خلال الاضطراب السياسي من نهب وسلب.

يذكر ابن كثير أحداث سنة ٤٢٤هـ فيقول: «فيها تفاقم الحال بأمر العيارين وكثر العيارون واستطالوا على الناس ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان لفساد البلاد»^(١).

وفي أحداث سنة ٤٢٨هـ يقول: «وفيها ثار العيارون... وانتشرت الشرور في البلاد جداً»^(٢).

كما حدثت فتن وصراعات بين أهل السنة والروافض في عام ٤٢٢هـ و٤٤١هـ و٤٤٣هـ.

وكان الرافضة يدعمهم بنو بويه، والخليفة العباسي يساعد أهل السنة ويؤازرهم.

يقول ابن كثير: في سنة ٤٤٣هـ في صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة فقتل من الفريقين خلق كثير، وذلك أن الروافض

(١) البداية والنهاية (٣٥/١٢).

(٢) البداية والنهاية (٤٠/١٢).

نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب: محمد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر، فأنكرت السنة إقران علي - رضي الله عنه - مع محمد - ﷺ - في هذا فنشبت الحرب بينهم واستمرت الفتنة إلى ربيع الأول»^(١).

كما وقعت فتن بين الأشاعرة والحنابلة، يقول ابن كثير في أحداث سنة ٤٤٧ هـ:

«وفيها وقعت الفتنة بين أهل السنة والرافضة على العادة فاقتتلوا قتالاً مستمراً، ولا تمكنت الدولة أن تحجز بين الفريقين، وفيها وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة، فقوي جانب الحنابلة قوة عظيمة بحيث كان ليس لأحد من الأشاعرة أن يشهد الجمعة ولا الجماعات»^(٢).

بالإضافة إلى تلك الأحداث فإن الكندري وزير طغرل بك، السلجوقي خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان، فأذن في ذلك فأمر بلعنهم، وأضاف إليهم الأشعرية^(٣).

وكان المجتمع ينقسم إلى طبقتين إحادهما تعيش في ترف وبذخ، وهي طبقة الخلفاء، والأمراء، والوزراء، والأخرى تعيش في بؤس وفقر.

وانتشر في هذا العصر تجارة الرقيق، وامتلأت القصور به، وكثر

(١) البداية والنهاية (٦٢/١٢).

(٢) البداية والنهاية (٦٦/١٢).

(٣) انظر الكامل (٩٧/٨) لابن الأثير.

نس الجواري .

كما كان ذلك العصر يتميز بقوميات مختلفة من ترك، و فرس، وروم وزنج، فظهرت بينهم نعرات قومية .

ففي خضم هذا العصر عاش المؤلف وما من شك أن الإنسان يتأثر وينصبغ بأحداث عصره وزمانه .

* * *

المبحث الثاني حياة المؤلف

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده:

هو عبدالواحد بن محمد بن علي بن أحمد الشيرازي ثم المقدسي ثم الدمشقي الفقيه الزاهد السعدي العبَّادي الخزرجي .

قال ابن رجب في الطبقات^(١) عن نسبه: قرأت بخط بعض طلبة الحديث في زماننا، قال: أخرج إليّ شيخنا يوسف^(٢) بن يحيى بن عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب بن الشيخ أبي الفرج نسب جده، وهو أبو الفرج عبدالواحد بن محمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن يعيش بن عبدالعزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة، قال ابن رجب: كذا رأيته، ويوسف هذا أدركته، وسمعت منه جزاءً عن أبيه عن الخشوعي . ولكن قرأت بخط جده ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم^(٣) قال: كتبت إلى الشريف النسابة ابن الجواني كتاباً إلى مصر أسأله: هل نحن من ولد قيس بن سعد أو من أخيه فجاءني خطه في جزء يقول: قيس بن سعد انقرض عقبه، إنما أنتم من ولد أخيه عبدالعزيز بن سعد بن عبادة، ورفع نسب سعد بن عبادة إلى آدم - عليه السلام - .

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٦٨/٢) .

(٢) انظر ترجمته ص ٣٧ .

(٣) انظر ترجمته ص ٣٦ .

وهذا يدل على أن الناصح لم يكن يعرف نسبهم إلى سعد، ولا ذكر أن النسابة كتبت له ذلك، وإنما كتب له نسب سعد إلى آدم، وأيضاً فقد قال له: أنتم من ولد عبدالعزيز بن سعد بن عبادة وفي هذا النسب المذكور: عبدالعزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة، وهذا مخالف لما قال ابن الجواني.

لكن ذكر «الناصر» أنا أباه وجماعة من العلماء اجتمعوا ليلة عند السلطان صلاح الدين في خيمة مع الشريف الجواني هذا، فقال السلطان: هذا الفقيه يشير إلى والد «الناصر» - ليس في آباءه وأجداده صاحب صنعة إلا أمير أو عالم إلى سعد بن عبادة، وهذا يدل على أنه كان يعرف نسبهم إلى سعد بن عبادة، والله أعلم.

قال ابن مفلح عن نسبه واختلف النسَّابون في نسبته، والأشهر أنه من ولد سعد بن عبادة^(١).

ويتحصل مما سبق أن نسب المؤلف ثابت إلى سعد ابن عبادة وذلك بإقرار جميع من ترجم له، وعدم إنكار نسبه إلى سعد بن عبادة.

مولده:

ولد - رحمه الله - بحران^(٢)، ولم تذكر كتب التراجم التي بين يديّ سنة ولادته، ولكن ذكر أبوالحسين محمد بن أبي يعلى في طبقات

(١) المقصد الأرشد (١٧٩/٢).

(٢) الوافي بالوفيات (٢٧٤/١٩٠) للصفدي، وسير أعلام النبلاء (٥٢/١٩).

الحنابلة أنه صحب والده من سنة نيف وأربعين^(١).

وذكر الذهبي في السير أنه بدأ السماع بدمشق بعد الثلاثين وأربعمائة^(٢).

* * *

(١) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢/٢٤٨).

(٢) السيرة (١٩/٥٢).

المطلب الثاني

رحلاته وجهوده في نشر مذهب الإمام أحمد

كانت بداية رحلاته - رحمه الله - إلى بغداد حيث لازم إمام الحنابلة في وقته القاضي أبا يعلى، وتردد إلى مجلسه سنين عديدة وعلق عنه أشياء في الأصول والفروع ونسخ واستنسخ من مصنفاته^(١).

وسافر إلى الرحبة^(٢) وبيت المقدس، ونشر مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - فيما حول بيت المقدس^(٣) قال ابن رجب: «لما قدم الشيخ أبو الفرج بيت المقدس تسامع به الناس، فزاروه من أقطار تلك البلاد»^(٤).

ثم استقر به المقام في دمشق فنشر مذهب الإمام أحمد في دمشق، وتخرج به الأصحاب، واشتهر أمره فيها، وحصل له القبول التام^(٥).

أما عن جهوده في نشر مذهب الإمام أحمد فذكر أنه هو الذي نشر مذهب الإمام أحمد في بيت المقدس ودمشق^(٦).

(١) طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن ابن يعلى (٢/٢٤٨).

(٢) الرحبة تقع بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات أحدثها مالك بن طوق التغلبي في خلافة المأمون معجم البلدان (٣/٣٤).

(٣) المقصد الأرشد (١٨/٢).

(٤) ذيل الطبقات لابن رجب (٧١/١).

(٥) ذيل الطبقات لابن رجب (٧٠/١).

(٦) انظر ذيل الطبقات (٧٠/١) المقصد الأرشد (١٨/٢) الأنس الجليل (١/٢٩٧) اعبر (٢/٣٥٢).

قال العليمي «كان أبو الفرج ناصراً لمذهبنا متجرداً لنشره»^(١).

وكان الشيخ موفق الدين المقدسي يقول: «كلنا في بركات الشيخ أبي الفرج»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عنه في معرض كلامه عن عدي بن مسافر «وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم، كالشيخ الإمام الصالح «أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي ثم الدمشقي وكشيخ الإسلام الهكاري ونحوهما.

وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الأصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة بل كان لهم من الترغيب في أصول أهل السنة والدعاء إليها والحرص على نشرها ومنازمة من خالفها مع الدين والفضل والصلاح ما رفع الله به أقدارهم وأعلى منازلهم، وغالب ما يقولونه في أصولها الكبار جيد، مع أنه لا بد وأن يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة»^(٣)



(١) المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (٣/ ١٠).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٠) حيث دعى لخدمهم بحفظ القرآن.

انظر: ص ٢٦ - ٢٧.

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٧٧).

المطلب الثالث عقيدته وعبادته وزهده

كان - رحمه الله - على معتقد أهل السنة والجماعة .
قال عنه القاضي أبو الحسين ابن أبي يعلى : « كان أبو الفرج ناصراً
لاعتقادنا، متجرداً في نشره، مبطلاً لتأويل أخبار الصفات »^(١) .
جرى له مع الأشاعرة مناظرات ووقعات ظهر فيها عليهم بالحجة
في مجالس السلاطين ببلاد الشام^(٢) .
ومن هذه المناظرات أنه عقد له الملك تاج الدولة تتش بن
السلطان أبي شجاع ألب أرسلان^(٣) في مسألة القرآن مناظرة مع
الأشاعرة فقال تتش : هذا مثل من يقول، هذا قباء حقيقة ليس هو
بحرير ولا قطن ولا كتان ولا صوف^(٤) .
والذي يظهر أنه يشير أنهم يفصلون في النفي خلاف أهل السنة .
ويثبتون إثباتاً مجملاً^(٥) .

-
- (١) طبقات الحنابلة (٢/٢٤٩) .
(٢) السير (١٩/٥٢) طبقات الحنابلة (٢/٢٤٨) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأول
(١٨٨) لصديق بن حسن خان .
(٣) هو الملك تاج الدولة ابن السلطان أبي شجاع ألب أرسلان تملك بضع عشرة سنة
وقتل سنة ٤٨٨هـ بالرزي انظر : وفيات الأعيان (١/٢٩٥ - ٢٩٧)
(٤) السير (١٩/٨٤) .
(٥) انظر لمريد بيان في هذه المسألة مجموع الفتاوى (١١/٤٨٠) ، (٦/٦٦) .

وقد صنف في الدفاع عن معتقد أهل السنة والجماعة عدة كتب منها:

- ١ - التبصرة في أصول الدين^(١).
 - ٢ - مسائل الامتحان، وهو كتابنا هذا^(٢).
 - ٣ - البرهان في أصول الدين^(٣).
 - ٤ - فصول في الإيمان وإبطال تأويل أخبار الصفات ومسائل القرآن^(٤).
- وقد كان - رحمه الله - صاحب عبادة ودين وزهد، قال عنه أبويعلى ابن القلانسي: «كان وافر العلم، متين الدين، حسن الوعظ، محمود السمعة»^(٥).

قال عنه ابن رجب: «كان إماماً عارفاً بالفقه والأصول، شديداً في السنة، زاهداً عارفاً، عابداً متألهاً»^(٦).

وكان مستجاب الدعوة، ومن ذلك ما ذكر الناصح عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب بن الشيخ أبي الفرج قال حدثني موفق الدين المقدسي، قال: لما قدم الشيخ أبو الفرج إلى بلادهم من أرض بيت

- (١) ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٧/١)، والأنس الجليل (٢٩٧/١)، طبقات المفسرين (٣٦١/١) والمنهج الأحمد (٦٢/١) وحققه الشيخ: إبراهيم الدوسري.
- (٢) ذيل الطبقات (٧٠/١) الأنس الجليل (٢٩٧/١) والمنهج الأحمد (١١/٣) وطبقات المفسرين (٣٦١/١) وفتاوى ابن تيمية (١٤٥/٤) والدر المنضد (٢١٦/١).
- (٣) معجم المؤلفين (٢١٢/٦).
- (٤) ذكره المؤلف في أول كتاب التبصرة ص ١.
- (٥) تاريخ دمشق (٢٠٦) لابن القلانسي.
- (٦) ذيل الطبقات (٦٩/١).

المقدس تسامع الناس به، فزاره من أقطار تلك البلاد، فقال جدّي قدامة لأخيه: تعال نمش إلى زيارة هذا الشيخ؛ لعله يدعو لنا. قال: فزاروه، فتقدم إليه قدامة قال له: ياسيدي، ادع لي أن يرزقني الله حفظ القرآن.

قال: فدعا له بذلك، وأخوه لم يسأله شيئاً فبقي على حاله، وحفظ قدامة القرآن^(١).

وقد كان - رحمه الله - واعظاً، فكانت له مجالس وعظ تذيب القلوب وتهز النفوس^(٢).

* * *

(١) ذيل الطبقات (٧١/١).

(٢) انظر: ذيل الطبقات (٧١/١).

المطلب الرابع

شيوخه

تلمذ الشيخ أبو الفرج على عدد من العلماء من أبرزهم:

١ - القاضي أبو يعلى:

هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء القاضي الكبير أبو يعلى إمام الحنابلة عالم زمانه، فريد عصره، ونسيج وحده، وقرع دهره.

ولد لتسع، أو ثمان وعشرين ليلة خلت من المحرم سنة ثمانين وثلاث مئة.

وعنه انتشر مذهب الإمام أحمد، وأصحاب الإمام أحمد له يتبعون.

بدأ السماع سنة خمس وثمانين، سمع من أبي الحسن السكري^(١)

عن أحمد بن عبد الجبار الصوفي، عن يحيى بن معين.

ألف كتباً كثيرة تصل إلى ستة وخمسين مؤلفاً^(٢)، المطبوع منها:

المعتمد^(٣)، والأحكام السلطانية^(٤)، وكتاب الروايتين

(١) أبو الحسن بن عمر بن محمد الحميري البغداوي الحربي السكري، عمّر دهرأ وانفرد بأشياء توفي ٣٨٦هـ سير أعلام النبلاء (٥٣٨/١٦).

(٢) انظرها معدودة في المنهج الأحمد (٢/٣٦٥-٣٦٦).

(٣) طبع في بيروت ١٣٩٤هـ بتحقيق وديع حداد.

(٤) طبع في مصر بتحقيق محمد حامد الفقهي ١٣٥٦هـ.

والوجهين^(١). وإبطال التأويلات لأخبار الصفات^(٢)، والعدة في أصول الفقه^(٣).

توفي في ليلة الاثنين بعد العشاء التاسع عشر من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وأربع مئة^(٤).

٢ - شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني:

شيخ الإسلام إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري الصابوني، أبو عثمان الشافعي، الواعظ، المفسر، سمع بنيسابور، وهراة، وسرخس، والحجاز، والشام، والقدس، روى عن زاهر السرخسي وطبقته وغيرهم.

قال الذهبي: «كان شيخ خراسان في زمانه».

قال البيهقي: «شيخ الإسلام صدقاً، إمام المسلمين حقاً، أبو عثمان الصابوني، من تصانيفه الفصول والأصول»^(٥).

٣ - أبو الحسن السمسار:

هو علي بن الحسين ابن السمسار الدمشقي حدث عن الدار قطني

(١) طبع بتحقيق د. عبدالكريم اللاحم.

(٢) طبع بتحقيق محمد الحمود.

(٣) طبع بتحقيق د. أحمد سير مباركي.

(٤) انظر: طبقات الحنابلة (١٩٣/٢) سير أعلام النبلاء (٨٩/١٨) المنهج الأحمد

(٢/٣٥٤) المقصد الأرشد (٢/٣٩٥).

(٥) انظر: السير (١/١٥٨) شذرات الذهب (٣/٢٨٢) طبقات الشافعية (٣/١١٧).

وأبي علي الفزاري وغيرهم.

قال الكتاني: فيه تشيع وتساهل، قال الذهبي: ولعل تشيعه تقية لا سجية؛ فإنه من بيت الحديث، ولكن غلب الشام في زمانه بالرفض، بل ومصر والغرب، بل والعراق وبعض العجم، واشتد البلاء دهرًا، وشمخت الغلاة بأنفها وتواخى الرفض والاعتزال حينئذ والناس على دين الملك^(١)، توفي ٤٣٣هـ.

٤ - أبو القاسم علي بن محمد بن علي الزيدي:

الإمام العالم المقرئ المعمر الحراني الحنبلي.

قال أبو عمر الداني كان ثقة ضابطاً مشهوراً أقرأ بحران دهرًا طويلاً.

قال الذهبي: بلغني أنه نُفِّذَ رسولاً إلى ملك الروم، فلما جلس غنت النصارى وحركوا الأرغل، فثبت الزيدي عند سماعه، وتعجبوا من ثباته كثيراً فلما قام، وجدوا تحت كعبه الدم مما ثبت نفسه ولم يتحرك، توفي سنة ٤٣٣هـ وقد قارب المائة^(٢).

عبدالعزیز النصیبی^(٣).

(١) انظر السير (٥٠٧/١٧) والميزان (١٥٨/٣) والعبير (١٧٩/٣) ولسان الميزان (٢٦٤/٤) وشذرات الذهب (٢٥٢/٣).

(٢) انظر السير (٥٠٥/١٧) والميزان (١٥٥/٣) ولسان الميران (٢٥٩/٤) ومعرفة القراء (٣١٥/١) والمغني في الضعفاء (٤٥٤/٢) وشذرات الذهب (٢٥١/٣).

(٣) لم أقف على ترجمة له.

المطلب الخامس فقه المؤلف واختياراته الفقهية

كان الإمام أبو الفرج - رحمه الله - على جانب كبير من العلم وسعة الاطلاع والنظر.

قال عنه الذهبي الإمام القدوة شيخ الإسلام الفقيه الحنبلي الواعظ من كبار أئمة الإسلام^(١).

قال أبو يعلى القلانسي «كان وافر العلم»^(٢).

قال عنه أبو اليمان الحنبلي: «شيخ الإسلام الإمام العالم الحبر أبو الفرج شيخ الشام في وقته»^(٣).

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن الشيخ أبا الفرج كان على جانب كبير من العلم والفقه استحق به أن يوصف بأنه شيخ الإسلام وشيخ الشام في زمانه، ومما يدل على ما كان يتمتع به - رحمه الله - من علم وسعة نظر واجتهاد: كتبه التي ألفها فله الإيضاح في الفروع^(٤) وله المنهج في

(١) السير (٥١/١٩، ٥٢).

(٢) تاريخ دمشق (٢٠٦).

(٣) الأنس الجليل (٢٩٧/١).

(٤) ذكره في إيضاح المكنون (١٥٥/١) وطبقات المفسرين (٣٦١/١) والانس الجليل

(٢٩٧/١) ومعجم المؤلفين (٢١٢/٦) وذيل الطبقات (٧١/١) والإنصاف (٩٤/٣)

والمنهج الأحمد (١٠/٣)

الفروع^(١).

وله مختصر في الحدود في أصول الفقه^(٢).

كل هذه الكتب تدل على ما كان عليه - رحمه الله - من علم وافر جمّ أمكنه من تأليف هذه الكتب.

وله كتاب الجواهر في تفسير القرآن^(٣) قال ابن رجب: قال قرأت بخط الناصح عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب، قال سمعت والدي يقول: هو ثلاثون مجلداً كانت بنت الشيخ تحفظه.

وكان له - رحمه الله - اختيارات فقهيه انفرد بها عن سائر الفقهاء تدل هذه الاختيارات على ما كان يتمتع به - رحمه الله - من اجتهاد ونظر في المسائل الفقهية ومن تلك الاختيارات:

١ - أن الوضوء في أواني النحاس مكروه^(٤).

٢ - أن التسمية على الوضوء يصح الإتيان بها بعد غسل بعض الأعضاء

(١) ذكره في إصباح المكنون (٤٢٥/٢) والإنصاف (١٤/١)، (٣٦٨/٦) (٣/٢٢، ٣٧)، والمغني (٦٠/١)، وذيل طبقات الحنابلة (٧١/١)، معجم المؤلفين (٢١٢/٦)، والمنهج الأحمد (١٠/٣)، الأنس الجليل (٢٩٧/١)، والأعلام (١٧٧/٤)، وطبقات المفسرين (٣٦١/١).

(٢) ذكره في ذيل طبقات الحنابلة (٧١/١)، والمنهج الأحمد (١/٣) والأنس الجليل (٢٩٧/١) وطبقات المفسرين (٣٦١/١)، الدر النضيد (٢١٦/١).

(٣) ذكره في إصباح المكنون (٢٨٧/٢) وذيل طبقات الحنابلة (٧١/١)، وطبقات المفسرين (٣٦١/١).

(٤) المنهج الأحمد (١١/٣) وذيل طبقات الحنابلة (٧٢/١، ٧٣) والتاج المكلل (١٨٠).

- ولا يشترط تقدمها على غسلها^(١).
- ٣ - أن مس الأمرد لشهوة ينقض الوضوء^(٢).
- ٤ - أن المسافر إذا مسح في السفر أكثر من يوم وليلة ثم أقام أو قدم أتم مسح مسافر^(٣).
- ٥ - أن الجنب يكره له أن يأخذ من شعره وأظفاره^(٤).
- ٦ - إذا أوقف الموقوف أرضاً على الفقراء والمساكين لم يجب في الخارج منها العشر وإن كان على غيرهم وجب فيها العشر^(٥).
- ٧ - أن الصداق يجب بالعقد ويستقر جميعه بالدخول، ولو أسقطت حقها من الصداق قبل الدخول لم يسقط؛ لأنه إسقاط حق قبل استقراره فلم يسقط كالشفيع إذا أسقط حقه قبل الشراء^(٦).
- ٨ - إذا قال السيد لعبده إن أديت إليّ ألفاً فأنت حرٌّ ثم أبرأه السيد من الألف عتق فجعل التعليق كالمعاوضة^(٧).
- ٩ - إذا باع البائع أرض زرع قائم قد بدأ صلاحه لم يتبع^(٨).

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/٧٢، ٧٣) والتاج المكلل (١٨٠).

(٢) المنهج الأحمد (٣/١١) وذيل طبقات الحنابلة (١/٧٢، ٧٣)، والتاج المكلل (١٨٠).

(٣) المنهج الأحمد (٣/١١)، ذيل طبقات الحنابلة (١/٧٣).

(٤) المنهج الأحمد (٣/١١)، ذيل طبقات الحنابلة (١/٧٣)، والتاج المكلل (١٨٠).

(٥) المنهج الأحمد (٣/١٢)، ذيل طبقات الحنابلة (١/٧٣).

(٦) المنهج الأحمد (٣/١٢)، ذيل طبقات الحنابلة (١/٧٣).

(٧) المنهج الأحمد (٣/١٢)، ذيل طبقات الحنابلة (١/٧٣).

(٨) المنهج الأحمد (٣/١٢)، ذيل طبقات الحنابلة (١/٧٣).

- ١٠ - إذا اشترى شيئاً، فبان معيباً، وأنمى عنده نماءً متصلاً، ثم رده، أخذ قيمة الزيادة من البائع، وقد وافقه على ذلك ابن عقيل^(١).
فحاصل ما تقدم من اختياراته يظهر لنا أنه مجتهد ولا يقلد.

* * *

F

(١) المنهج الأحمد (١٢/٣)، ذيل طبقات الحنابلة (٧٣/١).

المطلب السادس ذريته وتلاميذه وسنة وفاته

خلف الشيخ ذرية عرفت بأسرة آل الحنبلي وهو جد هذه الأسرة وهي من الأسر العلمية العريقة التي توارثت العلم وبرز منها مشاهير من العلماء، فقد انجبت:

١ - شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد الفقيه الواعظ شيخ الحنابلة بالشام بعد والده ورئيسهم وهو واقف المدرسة الحنبلية بدمشق وكان ذا حرمة وحشمة وقبول وجلالة ببلده^(١).

توفي والده وهو صغير، فاشتغل بنفسه، وتفقه وبرع، وناظر وأفتى، ودرس الفقه، والتفسير، ووعظ واشتغل عليه خلق كثير. وكان فقيهاً بارعاً، واعظاً فصيحاً، وصدرًا معظماً.

له من التصانيف المنتخب في الفقه، والمفردات، والبرهان في أصول الدين، ورسالة في الرد على الأشعرية^(٢).

توفي - رحمه الله - في ليلة الأحد سابع عشر صفر سنة ست وثلاثين وخمس مئة ودفن عند والده بمقابر الشهداء بباب الصغير^(٣).

(١) الدارس (٢/٦٤).

(٢) المنهج (٣/١٢٥).

(٣) المنهج (٣/١٢٥)، الدارس (٢/٦٤)، طبقات المفسرين (١/٣٦٣).

حدث عن أبيه ببغداد ودمشق وسمع منه أبو بكر بن كامل .

ومن أبنائه: عبد الملك بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الأنصاري الشيرازي ثم الدمشقي، القاضي شهاب الدين بن شرف الإسلام تفرقه ودرس وأفتى وناظر^(١).

قال فيه ابن القلانسي: «كان إماماً فاضلاً مستقلاً مفتياً على مذهب الإمامين أحمد وأبي حنيفة رحمهما الله»^(٢).

توفي يوم الاثنين سابع عشرة رجب، سنة خمس وأربعين وخمسمائة، وكان له يوم مشهود ودفن في جوار والده في مقابر الشهداء بالباب الصغير^(٣).

ومن ذريته: نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن الشيرازي، ثم الدمشقي الأنصاري الشيخ نجم الدين بن شرف الإسلام ابن الشيخ أبي الفرج، شيخ الحنابلة في وقته سمع وأفتى ودرس وهو ابن نيف وعشرين لى أن مات، قال ولده ناصح الدين بن الحنبلي، كان الشيخ موفق الدين وأخوه أبو عمر إذا أشكل عليهما شيء سألا والدي.

ذكر المنذري أن له إجازة من أبي الحسن بن الزاغوني وغيره.

توفي في ثاني عشر ربيع الآخرة سنة ست وثمانين وخمسمائة

(١) المقصد الأرشد (١٤٨/٢).

(٢) تاريخ دمشق (٤٨٣).

(٣) انظر: الدارس (٦٧/٢)، المنهج (١٤١/٣)، المقصد الأرشد (١٤٨/٢)، ذيل طبقات الحنابلة (٢١٩/١).

ودفن بسفح قاسيون^(١).

ومن ذريته: سديد الدين عبدالكافي بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي.

قال ناصح الدين: كان فقيهاً ماهراً ووعظ في شبابه وكان يذكر الدرس في الحلقة مستنداً إلى خزانة لديه وكان شجاعاً مات بعد الثمانين وخمسائة ودفن تحت مغارة الدم^(٢).

ومن ذريته: الشيخ شمس الدين عبدالحق بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي.

قال ناصح الدين بن الحنبلي: كان فقيهاً فاضلاً عاقلاً عفيفاً حسن العشرة كثير الصدقة، سافر في طلب العلم وقرأ الهداية، ورحل إلى بلاد العجم ثم عاد إلى دمشق، ومات في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وستمائة، ودفن بسفح قاسيون^(٣).

ومنهم: شرف الدين محمد بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي، كان فقيهاً فرضياً، يعرف القراءات، ويعبر المتهات ويتجر، ودفن - رحمه الله تعالى - بباب الصغير^(٤).

ومنهم: الشيخ عز الدين عبد الهادي بن عبد الوهاب بن عبد الواحد

(١) المقصد الأرشد (٥٤/٣)، الدارس (١٩/٢)، ذيل طبقات الحنابلة (٣٦٨/١).

(٢) الدارس (٦٩/٢)، المقصد الأرشد (٥٥/٣).

(٣) المقصد الأرشد (٥٤/٣)، الدارس (٦٩/٢).

(٤) الدارس (٦٩/٢)، المقصد (٥٤/٢).

الشيرازي، كان فقيهاً واعظاً شجاعاً حسن الصوت بالقرآن شديداً في السنة بنى مدرسة بمصر ومات قبل تمامها^(١).

ومنهم: عبد الكريم بن نجم بن عبد الوهاب بن عبدالواحد الشيرازي، الفقيه أبو الفضل، ولد سنة تسع وخمسين ورحل إلى بغداد وسمع من نصر الله القزاز وأجاز له الحافظ أبو موسى المديني وسمع بدمشق من أبي المعالي ابن صابر، وحدث ودرس بالحنبلية.

قال ابن الساعي في تاريخه: كان فقيهاً فاضلاً خيراً عارف بالمذهب والخلاف، وأجاز للمنزري توفي في السابع من ربيع الأول سنة تسع وعشر وستمائة ودفن بسفح قاسيون^(٢).

ومنهم: عبد الرحمن بن نجم الدين بن عبد الوهاب بن عبدالواحد الشيرازي، الفقيه الواعظ ناصح الدين أبو الفرج سمع من والده، والقاضي أبي الفضل محمد بن الشهرزوري، وعلي بن نجا وغيرهم، وشرع في الاشتغال، ورحل إلى البلاد، وسمع ببغداد وأصبهان والموصل مع جماعة، واشتغل ببغداد على أبي الفضل ابن المنّي، وسمع بأصبهان من أبي موسى المديني وغيره، وحضر فتح بيت المقدس مع السلطان صلاح الدين، درس بعدة مدارس بالحنبلية والمسمارية والصحابة، وانتهت إليه رئاسة المذهب بعد الشيخ موفق الدين وكان يساميه في حياته، ولد بدمشق سنة أربع وخمسين وتوفي

(١) المقصد الأرشد (٣/٥٤)، الدارس (٢/٧٠).

(٢) الدارس (٢/٧١)، المقصد (٢/١٩٢-١٩٣).

يوم السبت ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وستمائة بدمشق ودفن من يومه بسفح قاسيون^(١).

ومنهم: مظفر بن عبدالكريم بن نجم بن عبدالوهاب بن عبدالواحد، تاج الدين أبو منصور ولد بدمشق سنة ٥٨٩ هـ روى عن أبي ظاهرة الخشوعي، وعمر بن طبرزد، وحنبل وغيرهم تفقه ودرّس بمدرسة جده شرف الإسلام مدة، وكان له معرفة بالسذهب، روى عنه الحافظ الدميّاطي، مات في ثالث صفر سنة سبع وستين وستمائة فجأة بدمشق ودفن بسفح قاسيون^(٢).

ومنهم: يحيى بن عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب بن عبدالواحد، شيخ الإسلام سيف الدين بن الناصح، سمع من حنبل وابن طبرزد،^٤ والكندي وغيرهم بدمشق والموصل، وبغداد وهو آخر من حدث بالسماع عن الخشوعي، وحدث بمصر ودمشق، سمع منه العلامة تاج الفزاري وأخوه والحافظ الدميّاطي وابن العطاء.

توفي في السابع عشر من شوال سنة اثنتين وسبعين وستمائة^(٣).

ومنهم: يوسف بن يحيى بن عبدالرحمن بن نجم الدين بن عبدالوهاب بن عبدالواحد الشيرازي الشيخ الأصيل المدرّس المعبرّ شمس الدين أبو المحاسن وأبو المظفر حضر على والده، وسمع من ابن

(١) المقصد الأرشد (١١٤/٢)، والدارس (٧٠/٢)، والعبير (١٣٨/٥)، والسير (٦/٢٣).

(٢) الدارس (٧٢/٢)، المقصد الأرشد (٣٤/٣)، ذيل الطبقات (٢٧٨/٢).

(٣) المقصد الأرشد (٧٢/٢)، ذيل الطبقات (٢٨٥/٢).

أبي عمر، وابن البخاري وابن المجاور، وولي مشيخة العالمه والنظر عليها وعلى الصاحبة ودرس بها. سمع منه ابن دافع، والمقرئ ابن رجب، والحسيني، توفي يوم الجمعة سادس عشر شعبان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بالصالحية، وصُلِّي عليه عقيب الجمعة بالجامع المظفري، ودفن بسفح قاسيون^(١).

ومنهم: علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري، الدمشقي الفقيه الواعظ سبط الشيخ أبي الفرج الشيرازي.

اشتغل بالوعظ واشتهر به، حدث ببغداد ودمشق والاسكندرية وروى عنه الحافظ عبد الغني وجماعة.

توفي في شهر رمضان في سابعه، وقيل ثامنه، سنة تسع وتسعين وخمس مئة ودفن بسفح المقطم وكان يوم دفنه مشهوداً بكثرة الخلق^(٢).



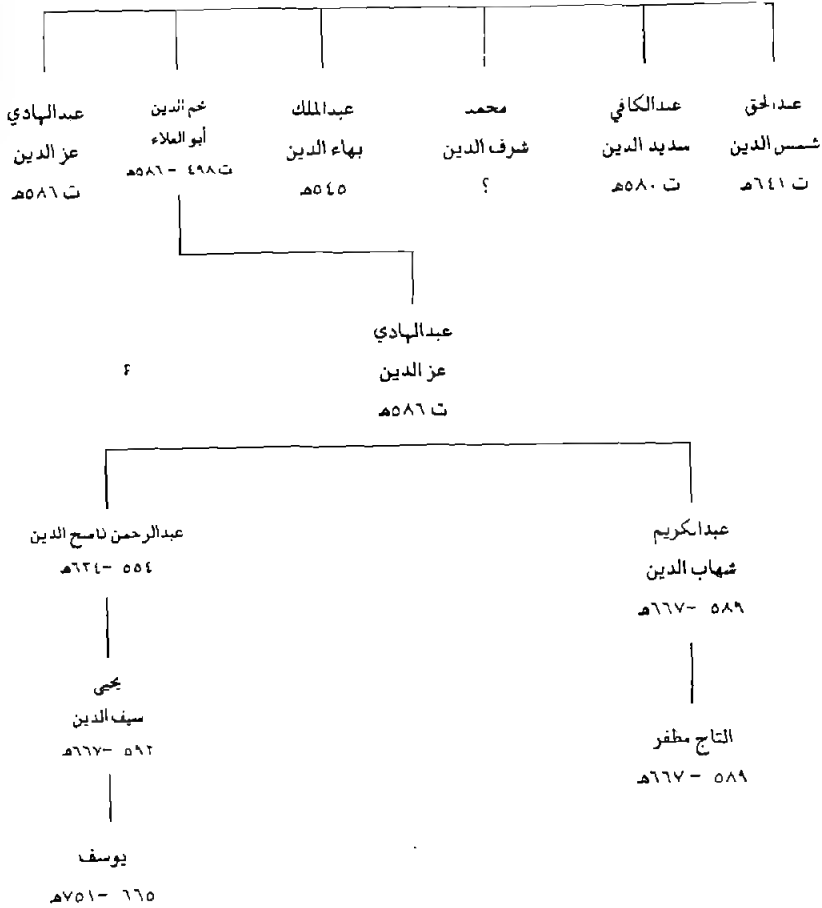
(١) المقصد الأرشد (١٣٤/٣).

(٢) المنهج الأحمد (٤٥/٤)، المقصد الأرشد (٢٠٨/٢)، الدارس (٦٧/٢)، ذيل ابن رجب (٤٣٦/١)، السير (٣٩٣/٢١).

شجرة آل حنبلي

أبو الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي ت ٤٨٦هـ

عبد الوهاب شيخ الإسلام توفي سنة ٥٣٦هـ علي بن إبراهيم



الفصل الثاني منهج المؤلف في جزئه وتقويمه

المبحث الأول : وصف النسخ الخطية .

المبحث الثاني : توثيق نسبة الجزء للمؤلف .

المبحث الثالث : سبب تأليف الجزء .

المبحث الرابع : منهج المؤلف في جزئه .

المبحث الخامس : تقويم الجزء .

الفصل الثاني منهج المؤلف في جزئه وتقويمه

المبحث الأول وصف النسخ الخطية

- المخطوطة الأم: تقع في خمس وثلاثين ورقة، مقاس كل ورقة ١٦×٢٤ سم.
- عدد الأسطر في كل صحيفة ١٤ سطراً.
- وصف النسخ: نسخت بنسخ خطي واضح ومشكول في بعض الكلمات.
- تاريخ النسخ: كتبت في جمادى الآخر سنة ٦٦٩ هـ.
- الناسخ: يوسف بن محمد بن يوسف الهكاري الشافعي ت (٧١٠ هـ)^(١).
- النسخة مقروءة على الشيخ يوسف بن محمد بن يوسف الهكاري والقاريء مجد الدين علي بن أبي بكر بن محمد الهكاري.

(١) هو يوسف بن أبي عبدالله محمد بن يوسف بن سعد بن الحسن الفقيه البار، أفضى القضاة، تولى قضاء بعلبك ثم نابلس ثم بعلبك وبها مات كان ذا دين وخير وتقوى وتواضع ومعرفة بالمذهب، سمع المجدد الإسفرايني والشرف الرسي، وابن عبدالدائم مات في رمضان سنة ٧١٠ هـ انظر معجم الشيوخ (٣٩٤/٢) للذهبي.

- هذه النسخة موجودة في خزانة شهيد علي باشا بإستنبول، ضمن مجموع رقم (٢٧٦٤) حوى عدة رسائل، وهذه الرسالة ضمن هذا المجموع الذي كتبه يوسف بن محمد الهكاري.

المخطوطة الثانية:

- نسخة مختصرة عن النسخة الأولى، وعنوانها مسائل الامتحان بغير الأدلة.

- اختصره علي بن أحمد بن يوسف القرشي^(١).

- الناسخ: هو يوسف بن محمد بن يوسف الهكاري.

- عدد الصفحات: ١١ صفحة.

- كل صفحة تحوي ١٤ سطراً.

- كل صفحة مقاس ١٦×٢٤ سم.

- وصف النسخ: نسخت بنسخ خطي واضح مشكول في بعض الكلمات.

(١) الشيخ العالم الزاهد، شيخ الإسلام، أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عزمة الأموي السفيناني، الهكاري، قال السمعاني: تفرد بطاعة الله في الجبال، وابتنى أربطة ومواضع يأوى إليها الفقراء والمنقطعون، وكان كثير العبادة، حسن الزهادة، مقبولاً، وقوراً.

رحل وسمع من أبي عبدالله من نظيف الفراء، وحسن بن أبي علي المقرئ وجماعة.
قال الذهبي: له تواليف وعناية بالأثر. انظر السير (٦٧/١٩)، وشذرات الذهب (٣/٣٧٨)، والمنتظم (٧٩/٩)، والكامل (٢٢٦/١٠)، وفيات الأعيان (٣/٣٤٥).

- تاريخ النسخ: كتبت في ست من رمضان سنة ٦٦٩ هـ.

- النسخة قرئت على الشيخ يوسف بن محمد الهكاري، والقاري هو مجد الدين علي بن أبي بكر بن محمد الهكاري، والشيخ يوسف بن محمد الهكاري قرأها على الإمام عز الدين عبدالرزاق بن رزق الله بن أبي بكر الدمشقي الحنبلي^(١)، وقد أقرّ بصحتها، كما هو مدون في آخر المخطوطة.

- هذه النسخة عليها تعليقات بالهامش، مما يؤكد أنها مصححة ومقروءة.

- هذه النسخة التزم مختصرها لفظ المؤلف وأسلوبه، وإنما عمله يكمن في تجريدها من الأدلة اختصاراً.

- عملي في الجمع بين النسختين:

أولاً: جعلت المخطوطة الكاملة التي أملاها المؤلف أبو الفرج عبدالواحد بن محمد الشيرازي هي النسخة الأم التي أعتمد عليها للأسباب الآتية:

(١) هو الإمام الفقيه المحدث المفسر عبدالرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرسعني. عز الدين أبو محمد سمع الحديث من أبي المجد القزويني، وعبدالعزیز ابن منینا ومن أبي الیمن الکندي وغيرهم، وعُني بطلب الحديث، تفقه على الشيخ موفق بن قدامة وحفظ المقنع، صنف تفسيراً مستنداً سماه «رموز الكنوز» وكان متمسكاً بالسنة والآثار، ويصدع بالسنة عند المخالفين من الرافضة وغيرهم روى عنه أبو الفتح ابن دقيق العيد توفي ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ انظر ذیل طبقات الحنبلة (٢٧٤/٤) لابن رجب، وتذكرة الحفاظ (١٤٥٢/٤)

- ١ - أنَّ المؤلف هو الذي أملاها كما كتب على طرة المخطوطة .
 - ٢ - أن كتابتها متقدمة على كتابة المخطوطة لمختصرة، فالنسخة الكاملة كتبت في جمادى الآخر سنة ٦٦٩هـ أما المختصرة ففي رمضان سنة ٦٦٩هـ .
 - ٣ - أن النسخة المختصرة مختصرها غير المؤلف، فهو الإمام علي بن أحمد بن يوسف القرشي .
 - ٤ - أن النسخة الكاملة التي أملاها الشيخ أبو الفرج الشيرازي تزيد على النسخة المختصرة بذكر الأدلة، أما المختصرة فهي مجردة من الأدلة كما ذكر على طرتها (مسائل الامتحان بغير الأدلة) .
- ثانياً: أراعي في ترتيب المسائل الاعتماد على المخطوطة الأم .
- ثالثاً: أبين الفروق بين النسختين، رامزاً للمخطوطة الأم بـ (الأصل) النسخة المختصرة بـ (م) .

المبحث الثاني توثيق نسبة الجزء للمؤلف

أولاً: ما ذكر على طرة المخطوطة: (جزء فيه امتحان السني من البدعي، وهي اثنتان وسبعون مسألة بالدلائل الواضحة من الكتاب والسنة إماماء الشيخ أبي الفرج عبدالواحد بن محمد الشيرازي).

ثانياً: نسبة هذا الجزء للمؤلف من أكثر من واحد من أهل العلم المترجمين له فابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) ذكر نسبة الجزء للمؤلف في الذيل على الطبقات (٧١/١).

والعلمي (ت ٩٢٨هـ) في الأنس الجليل (٢٩٧/١) وفي المنهج الأحمد ذكر نسبة الجزء للمؤلف (٦٢/١).

والداودي (ت ٩٤٥هـ) في طبقات المفسرين (٣٦١/١) ذكر نسبة الجزء للمؤلف (٦٢/١).

وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ذكر نسبة الجزء للمؤلف في مجموع الفتاوى (١٤٥/٤).

ثالثاً: أن هناك تشابهاً بين بعض العبارات في الجزء وما جاء في كتاب المؤلف (التبصرة في أصول الدين) فقد قال في التبصرة ص ١٥٠: «والتلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء» وقال في الجزء ص ٦: «ويسأل عن التلاوة، هل هي المتلو، وعن القراءة هل هي المقروء».

وقال في (التبصرة ص ١٧٣): «حروف المعجم كلها غير مخلوقة
كيفما تصرفت» وقال في الجزء ص ٦: «ويسأل عن حروف المعجم،
هل هي مخلوقة أم غير مخلوقة، فإن قال: غير مخلوقة، فهو سني».
وبالجملة فمن قرأ كتاب التبصرة وقرأ كتابنا هذا، علم أن المؤلف
واحد من خلال التشابه الواضح في الأسلوب والعبارات.
رابعاً: أنه لم يعارض أحد في نسبة الجزء للمؤلف، حيث لا أعلم
أن أحداً زعم أن هذا الجزء غير ثابت له أو أنه لمؤلف آخر.

* * *

المبحث الثالث سبب تأليف الجزء

لعل السبب ما ذكره المؤلف - رحمه الله - أنه سأله سائل أن يملي عليه مسائل يمتحن بها السني من البدعي، فأجاب السائل فأملى تلك المسائل.

ومما يذكر في هذا الجانب أن المؤلف - رحمه الله - عاش في القرن الخامس الهجري، وقد تميزت هذه الحقبة بانتشار البدع في أرجاء العالم الإسلامي، فبلاد الشام انتشر فيها الرفض، وكذلك مصر التي كانت تحكم من قبل العبيديين الرافضة بالإضافة إلى انتشار الأشعرية والمعتزلة، فزادت غربة الدين، وقل أنصاره، فكتب المؤلف هذا الجزء في نصرة أهل السنة وتمييزهم عن غيرهم من أهل البدع.

المبحث الرابع

منهج المؤلف في جزئه

- ١ - المؤلف ذكر مسائل يظهر بها الفرق بين السني والبدعي، وقد سار - رحمه الله - على طريق السؤال والجواب، التي عن طريقها يمكن تمييز عقيدة المسؤل من خلال جوابه .
[قال في المسألة الأولى : «يسأل عن أول نعمة أنعم الله على العباد ما هو؟»
فإن قال : إدراك اللذات ونيل الشهوات، فهو أشعري .
وإن قال : أول نعمة أنعم الله على العباد الهداية والإسلام والسنة، فهو سني].
- ٢ - المؤلف يذكر المسألة، ويذكر الدليل عليها من القرآن ثم السنة .
- ٣ - سلك المؤلف منهج الاختصار والإيجاز في عرض المسائل، وهذا مما يجعل الجزء جديراً بالدراسة .
- ٤ - لم يرتب المؤلف المسائل الواردة في هذا الجزء ترتيباً موضوعياً، ولم يرقم المسائل وإنما سردها سرداً .
- ٥ - المؤلف يذكر معتقد أهل السنة والجماعة في كل مسألة ثم يذكر مذهب الفرق المخالفة فيها من أشعرية ومعتزلية وجهمية .
- ٦ - المؤلف لا يذكر وجه الاستدلال من النصوص فيما يورده من أدلة، مما قد يجعلها مشكلة في بعض الأحيان .
- ٧ - لا يكاد يوجد في الجزء مناقشات واعتراضات وردود في عرض

المسائل.

٨ - الأحاديث في الجزء لم يروها المؤلف بالإسناد بل يذكر متن الحديث غالباً وربما الرواي الأعلى للحديث.

* * *

المبحث الخامس

تقويم الجزء

أولاً : ما تميز به الجزء :

- ١ - أن الجزء فريد في نوعه وموضوعه ، حيث لا يوجد - في حدود علمي - كتاب في موضوع هذا الجزء ، وهي المسائل التي بها يميز السني من البدعي .
- ٢ - أن الجزء حوى عدداً كبيراً من مسائل الاعتقاد وبيّن مخالفة الفرق المبتدعة فيها لمذهب أهل الحق : أهل السنة والجماعة .
- ٣ - أن مؤلف الجزء من أشهر علماء الحنابلة في عصره ؛ إذ هو ناشر مذهب الإمام أحمد في بيت المقدس .
- ٤ - أن الجزء يبحث مسائل دقيقة من مسائل الاعتقاد قلّما تبحث في غير هذا الكتاب .
- ٥ - يوجد في الجزء نسبة أقوال إلى فرق مختلفة كالأشعرية والسالمية والمعتزلة مما يمثل تدويناً لآراء تلك الفرق في ذلك العصر .
- ٦ - أن ناسخ الجزء أحد العلماء ، وهو يوسف بن محمد الهكاري ، بالإضافة إلى أن الجزء مقروء على الإمام عز الدين عبدالرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي ، وأقر بصحته .

ثانياً: بعض المآخذ على الجزء:

كل عمل بشري لا يسلم من القصور، وقد وجدت بعض المآخذ على هذا الجزء هي مغمورة في بحر حسناته، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، ومنها:

١ - الخطأ في نسبة بعض المذاهب، فتجده ينسب للمعتزلة والأشاعرة ما يقولون بخلافه وهذا يظهر للقارئ من خلال دراسة المسائل، على أنني أنه أن كون ما يوجد من كتب الفرق التي بين أيدينا - يخالف ما نسبته المؤلف لهم لا يعني بالضرورة غلط المؤلف في نسبة القول لهم، فقد يكون المؤلف عاصر من الأشاعرة والمعتزلة من يقول بهذا القول، أو اطلع على بعض الكتب التي ليست بين أيدينا اليوم.

٢ - بعض العبارات غير مناسب، كإطلاقه العصيان على الأنبياء^(١)، وإطلاق التكفير على كل مبتدع^(٢).

٣ - التبديع في بعض المسائل التي يسوغ فيها الخلاف كمسألة المفاضلة بين الملائكة والصالحين من بني آدم^(٣)، وإهداء ثواب القرب^(٤).

٤ - ذكره لبعض التفاسير الغريبة المنكرة لبعض الآيات، مثل تفسير

(١) ص ٢٣١.

(٢) ص ٣٠٧.

(٣) ص ٢٣٦.

(٤) ص ٤٧٢.

آية: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

آمنوا: أبوبكر، واصبروا: عمر، وصابروا: عثمان، ورابطوا: علي^(٢).

٥ - اطلاق بعض العبارات غير المناسبة على بعض المبتدعة، كنسبة الزندقة إلى الأشاعرة^(٣)، ونسبة الكفر إليهم^(٤).

٦ - الاستدلال ببعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة^(٥).

٧ - دمج بعض نصوص الأحاديث في بعض دون فصل بينها^(٦).

٨ - بعض الأخطاء اللغوية والركاكة في الأسلوب في بعض المسائل وقد نبهت عليها.

٩ - جعل بعض المسائل التي يمتحن بها السني من البدعي، وأهل السنة والجماعة على خلافها، كالامتحان بحب يزيد بن معاوية^(٧)، وإهداء الثواب.

١٠ - الغلط في نسبة بعض الأقوال إلى أهل السنة والجماعة مثل مسألة التحسين والتقبيح^(٨).

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٢) ص ٢٢١.

(٣) ص ٢٩٤.

(٤) ص ٤٣٠.

(٥) ومن أمثلة ذلك ما ذكرته ص ٤٧٣.

(٦) وانظر ص ٤٢١.

(٧) ص ٤٦٥.

(٨) ص ٣٨٥.

١١ - الإطلاق في بعض العبارات والواجب التفصيل كمسألة الصفات هل هي معاني زائدة على الذات؟^(١).

ولعل من المناسب أن أختتم هذا الكلام بكلام شيخ الإسلام والمسلمين ابن تيمية فقد قال: (.. وهذه المسائل وإن كان غالبها موافقاً لأصول السنة ففيها ما إذا خالفه الإنسان لم يحكم بأنه مبتدع، مثل أول نعمة أنعم بها على عبده، فإن هذه المسألة فيها نزاع بين أهل السنة، والنزاع فيها لفظي لأن مبناها على أن اللذة التي يعقبها ألم، هل تسمى نعمة أم لا؟ وفيها أيضاً أشياء مرجوحة)^(٢).

* * *

(١) ص ٣٩١.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٨٠).

حُسْرٍ فِيهِ أَتَى النَّبِيَّ مُحَمَّدٌ
وَهُوَ إِتَانٌ وَسَبْعُونَ مَسْأَلَةً بِاللَّيْلِ
الْوَاخِظَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

أَمَّا الشَّيْءُ الَّذِي نَسِيَ عَنْهُ
بَنُو إِسْرَافِيلَ وَرُوحُ اللَّهِ عَلَيْهِ

٥٩
 انقبور لم يتو عا وجه الا رضى قبرا الا ادخل الله تعالى فيه نورا
 ووسع عليه مسجدا بصيرا وعطاء الله تعالى بقدر اوقاف الف شهيد
 وزوجه الف زوجة وكتب له بكل من كل كلمة الف حجة وعمرة
 وحظن الله بكل حرف ما يحسن يسبحان الله اعرج القيانة وكان ثوابهم كل يوم
 يسبحون من شهر رمضان هذا يصام بيوته الهلال لم بالحساب
 والاف اشرف وان ما في بيوتهم والاف حبار من الثقات فمضى في ذلك ما في غيره من
 شيوخه وافضى ما امر بالله وغيره لم لا يثبتوا فيهم صوموا الرواية
 لروايتهم وقوله في امية امية لا تحسب ولا تقول المحرم
 في الحساب لروايتهم وقوله في امية امية لا تحسب ولا تقول المحرم
 كرم الله وجهه انه قال في امية امية لا تحسب ولا تقول المحرم
 مما احب اليك نأما لان الشهر والكرها نواقص وقوله تعالى
 فيسئلونك عن الاهلة قل في موافقت للناس فيهم سائلا لا محار
 حمة اليه ومنه وصله الله على سيدنا محمد والم وارحابه وارزقه رسلهم
 وواتهم بالبر والحق في كل شيء من الله عز وجل في كل شيء من الله عز وجل
 في كل شيء من الله عز وجل في كل شيء من الله عز وجل في كل شيء من الله عز وجل

قَسَمَ بِاللَّهِ أَنْ يُخْرِجَ الْعَرَبَ
 عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى
 رَجُلٍ لَا يَدْرِي مَنْ هُوَ إِلَّا
 أَنَّهُ عَلَى الشَّيْءِ الْأَمْرُ بِسْمِ اللَّهِ
 الْقُدُّوسِ الْقُدُّوسِ الْقُدُّوسِ

قال أحد المتكلمين من فحول الكلام فهو معتزلي وان قال من اقام الكلام
بذاته فهو اشعري وان قال من وجدت الحروف والاصوات كصور
فيسأل عن جد اللفظ فالاعتزلي يقول ان الله يتأرك ونحن نعمل
الكلام بمعنى خلق الكلام وكذلك قالوا جدد الكلام من قول الله
وان ينزل من قول الله الباري قائم بذاته شخصه وان لم ير كلام
موصوف وكذلك قالوا جدد الكلام من قام الكلام بذاته
ثم الكتاب ورسا المحمدي وله الكتاب والحق والمجد
والخبره وحده على سبيل واحد والواحد والواحد والواحد

والله التوفيق

سأعلى هذه العفلة الفقه الامام جدد اللفظ باني كل شيء وقدر
وكنى ما انتهى الى العالم عند الباري من رزق الله من اى كلام
الغنى قدس الله وجهه وقد اتم بصحة ما وعلم في دار ومضار من سنة
لله في كل شيء وكنى الفقر الى الله تعالى من رزق الله من رزق الله
حده الله ويصل الى ربه والواحد والواحد والواحد والواحد

الفصل الثالث حكم امتحان الناس في عقائدهم

- ١ - الامتحان في لغة العرب .
- ٢ - الامتحان في الكتاب والسنة .
- ٣ - ما ورد عن السلف في الامتحان .
- ٤ - حكم امتحان الناس في عقائدهم .

الفصل الثالث

حكم امتحان الناس في عقائدهم

الامتحان في اللغة

قال ابن فارس: مَحَنَ: المحن الإختبار يقال مَحَنَهُ وامتحنه^(١).

قال الفيروزآبادي: مَحَنَهُ كمنعه: ضربه واختبره كامتحنه، والاسم المِحنة^(٢).

قال الزمخشري: محن وقع في محنة ومحن، ومحن فلان امتحن ورجل ممحون وممتحن^(٣).

قال الرازي: المحنة واحدة المحن التي يمتحن بها الإنسان من بليّة، ومحنة من باب قطع، وامتحنه اختبره والرسم المحنة^(٤).

قال الفيومي: مَحَنَتَهُ محناً من باب نفع اختبرته وامتحنته كذلك. والاسم المحنة والجمع مَحَنٌ مثل سِدْرَةٍ وسِدَر^(٥).

وفي المعجم الوسيط: مَحَنَ فلاناً مَحْنًا خبره وجزّبه، ومُحِنَ فلان: وقع في محنة فهو ممحون، وأمتحن فلاناً اختبره^(٦).

(١) مجمل اللغة (٤/ ٨٢٥) مؤسسة الرسالة تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان.

(٢) ترتيب القاموس المحيط (٤/ ٢١١) الطاهر أحمد الزواي الدار العربية للكتاب.

(٣) أساس البلاغة (٥٨٤) دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ.

(٤) مختار الصحاح (١٩١).

(٥) المصباح المنير (٢١٦).

(٦) المعجم الوسيط (٨٥٦).

الامتحان في الكتاب والسنة

١ - الامتحان في القرآن:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ...﴾ (١).

وقد تعددت الأقوال في كيفية امتحان الرسول - ﷺ - للنساء المهاجرات.

١ - فالقول الأول: ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سئل كيف امتحان رسول الله - ﷺ - النساء؟

فقال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله، وهذا روي عن مجاهد وقتادة وعكرمة وبكير الأشج (٢).

٢ - القول الثاني: ما ورد عن عائشة - رضي الله عنها - قال ما كان رسول الله - ﷺ - يمتحن المؤمنات إلا بالآية قال الله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَتَرَفَّنَّ وَلَا يَزْنِينَ...﴾ (٣).

(١) سورة الممتحنة، آية: ١٠.

(٢) أخرجه ابن حرير (٦٨/٢٦) ط البايي الحلبي ط ١٣٧٣هـ.

(٣) أخرجه البخاري الطلاق (٥٢٨٨) وفي كتاب التفسير (٤٨٩١)، ومسلم في كتاب =

٣ - القول الثالث: أن الامتحان هو الإقرار بالشهادة وهذا ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان امتحانهم أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله^(١).

٢ - الامتحان في السنة:

١ - عن معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكنني صككتها صيحة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: أئتني بها فأتيته بها فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال من أنا؟ قالت أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة^(٢).

٢ - عن سعد بن عباد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ - : «إن هذا الحي من الأنصار محنة حبهم إيمان وبغضهم نفاق»^(٣).

= الإمارة (١٨٦٦)، الترمذي (٣٣٠٦)، وابن ماجه (٢٨٧٥)، وأحمد (٢٤٦٤٩) (٢٤٧٧٢). سورة الممتحنة، آية: ١٢.

(١) أخرجه ابن جرير (٦٨/٢٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد (٥٣٧) وأبوداود في كتاب الصلاة (٩٣٠) في كتاب الإيمان والندور (٣٢٨٢)، ومالك في الموطأ (١٥١١)، وأحمد (٢٧٧١٨) (٢٧٧٢٠) من حديث معاوية وأخرجه أحمد (٧٨٤٦)، وأبوداود (٣٢٨٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٩٥٦) (٢٣٣٣٥) من حديث سعد وفيه رجل مبهم ويشهد له ما في مسلم في كتاب الإيمان (٨٤) عن أنس مرفوعاً «آية المنافق بعض الأنصار وآية المؤمن حب الأنصار».

ما ورد عن بعض السلف في الامتحان

أ - قال الذهبي قال مهدي بن هلال: أتيت سليمان التيمي فوجدت عنده حماد بن زيد وزيد بن زريع، وبشر بن المفضل وأصحابنا البصريين، فكان لا يحدث أحداً حتى يمتحنه. فيقول له: الزنا بقدر؟ فإن قال: نعم، استخلفه أن هذا دينك الذي تدين الله به، فإن حلف حدثه خمسة أحاديث^(١).

* سليمان بن طرخان التيمي ت ١٤٣هـ.

قال العجلي «تابعي ثقة»، قال شعبة: «ما رأيت أصدق من سليمان التيمي».

قال يحيى بن سعيد: «كان التيمي عندنا من أهل الحديث»^(٢).

ب - قال الحاكم سمعت أبا سعيد بن أبي بكر يقول: لما وقع من أمر الكلابية ما وقع بنيسابور كان أبو العباس السراج يمتحن أولاد الناس، فلا يحدث أولاد الكلابية، فأقامني في المجلس مرة، فقال: قل أنا أبرأ إلى الله تعالى من الكلابية فقلت: إن قلت هذا لا يطعمني أبي الخبز، فضحك وقال: دعوا هذا^(٣).

* محمد بن إسحاق السراج شيخ الإسلام محدث خراسان

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢٠٠/٦) تذكر الحفاظ (١٥٠/١).

(٢) تهذيب الكمال (٢٨٢٤) تهذيب التهذيب (١٤٧١٢).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٣٩٥/١٤).

صاحب المسند الكبير قال ابن أبي حاتم: صدوق ثقة، سمع من إسحاق بن راهوية وقتيبة بن سعيد وغيرهم، حدث عنه البخاري ومسلم توفي سنة ٣١٣هـ^(١).

جـ - قال الذهبي قال القاسم بن أبي صالح: «جاء أيام الحج أبو بكر محمد بن الفضل القسطناني وحريش بن أحمد إلى إبراهيم بن الحسين الهمداني فسألا عن حديث الإفك رواية الفروي عن مالك؟».

فحانت منه التفاته فقال الزعفراني: يا أبا إسحاق! تحدث الزنادقة؟ قال: ومن الزنديق؟ قال: هذا، إن أبا حاتم الرازي لا يحدث حتى يمتحن، فقال: أبو حاتم عندنا أمير المؤمنين في الحديث، والامتحان دين الخوارج، من حضر مجلسي، فكان من أهل السنة، سمع ما تقر به عينه ومن كان من أهل البدعة يسمع ما يسخن الله به عينه، فقاما ولم يسمعا منه^(٢).

* إبراهيم بن الحسين الهمداني الكسائي: أبو إسحاق الإمام الحافظ الثقة يعرف بابن ديزيل، سمع كثيراً سمع بالحرمين ومصر والشام والعراق قال الحاكم ثقة مأمون. ت ٢٨١هـ^(٣).

د - قال ابن سيرين لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٣٨٨/١٤)، وتاريخ بغداد (٢٤٨/١)، الجرح والتعديل (١٩٦/٧)، والتذكرة (٧٣١/٢).

(٢) السير (١٨٩/١٣).

(٣) السير (١٨٩/١٣) تذكر الحفاظ (٦٠٨/٢)، البداية والنهاية (٧١/١١).

قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يؤخذ حديثهم^(١).

هـ - قال ابن سيرين: إن هذا العلم دين فلينظر الرجل عمَّن يأخذ دينه^(٢).

ابن سيرين الإمام أبو بكر الأنصاري محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك، كان يحدث بالحديث على حروفه كان فقيهاً عالمياً كثير الحديث متفق على إمامته^(٣). ت ١١٠ هـ.

و - قال أحمد بن يونس رأيت زهير بن معاوية جاء إلى زائدة بن قدامة فكلمه في رجل يحدثه فقال: أمن أهل السنة هو؟

قال: ما أعرفه ببدعة، فقال: من أهل السنة هو؟ فقال: زهير: متى كان الناس هكذا فقال زائدة: متى كان يشمتون أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما -^(٤).

* زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي.

قال الطيالسي: كان زائدة لا يحدث قدرياً ولا صاحب بدعة يعرفه، وقال العجلي: كان ثقة لا يحدث أحداً حتى يسأل عنه، فإن كان صاحب سنة حدثه، وإلا لم يحدثه.

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/١٤).

(٢) أخرجه الدارمي (٤١٩) (٤٦٤) (٤٢٩) بسند صحيح.

(٣) تهذيب التهذيب (٢١٤/٩) رقم (٣٣٦).

(٤) السير (٣٧٧/٧) تهذيب الكمال (٢١٦٧)، تهذيب التهذيب (٣/٣٠٧).

قال أبو حاتم كان ثقة صاحب سنة ت ٢١٢هـ^(١).

ز - قال أبو الحسن علي بن محمد المطيري: سمعت أبا الحسن الطرخابادي الهمداني يقول: أحمد بن حنبل محنة به يعرف المسلم من الزنديق^(٢).

ح - وقال: ابن أعين:

أضحى ابنُ حنبلٍ محنةً مأمونةً ويحب أحمدٌ يعرف المتسك^(٣)
* هو محمد بن أبي عتاب البغدادي الأعين وثقة ابن حبان، قال
عبدالله: ترحم عليه أبي وقال: إني لأغبطه مات وما يعرف إلا الحديث^(٤).

ط - قال ابن أبي حاتم: أخبرنا أحمد بن سنان الواسطي أخبرنا
عبد الرحمن بن مهدي عن هشيم، أخبرنا مغيرة عن إبراهيم قال: كانوا
إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلى صلاته وإلى هيئته وإلى
سنته^(٥).

ي - قال إسماعيل الترمذي^(٦) في قصيدة له في حياة الإمام أحمد

(١) تهذيب الكمال (٢١٦٧)، وتهذيب التهذيب (٣٠٧/٣)، السير (٣٧٧/٧).

(٢) تهذيب الكمال (١٠٦).

(٣) مناقب الإمام أحمد (٥٩٧) لابن الجوزي ط/ الخانجي.

(٤) انظر السير (١٢٠/١٢)، الجرح والتعديل (٢٢٩/٧)، وطبقات الحنابلة (٣٣١/١)،

وتاريخ بغداد (١٨٢/٢)، وتذكر الحفاظ (٥٥٢/٢)، تهذيب التهذيب (٣٣٤/٩).

(٥) الجرح والتعديل (٢٩/٢).

(٦) لم أجد له الترجمة.

وأنشده إياها :

لعمرك ما يهوى لأحمد نكبة من الناس إلا ناقص العقل المغور
هو المحنة اليوم الذي يتلى به فيعتبر السني فينا ويسبر^(١)
ك - قال أبو مزاحم الخاقاني :

لقد صار في الأفاق أحمد محنة وأمر الوري فيها فليس بمشكل
تري ذا الهوى جهلاً لأحمد مفضاً ويعرف ذو التفوى بحب ابن حنبل^(٢)

* أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان كان أبوه وزير
جعفر المتوكل على الله، قال الخطيب: كان ثقة ديناً من أهل السنة
ت ٣٢٥هـ^(٣).

ل - قال الإمام البربهاري: والمحنة في الإسلام بدعة، وأما اليوم
فيمتحن بالسنة لقوله: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون
دينكم^(٤) ولا تقبلوا الحديث إلا ممن تقبلون شهادته، فانظر إن كان
صاحب سنة له معرفة، صدوق، كتبت عنه وإلا تركته^(٥).

* البربهاري هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري،
شيخ الحنابلة في عصره قال أبو الحسين بن أبي يعلى: أحد الأئمة

(١) ثلاثيات مسند الإمام أحمد (٢١/١) السفاريني.

(٢) ثلاثيات مسند الإمام أحمد (٢٢/١).

(٣) تاريخ بغداد (٥٩/١٣).

(٤) هذا من قول ابن سيرين أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١٤/١).

(٥) شرح السنة (٥٥) ط دار ابن القيم ت د. سعيد القحطاني ط ١٤٠٨هـ.

العارفين والحفاظ للأصول المتقين والثقات المؤمنين . ت ٣٢٩ هـ^(١) .

م - لما ورد البخاري نيسابور اجتمع الناس عليه ، فحسده بعض مشايخ نيسابور فقال لأصحابه : إن البخاري يقول : اللفظ بالقرآن مخلوق ، فامتحنوه في المجلس فلما حضر الناس مجلس البخاري ، قام إليه رجل فقال : يا أبا عبدالله ما تقول في اللفظ مخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه فقال الرجل : يا أبا عبدالله فأعاد عليه القول فأعرض عنه ، ثم قال في الثالثة فالتفت إليه البخاري وقال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة ، فشغب الرجل ، وشغب الناس وتفرقوا عنه^(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وروى أيضاً ابن أبي حاتم : أن هشام بن عبيد الله الرازي - صاحب محمد بن الحسن - قاضي الرِّي حبس رجلاً في التجهم فتاب ، فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال : الحمد لله على التوبة ؛ فامتحنه هشام : فقال : أشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه ؟

فقال : أشهد أن الله على عرشه : ولا أدري ما بائن من خلقه .

فقال : ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب^(٣) .

وهشام بن عبيد الله الرازي ، الفقيه ، أحد أئمة السنة توفي

سنة ٢٢١ هـ .

(١) انظر طبقات الحنابلة (١٨/٢) .

(٢) السير (١٢/٤٥٣ - ٤٥٤) .

(٣) الفتاوى (٤٩/٥) .

حكم امتحان الناس في عقائدهم

مما تقدم ذكره يظهر لي أن الامتحان في الأصل مشروع والدليل على مشروعيته :

أولاً: قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۗ﴾ . . . (١) .

فالله أمر المؤمنين بالتحقق من صدق هجرتهم، وأنهن إنما أخرجهن حب الله ورسوله، ولم يكتف بظاهر الإيمان فهذا أمر بالتحقق مما هو غير معلن وظاهر، فامتحان المسلم للتحقق من سلامة اعتقاده من هذا الباب .

ثانياً: ما ورد عنه - ﷺ - من سؤال الجارية عن العلو وهذه مسألة من مسائل الاعتقاد وفعله - ﷺ - للتحقق من إيمانها، فسؤال المسلم عن مسألة من مسائل الاعتقاد من هذا الباب .

ثالثاً: ما ورد عن الإمام سليمان التيمي والإمام أبي حاتم الرازي والإمام أبي العباس السراج - رحمهم الله - من امتحان المبتدعة .

وكذلك إنكار الزعفراني على إبراهيم الهمداني ابن ديزيل عدم الامتحان مما يدل على أنه أمر ظاهر عندهم .

رابعاً: قول ابن سيرين : «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون

دينكم»، وقوله: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم؛ فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم».

وقول إبراهيم: «كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلى صلاته وإلى هيئته وإلى سنته».

وكذلك كون الإمام زائدة بن قدامة لا يحدث إلا سنياً ويستفهم ممن أراد أن يأخذ عنه الحديث، وإنكاره على من قال ما أعرفه ببدعة مما يدل على أنه لا يكتفى بالظاهر.

خامساً: قول البرهاري أما اليوم فيمتحن بالسنة.

سادساً: اشتهار أن الإمام أحمد محنه: أي يمتحن به، فيعرف السني من المبتدع، وهذا ظاهر فيما قاله إسماعيل الترمذي وابن أعين وأبو الحسن الطرخا باذي.

- أما ما ورد عنه المنع من الامتحان فهو الحافظ أبو إسحاق الهمداني (ابن ديزيل) فهذا قد يكون رأياً له قاله اجتهداً.

أما البخاري: فالجواب عن ذلك:

١ - إما أن البخاري يقصد الامتحان بهذه المسألة الحاضرة فيكون عنده الامتحان بمسألة اللفظ بدعة (فأل) هنا عهديه عهد حضوري، ولا يمكن أن تكون (أل) هنا جنسية لأن البخاري لا يمنع من جنس الإمتحان، وجعل الامتحان بمسألة اللفظ بدعة لأن الكلام في مسألة

اللفظ لم يرد عن السلف، ولهذا منع الإمام أحمد النفي والإثبات في مسألة اللفظ، فقال من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع».

فاللفظ كلمة مجملة يدخل فيها الملفوظ الذي هو كلام الله غير مخلوق، ويدخل فيها التلطف الذي هو من فعل العبد ومقدوره فمنع الإمام من النفي والإثبات، أو أن امتحان من اشتهر بالسنة والإمامة في الدين من أمثال البخاري بدعة.

مسألة من الذي يمتحن؟

المبتدع إما أن يكون داعية إلى بدعته أو غير داعية، وغير الداعية إما أن يكون معلناً ببدعته أو غير معلن ببدعته.
أما المبتدع الداعية فلا حاجة لامتحانه.

أما غير الداعية المعلن ببدعته فكذلك، فهو معلن ببدعته ويبقى الكلام في المبتدع غير المعلن ببدعته.

فإنه لا يمتحن إلا إذا احتيج إلى ذلك كنصبه قاضياً للمسلمين أو معلماً في الدين لأبناء المسلمين أو إماماً للصلاة فإنه يمتحن.

ولهذا قال الإمام أحمد لما سئل عن أصحاب الحديث يأتون إلى الشيخ لعله يكون مرجئاً أو شيعياً أو فيه شيء من خلاف السنة؟ أينبغي أن أسكت عنه فلا أحذر عنه؟

قال: إن كان يدعو إلى بدعة وهو إمام فيها يدعو إليها نعم تحذر

عنه^(١).

ففرق الإمام أحمد بين الداعية وغير الداعية.

أما منع أهل البدع من المناصب الدينية فهذا هو المتقرر عند السلف.

قال الإمام أحمد في رسالته إلى المتوكل: وفي الجملة إن أهل البدع والأهواء لا ينبغي أن يستعان بهم في شيء من أمور المسلمين، فإن ذلك أعظم الضرر على الدين، مع ما عليه رأي أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - من التمسك بالسنة والمخالفة لأهل البدع^(٢).

أما أن غير المعلن ببدعته لا يمتحن إلا إذا احتيج إلى ذلك، فلأن امتحانه قد يكون فيه إشهار ببدعته والمطلوب إخفاء البدع لا إظهارها.

* * *

(١) مسائل عبد الله بن الإمام أحمد (٤٣٦).

(٢) مناقب الإمام أحمد (٢٠٨) لابن الجوزي.

القسم الثاني
النص المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ أَعْنِ (١)

قال الشيخ شيخ الإسلام علي بن أحمد بن يوسف القرشي، قدس الله روحه: (٢) قال: قال أبو الفرج عبدالواحد بن محمد الشيرازي - رحمة الله عليه - سألتني - وفقك الله لشكره - (٣) أن أملي عليك مسائل تمتحن بها السني من البدعي، فأجبتك إلى ذلك معتمداً على الله الثواب، وإياه أسأل التوفيق للصواب.

مسألة (٤):

فأول من ذلك: يُسأل عن أول نعمة أنعم الله على العباد (٥)، ماهو؟ (٦)، فإن قال: إدراك اللذات، ونيل الشهوات، فهو أشعري (٧) (٨).

(١) في م «رب أعن بعونك».

(٢) «قال الشيخ شيخ الإسلام علي بن أحمد بن يوسف القرشي، قدس الله روحه» ليس في م.

(٣) في م «وفقك الله تعالى».

(٤) «مسألة» ليست في م.

(٥) في م «العبد».

(٦) «ماهو» ليست في م. ولعن الأصح (ماهي).

(٧) في الهامش «منسوب إلى أبي الحسن الأشعري».

(٨) الأشاعرة: طائفة من طوائف المستدعة الضالة سميت بذلك نسبة إلى أبي الحسن الأشعري لهذه الطائفة بدع كثيرة منها الإلحاد في الصفات حيث إنهم لا يشتون من الصفات سوي سيع. وهم جهمية في مسائل الإيمان والقدر.

انظر: الملل والنحل (١/٩٤-١٠٣) الشهرستاني الخطط (٢/٣٥٨) المقريري، خبئة الأكوان (ص ٥٠-٣٥) لصديق خان.

وإن قال: أول نعمة أنعم الله على العباد، الهداية والإسلام والسنة، فهو سني^(١).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٢)^(٣).

وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ﴾^(٤)^(٥).

* * *

(١) مي م «وإن قال: أول نعمة أنعم الله تعالى على العبد؛ أن هداه الإيمان، فهو سني».

(٢) سورة المائدة، آية: ١١.

وقد كتب في أصل المخطوطة: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ﴾، وميثاقه «وميثاقه ليس في آية (١١) المذكورة سابقاً، بل في الآية التي قبلها وهي: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ المائدة: ٧.

(٣) في الهامش كتب «ميثاقه» أي عهده، وهي ليست من تلك الآية كما ذكرت.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٥) من قولنا: ذلك: «إلى قوله: لولا أن هدانا الله» ليست في م.

دراسة المسألة:

هذه المسألة اختلف فيها على أقوال:

فقال الأشاعرة: «أول نعم الله - تعالى - على خلقه الحي إدراك اللذات وسلامة الحواس، وقيل: ما ينتفعون به من الشهوات التي تميل إليها طباعهم، وتصلح عليها أجسامهم»^(١).

وقد وافقهم على قولهم القاضي أبو يعلى من الحنابلة، فقال: «أول نعم الله على المؤمنين من النعم الدنيوية هي الحياة التي يتوصل بها إلى إدراك اللذات التي لا يتعقبها ضرر لأجلها»^(٢).

وقالت المعتزلة أول نعمة أنعم الله - تعالى - بها على الحي خلقه إياه حياً؛ لينفعه بذلك^(٣).

وقد وافق المعتزلة على قولهم بعض الأشاعرة، كما ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج الشيرازي في كتابه «التبصرة في أصول الدين»^(٤).

وقال السفاريني: «أول نعم الله - تعالى - الدينية على المؤمن أن قدره على إرادة النظر والاستدلال لمعرفته»^(٥).

(١) الإنصاف للباقلاني ص (١٧).

(٢) المعتمد (٢٧).

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٨٣.

(٤) انظر: التبصرة ص (٢) تحقيق الدوسري.

(٥) لوامع الأنوار (١/ ١١٤).

وقال الشيخ عثمان النجدي في تعليقه في أصول الدين: «أول نعم الله الدينية وأعظمها أن أقدره على معرفته، وأول نعم الله الدنيوية الحياة العرية عن ضرر»^(١).

وقد ذكر الشيخ أبو الفرج الأدلة على أن أول النعم على العباد هي الهداية والإسلام، فقال:

«دليلنا قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾»^(٢).
وكذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾»^(٣).

فوجه الدلالة أن الله - تعالى - بدأ بذكر الإيمان فدل على أنها أول نعمة أنعم الله على العباد، ولأن القرآن نزل باللغة العربية، والعرب من شأنها أن تبدأ بالأهم فالأهم^(٤).

دليل ثانٍ: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله - تعالى - خلق الخلق في ظلمة فألقى عليهم شيئاً من نوره فمن أصابه ذلك النور، اهتدى، ومن لم يصبه ذلك النور كان ضالاً مضلاً»^(٥).

(١) نجاة الخلف في اعتقاد السلف (٧٢) دار الصحوة ١٤٠٠هـ.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٧.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

(٤) البصرة ص ٤.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الإيمان بـ ما جاء في افتراق الأمة، (٢٦٤٢) وآخره (ومن أخطأه ضل)، وأخرجه الحاكم في المستدرک كتاب الإيمان (١/٣٠ - ٣١)، =

ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾^(١)، قال المفسرون: عبدالله بن عباس وغيره يعني يختص بدين الإسلام من يشاء^(٢).

فجعل ذلك خصوصية، فدل على أنه أول نعمة.

والدلالة على فساد مذهبهم هو أن الحياة لو كانت بمجرد نعمة لكانت حياة أهل النار في النار نعمة عليهم، فلما لم يثبت أنها نعمة عليهم فدل على أن الحياة بمجرد نعمة ليست نعمة.

والدلالة على فساد مذهب الأشعرية، هو أنا نجد النعم في نيل الشهوات واللذات مستدرجة في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

جاء في التفسير أنهم كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة^(٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ۖ سَارِعُ هُم فِي الْخَيْرَاتِ ۖ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥).

قال أبو الفرج الشيرازي: «وإذا بطل هذان القسمان ثبت ما قلناه»^(٦).

= وأحمد في المسند (٦٦/٢، ٢٧٧) كلهم من طريق عبدالله بن عمرو بن العاص، وقال الترمذي فيه: «هذا حديث حسن»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح، قد تداوله الأئمة وقد احتجنا بجميع رواته ثم لم يخرجناه، ولا أعلم له علة» زوافقه الذهبي في التلخيص.

(١) سور البقرة، آية: ١٠٥.

(٢) انظر: الدر المنثور (١/١٠٤).

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٢.

(٤) قال القرطبي في تفسيره (٣٢٩/٧) عن الضحاك، قال: (كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة).

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

(٦) انظر: التبصرة (٣، ٤، ٥).

مسألة^(١): يُسأل: عن معرفة الله - تعالى -^(٢) هل يعرف^(٣) بالشرع أم^(٤) بالعقل؟ فإن قال: بالشرع^(٥)، فهو سني. وإن قال: بالعقل، فهو معتزلي^{(٦)(٧)}.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بِبَيِّنَاتٍ مِّمَّا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية^(٨)، وقوله تعالى: ﴿يَكْتُمُهَا الْمَدْيَنِيُّ (١) قُرْ فَأَنذِرْ (٢)﴾ الآية^(٩)، وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ الآية^(١١)، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾

(١) «مسألة» ليست في م.

(٢) في م «الباري».

(٣) في م «وجبت».

(٤) الصواب لغة «أو».

(٥) في م «وجبت بالشرع».

(٦) المعتزلة نشأت هذه الفرقة لما أظهر واصل بن عطاء بدعته وزعم أن الفاسق في منزلة بين منزلتين، وهما: الكفر والإيمان فطرده الحسن البصري من مجلسه فاعتزله عند سارية من ساوري المسجد، وانظم إليه قرينه عمرو بن عبيد، واسم الاعتزال يجمع عدة فرق في بدع شتى منها نفى الصفات عن الله تعالى، ونفى الرؤية، والقول بخلق القرآن، والقول بأن العباد يخلقون أفعالهم.

انظر: الفرق بين الفرق (٩٣-٩٨)، والفصل (٤/١٩٢).

(٧) في الحاشية «سميت معتزلة لاعتزالهم الحق، وقيل: لاعتزالهم أقاويل المسلمين».

(٨) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٩) في الحاشية: (المدثر) بقطيفة المتقنع فيها (فأنذر) كفار مكة وبعدها حرف (م) ولم أفهم المقصود منه.

(١٠) سورة المدثر، الآيتان: ١، ٢.

(١١) سورة الإسراء، آية: ١٥.

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ^(١) ﴿٢﴾ ،
 وقوله تعالى : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ ^(٣) الآية ^(٤) .

* * *

-
- (١) فوق كلمة «ولا تقف» كُتب: «أي لا تتبع»، وفوق كلمة «عنه» كتب «صح» إشارة إلى أنها سقطت أثناء النسخ، ثم أضافها الناسخ بعد المقابلة.
- (٢) سورة الإسراء، آية: ٣٦.
- (٣) سورة الشورى، آية: ٥٢.
- (٤) من قوله: «دليلنا... إلى قوله: ولا الإيمان» ليست في م.

دراسة المسألة:

قال الشيخ أبو الفرج الشيرازي:

في كتابه التبصرة في بيان هذه المسألة: معرفة الله وجبت بالشرع دون العقل^(١).

وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية على قوله هذا، فقال: «حصول المعرفة بالشرع على وجوه: إحداهما: أن الشرع ينبه على الطرق العقلية التي بها يعرف الصانع فتكون عقلية شرعية.

الثاني: أن المعرفة المنفصلة بأسماء الله وصفاته التي بها حصل الإيمان، تحصل بالشرع، كقوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَحْمَةً﴾^(٣)، وأمثال ذلك من النصوص التي تبين أن الله هدى العباد بكتابه المنزل على نبيه، وأما كون مجرد الوجوب بالشرع فلا يدل على إمكان الحصول بمجرد الشرع»^(٤).

وما ذكره المؤلف عن المعتزلة أنهم يقولون: وجبت بالعقل دون

(١) انظر التبصرة (١٠)، ولوامع الأنوار (١/١١٣) وقد حكى أن ذلك قول أهل السنة، وشرح أصول الاعتقاد (٢/١٩٣).

(٢) سورة الشورى، آية: ٥٢.

(٣) سورة سبأ، آية: ٥٠.

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/١٩).

الشرع صواب.

قال القاضي عبد الجبار: «ومعرفته لا تنال إلا بحجة العقل»^(١).

وقد أطال المؤلف - رحمه الله - في كتاب التبصرة في ذكر الأدلة على وجوب المعرفة بالشرع ومما استدل به:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٢).

نفى إصابة العذاب مع عدم بعثة الرسول - عليه السلام -، وأثبت وقوعه مع بعثته، فلو كانت المعرفة وجبت بالعقل لكان قد قال: وما كنا معذبين حتى نرزقهم عقولاً فلما لم يقل ذلك دلّ على عدم حصوله بالعقل^(٣).

ومما استدل به قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْعِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٤).

قال شيخ الإسلام في التعليق على هذا الاستدلال: «وهذه الآية وأمثالها تدل على أن السمع والأبصار والأفئدة لا تنفع صاحبها مع جحده بآيات الله، فتبين أن العقل الذي هو مناط التكليف، لا يحصل بمجرد الإيمان النافع، والمعرفة المنجية من عذاب الله، وهذا العقل

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة (٨٨)

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٣) انظر التبصرة (١٢).

(٤) سورة الأحقاف، آية: ٢٦.

شرط في العلم والتكليف لا موجب له»^(١).

ومما استدلّ به: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «تعلّموا العلم ففي تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، به يعرف الله ويعبد، وبه يمجّد الله ويوحد، وهو إمام العمل ومتابعة، يرفع الله به - تعالى - أقواماً فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدى بهم ويُنْتَهَى إلى رأيهم»^(٢).

قال أبو الفرج: «فوجه الدليل من قوله - عليه السلام - «به يعرف الله - تعالى - ويعبد»، أنه أثبت المعرفة بالعلم، فوجب أن يثبت به تصديقاً

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢٠/٩).

(٢) أخرجه ابن عبد البر عن معاذ مرفوعاً في جامع بيان العلم وفضله (٦٥/١)، وقال: وهو حديث حسن جداً ولكن ليس له إسناده قوي، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٥٧/١): رفعه غريب جداً وقال ابن عراف في تنزيه الشريعة (٢٨٢/١) معلقاً على كلام ابن عبد البر فقال: قال العراقي في تخريج الإحياء قوله: حسن أراد حسن معناه لا الحسن المصطلح عليه عند المحدثين بدليل قوله: (ليس له إسناده قوي، فإن موسى بن عطاء نسب إلى الكذب والوضع، وعبد الرحيم متروك، ووالده مختلف فيه، والحسن لم يدرك معاذاً).

وجاء أيضاً من حديث عبد الله بن أوفى أخرجه المظفر الخزنوي في (فضائل القرآن)، وقال: (تعلّموا القرآن) بدل العلم وهو منكر جداً.

وأخرجه أبونعيم في الحلية (٢٣٩/١) موقوفاً على معاذ من طريق أبي عصمة عن رجل سماه عن رجاء بن حيوة عن معاذ قال بن عراف (٢٨٢/١)، أبو عصمة أحد الكذابين ورجاء لم يسمع من معاذ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٢١/٩).

«وهذا الكلام معروف عن معاذ روه عنه بالأسانيد المعروفة وهو كلام حسن، ولكن روايته مرفوعاً فيها نظر».

له في قوله»^(١).

قال شيخ الإسلام: معلقاً على استدلال المؤلف: «وهذا صحيح لا ينازع فيه من يتصور ما يقول»^(٢).

ومما استدل به: «هو أن المعرفة لو كانت حاصلة بالعقل لكان كل عاقل عارفاً بوحدايته، فلما وجدنا جماعة من العقلاء كفاراً غير عارفين له به، دلّ على أن المعرفة لم تحصل بالعقول، ألا ترى أنّ ما يدرك بالنظر لا يختلف أرباب النظر فيه»^(٣).

قال شيخ الإسلام: معلقاً على كلام المؤلف: «وهو كما قالوا، فإن الطرق القياسية العقلية النظرية، وإن كان منها ما يفضي إلى العلم، فهي لا تفصل لنزاع بين أهل الأرض تارة لدقتها وغموضها، وتارة لأن النفوس قد تنازع في المقدمات الضرورية، ولهذا لم يأمر الله عند التنازع إلا بالرد إلى الكتب المنزلة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(٤) فجعل الحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه: الكتاب المنزل من السماء»^(٥).

(١) انظر: التبصرة (١٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢١/٩).

(٣) انظر: التبصرة (١٤).

(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(٥) درء تعارض العقل والنقل (١٧/٩ - ١٨).

يُسأل: عن الخير والشر، هل هما من قضاء الله وقدره، أم من العبد ومن اللعين إبليس^(١).

فإن قال: هما من الله^(٢) فهو سني.

وإن قال: الخير من الله^(٣) والشر من الناس^(٤)، ومن إبليس^(٥)، فهو معتزلي وقدري^{(٦)(٧)}.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿كُلُّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾^(٨) ﴿٩﴾.

* * *

(١) في م «هل هما من الله أم من العبد».

(٢) في م «من الله تعالى».

(٣) في م «من الله تعالى».

(٤) في م «من العبد».

(٥) «ومن إبليس» ليست في م.

(٦) في الهامش «القدري الذي يقول المعاصي والشر ليس بقدر الله».

(٧) القدريّة: لقب يطلق على من ينكر القدر وقد اشتهر ذلك في المعتزلة لأنهم زعموا أن الناس يخلقون أفعالهم استقلالاً، والرب ليس له فيها تقدير، وأصل الكلام في القدر ظهر في آخر عهد الصحابة.

انظر: الفرق بين الفرق (٢٥) البغدادي، البرهان (٢٦) السكسكي.

(٨) سورة النساء، آية: ٧٨.

(٩) من قوله: «دليلنا إلى قوله. من عند الله» ليست في م.

دراسة المسألة :

يعتقد أهل السنة والجماعة^(١) :

أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله - تعالى - خالق أفعال العباد من خير وشر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾^(٢)، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٣)، وأن الله - تعالى - يريد الكفر من الكافر، ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً ولا يرضاه ديناً وشرعاً.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٦)، وقال: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٧)، وقال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرُ ضِيقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(٨).

(١) انظر شرح الطحاوية (٢٧٦-٢٨٠).

(٢) سورة القمر، آية: ٤٩.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٢.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٣.

(٥) سورة يونس، آية: ٩٩.

(٦) سورة الإنسان، آية: ٣٠.

(٧) سورة الأنعام، آية: ٣٩.

(٨) سورة الأنعام، آية: ١٢٥.

وقال ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره»^(١)، وفي حديث جبريل - الطويل - «قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(٢).

وقال ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره»^(٣).

وقال ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء»^(٤).

قول المؤلف: إن المعتزلة يقولون: بأن الخير من الله والشر من الناس، ومن إبليس، في نسبة هذا القول لهم نظر، فإنهم يقولون العبد يخلق فعل نفسه من خير وشر ولا يفرقون.

قال القاضي عبد الجبار: وهو يتكلم عن خلق الأفعال.. «والغرض به الكلام في أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها»^(٥).

(١) أخرجه الترمذي (كتاب القدر (٢١٤٥)، وأحمد (٧٦٠) وابن أبي شيبة في الإيمان (ح ٣). بسند صحيح.

(٢) أخرج مسلم (كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان ح ٨).

(٣) أخرجه أحمد (٦٦٦٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٣، ١٣٤) والآجري في الشريعة (١٨٨). بسند حسن.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح (٢٦٥٣).

(٥) شرح الأصول الخمسة (٣٢٣).

وقال في المغني: «اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم من جهتهم، وأن الله - عز وجل - أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث لها سواهم»^(١).

وحكى الشهرستاني: أن واصل بن عطاء يقول: «العبد هو الفاعل للخير والشر والإيمان والكفر والطاعة والمعصية، وهو المجازي على فعله والرب - تعالى - أقدره على ذلك كله»^(٢).

وقال أبو المظفر الإسفراييني: في تفصيل مقالات المعتزلة والقدرية «ومما اتفقوا عليه: قولهم: إن أفعال العباد مخلوقة لهم، وأن كل واحد منهم من جملتهم الحيوانات خلق أفعاله»^(٣).

وقال ابن حزم: «اتفق أهل العدل على أن العبد خالقون أفعالهم، وأن الله أقدرهم على ذلك»^(٤).

وقال الأشعري: «أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لم يخلق الكفر والمعاصي، ولا شيئاً من أفعال غيره»^(٥).

قال شيخ الإسلام: «ومن توهم عنهم أو من نقل عنهم أن الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم، فإن هذا لم يقله أحد

(١) المغني (٣/٨).

(٢) الملل والنحل (٤٧/١).

(٣) التبصر في الدين (٦١).

(٤) الفصل (٤١/٣).

(٥) المقالات (٢٧٣/١).

من علماء القدرية ولا يمكن أن يقوله، فإن أصل قولهم: أن فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية، كلاهما فعله بقدرته تحصل من غير أن يخصه الله بإرادة خلقها فيه، ولا قوة جعلها فيه تختص بأحدهما»^(١).

إلا أن القول بأن الخير من الله والشر من النفس قد نُسب لإحدى فرق القدرية، فقد قال الملطي: «وأما القدرية فهم سبع فرق وهم أصناف، فصنف منهم يزعمون أن الحسنات من الله والخير من الله، والشر والسيئات من أنفسهم لكي لا ينسبوا إلى الله شيئاً من السيئات والمعاصي، ويتكلمون بأشياء لا أستجيز ذكرها تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً»^(٢).

ويبدو أن القول بأن الخير من الله والشر من النفس ومن إبليس؛ قول القدرية الأولى، فقد روى اللالكائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلاً قدم عليه يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه، وهو يومئذ أعمى، فقالوا له: ما تصنع به؟ فقال: والذي نفسي بيده لئن استمكننت منه لأعضّ أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبتة بيدي لأدقنها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأني بنساء بني فهم يظفن بالخزرج تصطك ألياتهن مشركات، وهذا أول شرك في الإسلام»، والذي نفسي بيده لينتهي بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يقدر الخير كما أخرجوه من أن يقدر الشر»^(٣).

(١) الفتاوى (١١٦/٨).

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (١٥٧) ط الكوثري.

(٣) شرح أصول الاعتقاد (٤/٢٢٥).

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: «يكون قوم من أمتي يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى، قال: قلت: جعلت فداك يا رسول الله وكيف ذاك، قال: يقرون ببعض القدر ويكفرون ببعضه، قال: قلت: ثم ما يقولون؟ قال: يقولون: الخير من الله والشر من إبليس ثم يقرأون على ذلك كتاب الله ويكفرون بالقرآن»^(١).

وروى الخلال في كتاب السنة: أن رجلاً قال لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: إن عندنا أقواماً يقولون: إن الله خلق الخير ولم يخلق الشر، ويقولون: القرآن مخلوق، فقال: هذا كفر، هؤلاء قدرية جهمية، الخير والشر مقدر على العباد، قيل له: الله خالق الخير والشر؟ قال: نعم، الله قدره^(٢).

استدل المؤلف - رحمه الله - على مذهب أهل السنة بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٣).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦٢٥/٤) وقال الهيثمي في المجمع (٢٠٢/٧): «رواه الطبراني بأسانيد في أحسنها ابن لهيعة وهو لين الحديث». وأخرجه الآجري في الشريعة (١٩٢) وفيه اس لهيعة إلا أن الرواي عنه هو عبد الله بن يزيد المقرئ، وقد قال ابن حجر في التهذيب (٣٧٨/٥)، رواية العبادلة عن ابن لهيعة مقبولة وذكر منهم عبد الله بن يزيد.

(٢) السنة (٥٤٣/٣).

(٣) سورة النساء، آية ٧٨.

ووجه استدلاله بها: أن الله جعل الحسنات من عنده كما جعل السيئات من عنده، والقدرية لا يقولون بذلك في الأعمال بل في الجزاء.

وقد فرق الله بين الحسنة التي هي النعم وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله وهذه من نفس الإنسان: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾^(١)، لأن الحسنة مضافة إلى الله إذ هو أحسن بها من كل وجه، فما من وجه من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لحكمة وهي باعتباره مالك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير^(٢).

وقد بسط المؤلف - رحمه الله - هذه المسألة في كتاب التبصرة، وحشد الأدلة التي تدل على مذهب السلف.

ومما استدل به في الرد على من يقول: الخير من الله والشر من العبد ومن إبليس: «هو أنا نقول: إنه لا يجوز أن يكون في داره ما لا يريد كما لا يجوز أن يكون في داره ما لا يعلم»^(٣).

«وأنه لا يجوز أن يكون من فعل خلقه ما لا يريد كما لا يجوز أن يكون من فعل نفسه ما لا يريد»^(٤).

(١) سورة النساء، آية ٧٩.

(٢) انظر. التبصرة (٢٨-٢٩).

(٣) التبصرة (٢٨).

(٤) المصدر نفسه (٢٩).

ومما استدل به : «أنهم جعلوا إرادة إبليس وإرادة أنفسهم أقوى من إرادة الله - تعالى - وأغلب، فقالوا: أراد إبليس المعاصي فوجدت، وأراد الله أن لا يكون ذلك فكان، فجعلوا إبليس وأنفسهم أقوى من الله وأغلب وقد اعترف عبّاد الأصنام على أن الخير والشر من الله تعالى .
فقال عنترة :

يا عبد أين من المنية مهربي إن كان ربي في السماء قضاها^{(١)(٢)}
ومما استدل به «أنه لو كانت المعصية بغير إرادته للحقه الضعف والعجز والوهن والقصور عن بلوغ مراده، والله - سبحانه وتعالى - عزّ عن ذلك علواً كبيراً»^(٣).

والذي حمل المعتزلة والقدرية والرافضة على قولهم شبهة أن الله لو كان خالقاً لأفعال العباد لكان ظالماً، لأن في أفعالهم الظلم والله - تعالى - منزّه عن ذلك^(٤).

والجواب عن هذه الشبهة أن يقال :

لا نزاع بين المسلمين أن الله عادل ليس ظالماً، لكن ليس كل ما كان ظلماً من العبد يكون ظلماً من الرب، ولا ما كان قبحاً من العبد

(١) المصدر نفسه (٢٩).

(٢) انظر: ديوان عنترة (١١٥) ط. أمين الحولي.

(٣) التبصرة (٢٩).

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة (٣٤٥).

يكون قبيحاً من الرب، فإن الله - تعالى - ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله^(١).

ويقال: إن قياسكم أفعال الله على أفعال العباد خطأ ظاهر، لأن السيد إذ أمر عبده بأمره فهو لحاجته إلى ذلك، فإذا أثابه على ذلك كان من باب المعاوضة وليس له حكمة يطلبها إلا حصول ذلك الأمور به، فإذا قَدَّرَ أنه لم يعوّض الأمور كان ظالماً، والله غني عن العباد إنما أمرهم بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم فهو محسن إلى عباده بالأمر لهم، محسن لهم بإعانتهم على الطاعة، فإن أعانهم على فعل الأمور كان قد أتمّ النعمة على الأمور، وإن لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب كان له في ذلك حكمة أخرى، وإن كانت مستلزمة تألم هذا، فإنما تألم بأفعاله الاختيارية التي من شأنها أن تورثه نعيماً أو ألماً، وإن كان ذلك الإيراث بقضاء الله وقدره، فلا منافاة بين هذا وهذا، فجعله مختاراً من كمال قدرته وحكمته، وترتيب آثاره الاختيارية عليه من تمام حكمته وقدرته.

لكن يبقى الكلام في نفس الحكمة الكلية في هذه الحوادث، فهذه ليس على الناس معرفتها، وكيفيهم التسليم لما قد علموا أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها. ومن المعلوم ما لو علمه كثير من الناس لضرهم علمه، وليس

(١) انظر: البصرة (٣٢).

اطَّلَاعَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بَلْ أَكْثَرَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ نَافِعًا لَهُمْ
بَلْ قَدْ يَكُونُ ضَارًّا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ
تَسْأَلُكُمْ﴾ (١)(٢).

* * *

(١) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٢) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٣/٣٧-٣٨-٣٩).

يُسأل عن الإيمان، ما هو^(١)؟

فإن قال: الإيمان^(٢) قول، وعمل، ونية، ورافقة السنة^(٣)، فهو سني.

وإن قال: اعتقاد بالقلب، فهو أشعري.

وإن قال: قول بلا عمل، فهو مرجيء^(٤)(٥).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾^(٦)(٧).

* * *

(١) «ما هو» ليست في م.

(٢) «الإيمان» ليست في م.

(٣) «وموافقة السنة» ليست في م.

(٤) في الهامش: «وإنما سموا مرجئة لأنها زعمت أن الواحد من المكلفين إذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وفعل بعد ذلك سائر المعاصي، لم يدخل النار».

(٥) سُمي المرجئة بذلك لقولهم بالإرجاء، وأصل الإرجاء التأخير وذلك أنهم قالوا: إن الإيمان هو بالقلب وإن تأخر الإقرار باللسان والعمل بالجوارح أو فقد، وقالوا بناءً على هذا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وأجمعوا على أنه لا يدخل النار إلا الكفار.

انظر: البرهان (١٧) والملل والنحل للشهرستاني (١/١٣٩)، ومقالات الإسلاميين (١/٢١٣).

(٦) من قوله: «دليلنا إلى قوله... ثم اهتدى» ليست في م.

(٧) سورة طه، آية: ٨٢.

دراسة المسألة :

ما قرره المؤلف: هو قول أهل السنة والجماعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «ومن هذا الباب: أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح»^(١).

قال ابن رجب «والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان»^(٢).

وأقوال السلف جميعها على أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال سهل بن المتوكل الشيباني: أدركت ألف أستاذ أو أكثر، كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص^(٣).

وقال يعقوب بن سفيان: أدركت أهل السنة والجماعة على ذلك.

قال الآجري: «اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أنَّ الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب،

(١) كتاب الإيمان (١١٢) ط المكتب الإسلامي

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٣).

(٣) شرح أصول الاعتقاد (٣/٩٥٧).

وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح»^(١).

قال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»^(٢).

وقال الشافعي: «كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجرىء واحد من الثلاث إلا بالآخر»^(٣).

ما ذكره المؤلف من أن مذهب الأشاعرة أنهم يقولون: الإيمان هو اعتقاد القلب صواب، فقد قال الباقلاني: «واعلم أن حقيقة الإيمان هو التصديق والدليل عليه قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف - عليه السلام -: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾»^(٤)، أي بمصدق لنا، وأيضاً أن الرسول - عليه السلام - لما أخبر عن كلام البقرة والذئب فقال: أنا أؤمن به وأبوبكر وعمر يريد أصدق، وأيضاً قول أهل اللغة: فلان يؤمن بالبعث والجنة والنار أي يصدق به وفلان لا يؤمن بعذاب الآخرة أي لا يصدق به»^(٥).

قال أبو الحسن الأشعري: «إن قال قائل: ما الإيمان عندكم بالله

(١) الشريعة (١١٩) ط السنة المحمدية.

(٢) التمهيد (٢٣٩/٩).

(٣) الإيمان (١٩٧) لابن تيمية وقد عزاه إلى كتاب الأم ولم أجده في المطبوع.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٧.

(٥) الإنصاف (٥٥).

- تعالى -، قيل له: هو التصديق بالله وعلى ذلك إجماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(١)، أي بمصدق لنا، وقالوا جميعاً: فلان يؤمن بعذاب القبر والشفاعة يريدون يصدق بذلك؛ فوجب أن يكون الإيمان هو ما كان عند أهل اللغة إيماناً وهو التصديق^(٢).

وقال المكلاتي: «والمختار عندنا أن الإيمان: هو التصديق»^(٣).

وقال الجويني: «والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان: التصديق بالله فالمؤمن بالله من صدقة»^(٤).

قول المؤلف: «وإن قال قول بلا عمل فهو مرجىء».

قال الأشعري في المقالات: «والفرقة الثانية عشرة من المرجئة الكرامية أصحاب محمد بن كرام، يزعمون: أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب»^(٥).

قال شيخ الإسلام: وهو يذكر أقوال المرجئة في مسمى الإيمان «... وصنف يقولون هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل

(١) سورة يوسف، آية: ١٧.

(٢) التلمع (٧٥) الأشعري

(٣) لباب العقول في الرد على الفلاسفة (٣٨٧) د. فوقية حسين وانظر: غاية المرام (٣٠٩) الآمدي.

(٤) الإرشاد (٣٩٧).

(٥) المقالات (٢/٢٢٣).

الكرامية»^(١) .

ولا ريب أن الحق في هذه المسألة هو قول أهل السنة والجماعة ، وهو إجماع السلف ، والأدلة عليه متظاهرة ، فمنها ما استدل به المؤلف وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾^(٢) .

ووجه الدلالة : أن الله شرط المغفرة بالإيمان بالقلب ، والعمل بالجوارح ، ثم الاستقامة على ذلك ، وعدم الشك فيه كما قال سفيان الثوري : «كنا نسمع قوله عز وجل : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ أي من الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ أي بعد الشرك ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ صلى وصام ﴿ ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ مات على ذلك»^(٣) .

ومن أدلة أهل السنة على قولهم قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾^(٤) .

والمراد يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ، فسمى الصلاة إيماناً^(٥) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(١) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ^(٢) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ

(١) الفتاوى (١٩٥/٧) .

(٢) سورة طه ، آية : ٨٢ .

(٣) تفسير القرطبي (٢٣١/١١) طبعة الرياض الحديثة .

(٤) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(٥) تفسير ابن كثير (٢٧٨/١) وانظر : الدر المنثور (١٤٦/١) .

وَرَزَقُ كَرِيمٌ ﴿١﴾

فأثبت الله في هذه الآية أن الإيمان يزيد، وأن الأعمال داخلة في مسماه.

ومن الأدلة قوله ﷺ: «من أعطى الله، ومنع الله، وأوحب الله، وأبغض الله، وأنكح الله، فقد استكمل إيمانه»^(٢).

فدل على أن الإيمان ينقص ويكمل، والأعمال منه.

ومن الأدلة: أنا أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - استباح قتل مانعي الزكاة، وأجمعت الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك، فلو كان الإيمان قولاً بلا عمل - كما قالت المرجئة -، أو اعتقاداً كما قالت الأشعرية - لما جاز قتلهم وقتالهم^(٣).

* * *

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢-٤.

(٢) أخرجه الترمذي (في كتاب صفة القيامة) ح (٢٥٢٢) من حديث معاذ الجهني وقال: حديث حسن والإمام أحمد في المسند من حديث معاذ الجهني ح (١٥١٩)، (١٥٢١١).

(٣) انظر: التبصرة (٤١) لأبي الفرج الشيرازي.

يُسأل: عن الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله أو صمت أو صليت إن شاء الله.

فإن قال به: فهو سني.

وإن أنكر الاستثناء^(١)، فهو أشعري^(٢).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾^(٤)، ولم يكن ذلك الاستثناء شكاً في الوعد، وإنما كان تحقيقاً له^(٥).

* * *

(١) في م «وإن أنكره».

(٢) في م زيادة «أو مرجىء».

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٤.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٧.

(٥) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله: «تحقيقاً له» ليست في م.

دراسة المسألة :

مذهب أهل السنة والجماعة: هو ما قرره المؤلف من أنَّ الاستثناء في الإيمان جائز ومشروع.

قال يحيى بن سعيد القطان: «ما أدركت أحداً من أصحابنا، ولا بغلنا إلا على الاستثناء»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه، والثوري، وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان، فيما يرويه عن علماء أهل البصرة، وأحمد بن حنبل، وغيره من أئمة السنة، فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم...»^(٢).

والذي حمل السلف على الاستثناء في الإيمان، ليس الشك في الإيمان وحاشاهم من ذلك، وإنما حملهم على ذلك مآخذ:

المأخذ الأول: يفسره قول الإمام أحمد: «أذهب إلى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان قول وعمل، والعمل الفعل فقد جئنا بالقول ونخشى أن نكون قد فرطنا في العمل، فيعجبني أن نستثني في الإيمان، بقول: أنا مؤمن إن شاء الله»^(٣).

(١) السنة (٥٩٥/٣) للخلال.

(٢) افتاوى (٤٣٨/٧).

(٣) السنة (٦٠٠/٣) للخلال.

المأخذ الثاني: أنهم لا يعلمون هل تقبلت أعمالهم أم لم تقبل؟

قال ابن بطة: «فهذه سبيل المؤمنين وطريق العقلاء من العلباء لزوم الاستثناء والخوف والرجاء، لا يدرون كيف أحوالهم عند الله، ولا كيف أعمالهم مقبولة هي أم مردودة، قال الله - عز وجل -: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(١)».

المأخذ الثالث: بعدهم عن تركية أنفسهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا قال الرجل: أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله، وهذا من تركية الإنسان لنفسه وشهادته لنفسه بما لا يعلم، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذا الحال، ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة فشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته لنفسه بالجنة إذا مات على هذه الحال، وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون»^(٣).

المأخذ الرابع: أن الاستثناء يجوز في الأمور المتيقنة التي لا شك فيها، وقد جاءت السنة بمثل هذا لما فيه من الحكمة^(٤).

عن محمد بن الحسن بن هارون قال: سألت أبا عبد الله عن

(١) سورة المائدة، آية: ٢٧.

(٢) الإبانة (٢/ ٨٧٢).

(٣) الفتاوى (٧/ ٤٤٦).

(٤) الفتاوى (٧/ ٤٥٠).

الاستثناء في الإيمان؟

فقال: نعم الاستثناء على غير معنى شك مخافةً واحتياطاً للعمل، وقد استثنى ابن مسعود وغيره، وهو مذهب الثوري، قال الله - عز وجل -: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾^(١) وقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله»^(٢)، وقال في البقيع: «عليه تبعث إن شاء الله»^{(٣)(٤)}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً كلام الإمام أحمد هذا: «فقد بين أحمد أن يستثنى مخافة واحتياطاً للعلم، فإنه يخاف أن لا يكون قد كمل المأمور به، فيحتاط بالاستثناء، وقال على غير معنى شك يعني من غير شك مما يعلمه الإنسان من نفسه، وإلا فهو يشك في تكميل العمل الذي خاف أن لا يكون كماله، فيخاف من نقصه ولا يشك في أصله»^(٥).

قال أبو الفرج الشيرازي: «فإن قيل فقد تحقق بإتيان الإيمان فكيف يجوز أن يستثنى؟

فالجواب: هو أنا قد بينّا أن الاستثناء لا ينفي التحقيق، وإنما هو

(١) سورة الفتح، آية: ٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر (١١١٠) وأحمد (٢٣٨٦٤) (٢٥٥٥٢) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٨)، وأحمد (٨٥٥١)، جزء من حديث في ذكر فتنة القبور.

(٤) السنة (٥٩٣/٣) الخلال.

(٥) الفتاوى (٤٥٠/٧).

ترجي وتذلل إلى الله تعالى، والاستثناء لم يقع بشك في الفعل، وإنما وقع خوفاً من الخاتمة، وخوفاً من عدم القبول، فإذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله فيكون معناه، إن قبل الله - تعالى - إيماني وأمانتي عليه وكذلك قوله: «صليت إن شاء الله - تعالى -» معناه إن قبل الله صلاتي، وقوله: أصلي إن شاء الله - تعالى - أي إن يسر الله - تعالى - ذلك، وقد قال الإمام أحمد - رضي الله عنه -: الاستثناء ليس بشك، وليس بداخل في الشك، وإنما توقع وترج، فإن قيل كما جاز أن يقول: أنا حي حقاً، جاز أن يقول أنا مؤمن حقاً^(١).

والجواب: أنا نقول ليس للحياة وغيرها عاقبة مغيبة عنه، فيستثني لأجلها، وليس كذلك في الإيمان، فإن له عاقبة مغيبة عنه وقبول أفعاله وموته على ذلك فلذلك جاز الاستثناء^(٢).

نسب المؤلف القول بإنكار الاستثناء في الإيمان للأشاعرة، والمشهور عنهم أنهم يقولون بوجوب الاستثناء^(٣).
والذين ينكرون الاستثناء في الإيمان هم المرجئة والجهمية والماتريدية^(٤).

(١) انظر: الشريعة (١٣٨) للأجري.

(٢) التبصرة (٦٥)

(٣) انظر: الإنصاف (٦٠) والروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية (٨) وسبه لهم ابن أبي شريف النقدي في المسامرة (٢٨٣).

(٤) انظر: التوحيد (٣٨٨) الماتريدي، وفيه «قال الماتريدي: لأصل عندنا قطع القول بالإيمان وبالتسمي به بالإطلاق وترك الاستثناء فيه».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فالناس فيه على ثلاثة أقوال: منهم من يوجب، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين، وهذا أصح الأقوال، فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم، ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك ما في قلبه»^(١).

وقد استدل - رحمه الله - على الاستثناء في الإيمان بدليلين:
أما الأول: فقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٢).

قال ابن كثير: «هؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه، فادبوا على ذلك»^(٣).
فدل على أن مقام الإيمان درجة ليس كل مسلم يبلغها، ولا يعلم ذلك فله أن يستثنى في إيمانه كما هو متقرر عند السلف.

أما الثاني: فقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾^(٤).

(١) الإيمان (٤١٠).

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٤.

(٣) تفسير ابن كثير (٣٦٨/٧).

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٧.

ووجه الدلالة: أن الله استثنى في الأمور المتيقنة المتحققة لا محالة، فلا استثناء فيما دونها أولى، ولهذا قال الإمام أحمد لما قيل له: يُستثنى في الإيمان؟ قال: نعم، أقول أنا مؤمن إن شاء الله، استثنى على اليقين لا على الشك، ثم قال: قال الله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾^(١)، فقد أخبر الله - تعالى - أنهم داخلون المسجد الحرام^(٢).

* * *

(١) سورة الفتح، آية: ٢٧.

(٢) الفتاوى (٤٥٢/٧).

يُسأل: عن الإيمان، فإن قال: الإيمان^(١) يزيد وينقص، فهو سني.

وإن قال: هو قائم لا يزيد ولا ينقص، فهو مرجىء كافر مبتدع^{(٢)(٣)}.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾^(٤).

وقوله: على أنه ينقص: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾

الآية، إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾^(٥)، الآية وقوله: ﴿إِنَّمَا

(١) «الإيمان» ليست من م.

(٢) في م «وإن أنكره فهو مبتدع».

(٣) رحم الله المؤلف بإطلاقه حكم الكفر على المرجئة فيه نظر، فإنه حكم شرعي لا يطلق لفظه إلا بدليل واضح وبعد إقامة الحجة، وهم لا ينكرون آيات زيادة الإيمان وإنما يتأولونها تأويلاً يخالف ما عليه سلف الأمة.

قال شارح الطحاوية (٣٥٦) في شرح كلام الطحاوي: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب عمله» وقال: «... وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال - يعني الكفر بالكبائر - لكن في الاعتقادات البدعية وإن كان صاحبه متأولاً، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون: يكفر كل مبتدع، وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات أمور عظيمة، فالنصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء - يعني المرجئة - لا تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك... حتى قال: والمقصود هنا أن البدع هي من هذا الجنس، فإن الرجل يكون مؤمناً باطناً وظاهراً لكن تأول تأويلاً، أخطأ فيه إما مجتهداً وإما مفرطاً مذنباً فلا يقال: إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي...». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الرسائل والمسائل - الكيلانية (١٣): «وأما المرجئة فلا تختلف نصوص أحمد أنه لا يكفرهم فإن بدعهم من جنس اختلاف الفقهاء في الفروع».

(٤) سورة الفتح، آية: ٤.

(٥) سورة النور، الآيتان: ٤، ٥.

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿١﴾ الْآيَةُ (٢).

* * *

(١) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٢) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله: «... وجلت قلوبهم... الآية» ليس في م.

دراسة المسألة:

مذهب أهل السنة والجماعة: هو ما قرره المؤلف من أن الإيمان يزيد وينقص والأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ متظاهرة في الدلالة على ذلك.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١)، وقال: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٢) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدَوْا هُدًى وَالْبَغْيَ نَصْلَحْتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ (٤).

وأما الأدلة من السنة فقد ساق البخاري في - باب زيادة الإيمان ونقصانه - حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برّة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير» (٤).

ومن الأدلة: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال

(١) سورة الأنفال، آية ٢.

(٢) سورة التوبة، الأيتان: ١٢٤، ١٢٥.

(٣) سورة مريم، آية: ٧٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه ح (٤٤).

رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(١).

قال عمير بن حبيب: الخطمي - رضي الله عنه -: «الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وخشيناه فذلك زيادته، فإذا غفلنا وضيّعنا فذاك نقصانه»^(٢).

«وكان عمر - رضي الله عنه - ربما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: قم بنا نردد إيماناً»^(٣).

قال سفیان بن عيينة: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: ب أبا محمد تقول ينقص؟ فقال: اسكت يا صبي! بل ينقص، حتى لا يبقى منه شيء»^(٤).

قال ابن منده - رحمه الله -: «والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال والمراقبة لله في السر والعلانية، وترك اعتقاد المعاصي، فمنها قيل: الإيمان يزيد وينقص»^(٥).

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «فالأمر الذي عليه السنة عندنا ما نصّر عليه علمائنا ممّا اقتصصناه في كتابنا: هذا أنّ الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً، وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب زيادة الإيمان ونقصانه (٦٠/٥) ح (٤٦٨٢) سند حسن.

(٢) الإيمان (٧) لابن أبي شيبة والشرعية (١١١، ١١٢) للآجري.

(٣) الإيمان (٣٦) لابن أبي شيبة والشرعية (١١٢) للآجري.

(٤) الشرعية (١١٧) للآجري والصابوي في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٧١).

(٥) الإيمان (١/٣٠٠).

وأعلاها الشهادة باللسان كما قال ﷺ في الحديث الذي جعله فيه بضعةً وسبعين جزءاً، فإذا نطق بها القائل، أقرَّ بما جاء من عند الله، لزمه اسم الإيمان بالدخول فيه بالاستكمال عند الله لا على تزكية النفوس، وكلَّما ازداد الله طاعة وتقوى ازداد به إيماناً^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقرآن نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص على نقصه كقوله: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، لكن لم يعرف اللفظ إلا في قوله في النساء «ناقصات عقل ودين»، وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص»^(٢).

وقد خالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة المرجئة والجهمية فقالوا: «لا يزيد ولا ينقص».

قال الأشعري: «وزعمت الجهمية... أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه»^(٣).

قال أبو الحسن الملقب في باب ذكر المرجئة: «وقد ذكرت المرجئة في كتابنا هذا أولاً وآخرأ، إذ قولها خارج من التعارف والعقل، ألا ترى أن منهم من يقول: من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحرَّم ما حرَّم الله، وأحلَّ ما أحلَّ الله، دخل الجنة، إذا

(١) الإيمان (٦٦).

(٢) الفتاوى (٥١/١٣).

(٣) المقالات (٢١٤/١) م النهضة.

مات وإن زنى وإن سرق، وقتل، وشرب الخمر، وقذف المحصنات وترك الصلاة، والزكاة، والصيام، إذا كان مقراً بها يسوف التوبة لم يضره وقوعه على الكبائر، وتركه الفرائض وركوبه الفواحش، وإن فعل ذلك استحلالاً كان كافراً بالله مشركاً، وخرج من إيمانه وصار من أهل النار، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وإيمان الملائكة والأنبياء والأئمة وعلماء الناس وجُهاً لهم واحد لا يزيد منه شيء على شيء أصلاً^(١).

قال سليم بن منصور:

أيها القائل إني مؤمن إنما الإيمان قول وعمل
إنما الإرجاء دين محدث سنة جهم بن صفوان فخل^(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجههم وأتباعه إنما قالوا بهذا القول؛ لأن الإيمان عندهم مجرد التصديق، فمن صدق بقلبه فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان، وإن تكلم بالكفر وسب الله ورسوله ﷺ وسخر بالدين، وأحل المحرمات، وفعل غير ذلك من الأمور التي هي كفر بواح.

والتصديق عندهم يتساوى فيه العباد، ولا يقبل الزيادة والنقصان، فهو إما أن يعدم وإما أن يوجد، ولا يقبل التبعض، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، ولا يتفاضل الناس فيه، فإيمان الملائكة والأنبياء والصدّيقين، وإيمان فساق الأمة وأهل الخنا والفجور سواء»^(٣).

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء (٤٧ - ٤٨).

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ١٨٥٣) اللالكائي وانظر: الإيمان لأبي يعلى (٢٧٥).

(٣) الفتاوى (٧/ ٨٥٢).

قال سفيان الثوري: «اتقوا هذه الأهواء، قيل له بين لنا رحمك الله فقال: أما المرجئة فيقولون: الإيمان كلام بلا عمل، من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فهو مؤمن مستكمل الإيمان، إيمانه على إيمان جبريل والملائكة، وإن قتل كذا وكذا مؤمناً، وإن ترك الغسل من الجنابة، وإن ترك الصلاة»^(١).

قال ابن بطه العكبري: «احذروا رحمكم الله من يقول: أنا مؤمن عند الله، وأنا مؤمن كامل الإيمان، ومن يقول إيماني كإيمان جبريل وميكائيل، فإن هؤلاء مرجئة أهل ضلال وزيف وعدول عن الملة»^(٢).

قيل لعبد الله بن أبي ملكية: يا أبا محمد إن ناساً يجالسونك يزعمون أن إيمانهم كإيمان جبريل، فغضب ابن أبي ملكية، فقال: والله ما رضي الله لجبريل حتى فضله بالثناء على محمد ﷺ فقال: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾^(٣)، يعني محمداً ﷺ، أفأجعل إيمان جبريل وميكائيل كإيمان فهدان^(٤)، لا والله ولا كرامة»^(٥).

قال الآجري معلقاً على هذا الأثر بعد روايته: «ومن قال هذا فقد أعظم الفرية على الله، وأتى بضد الحق وبما ينكره جميع العلماء لأن

(١) شرح أصول الاعتقاد (٣/١٨٣٤) لإبى الكاني.

(٢) الإبانة (٢/٨٩٩) ت الانبوي.

(٣) سورة التكوين، الآيات: ١٩-٢٢.

(٤) فهدان: رجل مشهور بفقهه

(٥) أبو عبيد في الإيمان (٧٠) والآجري في الشريعة (١٤٧).

قائل هذه المقالة يزعم أنَّ من قال: لا إله إلا الله لم تضره الكبرائر أن يعملها، ولا الفواحش أن يرتكبها، وأن عنده أن البارّ التقى الذي لا يباشر من ذلك شيئاً والفاجر يكونان سواء، وهذا منكر قال الله - عز وجل -: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْنُهُمْ وَمَا هُمْ بِبِشْرٍ﴾ (١)، وقال عز وجل ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢).

فقل لقائل هذه المقالة المنكرة: يا ضال يا مضل إن الله عز وجل لم يسوّ بين الطائفتين من المؤمنين في أعمال الصالحات حتى فضل بعضهم على بعض درجات، قال الله - عز وجل -: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣)، فوعدهم الله كلهم بالحسنى بعد أن فضل بعضهم على بعض وقال الله - عز وجل -: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ (٤)، ثم قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٥) وكيف يجوز لهذا الملحد في الدين أن يسوي بين إيمانه وإيمان جبريل وميكائيل، ويزعم أنه مؤمن حقاً (٦).

(١) سورة البجائية، آية: ٢١.

(٢) سورة ص، آية: ٢٨.

(٣) سورة الحديد، آية: ١٠.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٥) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٦) الشريعة (١٤٧-١٤٨) الآجري.

يُسأل: عن العبد، هل يكفر بالمعصية، أم^(١) لا؟
 فإن قال: لا يكفر بالمعصية، فهو سني^(٢). وإن قال: يكفر، فهو
 معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
 النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ
 سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(٤).

إلى قوله: ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾^(٥).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٦).

وقوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، ما لم يكن في دينهم

(١) الصواب: لغة أن يقال: «أو» فإنه لا يعطف بأم إلا بعد همزة التسوية قال ابن مالك:
 «وأم بها أعطف إثر همز التسوية أو همزة عن لفظ «أي» مغنية» كقولك: سواء علي
 أقبت أم قعدت، والتي تقع بعد همزة مغنية عن أي نحو: أزيد عندك أم عمرو أي:
 أيهما عندك».

انظر: شرح ابن عقيل (٢٢٩/٣).

(٢) في م «فإن قال: لا يكفر بالمعصية بل ينقص إيمانه فهو سني».

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨، ٧٠.

(٤) في الحاشية: «فغوى» أي: فضل وتولى عن طاعته، مقاتل» وكأنه يشير إلى أن التفسير
 من كلام مقاتل.

(٥) سورة طه، الآيتان: ١٢١-١٢٢.

(٦) سورة النساء، آية: ٤٨، ١١٦.

بدعة (١)(٢).

* * *

(١) هذا الحديث بريادة «ما لم يكن في دينهم بدعة» (لم أجده بهذا اللفظ) ولفظ «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة من حديث أنس ح (٢٤٣٥) وقال حسن غريب من هذا الوجه، وله شاهد من حديث جابر (٢٤٣٦) قال الترمذي: حسن غريب وابن ماجه في كتاب الزهد باب الشفاعة ح (٤٣١٠).

والآجري في الشريعة (٣٣٨) وابن خزيمة في التوحيد (٢٧١) وابن أبي عاصم في السنة ح (٨٣٢). واسناد الحديث صحيح. وروى ابن وضاح ص ٣٦ في كتابه البدع من طريق أبي عبد السلام عن بكر المزني مرفوعاً: «حلت شفاعتي لأمتي إلا صاحب بدعة» وبكر تابعي لم يدرك النبي ﷺ وسنده ضعيف، فأبى عبد السلام صاحب بن رسته الهاشمي محمول كما في التقريب (٢٨٦٠).

(٢) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله: «...» (ما لم يكن في دينهم بدعة) ليس في م.

دراسة المسألة :

ما قرره المؤلف : هو معتقد أهل السنة والجماعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «ومن أصول أهل السنة والجماعة : أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ، كما قال سبحانه في آية القصاص : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(١) ، وقال : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَعِّلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴾^(٢) ، ولا يسلبون الفاسق المليّ الإسلام بالكلية ، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة ، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾^(٣) ، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾^(٤) ، وقوله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا

(١) سورة البقرة ، آية : ١٧٨ .

(٢) سورة الحجرات . آية . ٩ .

(٣) سورة النساء ، آية : ٩٢ .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٢٠ .

يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»^(١). ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الإسلام المطلق ولا يسلب الاسم المطلق»^(٢).

قال الإمام أبو إسماعيل الصابوني: «ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة: صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله - عز وجل -، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة، سالماً غانماً، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار»^(٣).

قال الإمام أبو القاسم الاصبهاني: «فصل في بيان أن المسلمين لا يضرهم الذنوب إذا ماتوا عن توبة عنها من غير إصرار، وإن ماتوا من غير توبة فأمرهم إلى الله عز وجل إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، وقال محمد بن سيرين: لا نعلم أحداً من أصحاب محمد ﷺ ولا غيرهم من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثماً»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم باب النهي بغير إذن صاحبه (٢٤٧٥).

(٢) الواسطية بشرح ابن فوزان (١٧٨).

(٣) عقيدة أصحاب الحديث (٢٧٦). د. ناصر الجديع.

(٤) الحجة في بيان المحجة (٢٧٤/٢).

وقد خالف أهل السنة والجماعة في هذا الأصل الخوارج والمعتزلة والمرجئة فقالت الخوارج: «مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا وفي الآخرة مخلد في النار».

قال الإسفراييني: «والخوارج يزعمون أن كل من أذنب ذنباً من أمة محمد - ﷺ - فهو كافر ويكون في النار مخلداً»^(١).

وقالت المعتزلة: «مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين منزلتين».

قال ابن المرتضي: «وأما ما أجمعت عليه المعتزلة، فقد أجمعت على المنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق لا يسمى مؤمناً ولا كافراً»^(٢).

قال القاضي عبد الجبار: «إن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين فلا يكون اسمه اسم كافر ولا اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً، وكذلك صاحب الكبيرة له حكم بين الحكمين فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث»^(٣).

وقالوا: إن خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون خالداً مخلداً في النار مع جملة الكفار»^(٤).

(١) التبصير في الدين (٤٦) وانظر: التنبيه (٥١) الملطي، والمقالات (١٦٨) الأشعري

(٢) المنية والأمل (٦).

(٣) شرح الأصول الخمسة (٦٩٧).

(٤) انظر: التبصير في الدين (٦٢) الاسفراييني.

وقالت المرجئة: «من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وحرّم ما حرّم الله وأحل ما أحل الله، دخل الجنة إذا مات وإن زنى، وإن سرق، وقتل، وشرب الخمر، وقذف المحصنات، وترك الصلاة والزكاة والصيام، إذا كان مقرأً بها يسوف التوبة لم يضره وقوعه على الكبائر، وتركه الفرائض وركوبه الفواحش»^(١).

والذي تدل عليه الأدلة من الكتاب والسنة أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢)، ولم يقل سبحانه: إنهم مع فسقهم كفار، ولم يقل: إنهم مؤمنون كاملوا الإيمان.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٣).

فأثبت سبحانه أن غير الشرك مغفور، فلو كانت الكبائر كفراً لم تكن مغفورة؛ لأنها كفر.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾^(٤) فسماهما الله مؤمنين مع الاقتتال.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَى لِمَنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأُتْبَاعُهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٥) فسماه أخاً

(١) التنبيه والرد (٤٧) المططي.

(٢) سورة النور، آية: ٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٤) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٧٨.

مع وجود القتل، ففيه دليل على أن العاصي لا يخرج من الإيمان بمجرد الذنوب والمعاصي.

وقد جاء في الحديث: «أن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»^(١) وأن: «الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»^(٢).

فعلم أن الإيمان بقبل التبعض والتجزئة، وأن قليله يخرج به صاحبه من النار إن دخلها، ولو كان العاصي كفراً: ينقل عن الملة بالكلية لكان مرتداً، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقه وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ونصوص الكتاب والسنة تدل على أن الزاني والسارق وشارب الخمر والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد^(٣).



-
- (١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه ح (٤٤) ومسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة ح (٣٢٥).
- (٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان ح (٩) ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان ح (٥٨).
- (٣) انظر: التنبيهات السنية (٥٣) لابن رشيد والإيمان (٣٢٦) لأبي يعلى والتنبيه والرد (٥٣)، المملطي.

يُسأل: عن القرآن، هل تكلم الله^(١) به^(٢) بحرف وصوت، أم^(٣) كلامه معنى قائم في نفسه أو بذاته، فإن قال: تكلم به بحرف وصوت، فهو سني.

وإن قال: كلامه قائم بذاته، فهو أشعري.

وإن قال: أحدث كلاماً، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿الْمَ ذَلِكُ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٤)، وقوله: ﴿طس﴾^(٥)، ﴿طسم﴾^(٦)، ﴿حم﴾^(٧) تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ^(٨)، وحواميم السبع كلهم^(٩) و﴿يس﴾^(١٠) و﴿طه﴾^(١١)، و﴿كهيعص﴾^(١٢)، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(١٣)، ودلائلنا أكثر من أن تُحصى^(١٤).

(١) م «البارى» بدل لفظ الجلالة.

(٢) «به» ليست في م.

(٣) الصواب (أو).

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة النمل، آية: ١.

(٦) سورة الشعراء والقصص، آية: ١.

(٧) سورة الجاثية، الآيتان: ١، ٢.

(٨) فصلت والشورى والرخرف والدخان والجاثية والأحقاف، آية: ١.

(٩) سورة يس، آية: ١.

(١٠) سورة طه، آية: ١.

(١١) سورة مريم، آية: ١.

(١٢) سورة التوبة، آية: ٦.

(١٣) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله: «أكثر من أن تُحصى» ليس في م.

دراسة المسألة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لما سئل : عن القرآن هل هو حرف وصوت أو لا حرف ولا صوت ؟

قال : «إن إطلاق الجواب في هذه المسألة نفياً أو إثباتاً خطأ، وهي من البدع المولدة للحادثة بعد المائة الثالثة، لما قال قوم من متكلمة الصفاتية: إن كلام الله الذي أنزل على أنبيائه كالتوراة والإنجيل، والقرآن، والذي لم ينزله، والكلمات التي كون بها تلك الكائنات، والكلمات المشتملة على أمره ونهيه وخبره، ليست إلا مجرد معنى واحد، هو صفة واحدة قامت بالله، إن عُبر عنها بالعبرانية كانت التوراة، وإن عُبر عنها بالعربية كانت القرآن، وأن الأمر والنهي والخبر صفات لها، لا أقسام لها، وأن حروف القرآن مخلوقة خلقها الله ولم يتكلم بها وليست من كلامه، إذ كلامه لا يكون بحرف وصوت.

عارضهم آخرون من المثبتة فقالوا: بل القرآن هو الحروف والأصوات، وتوهم قوم أنهم يعنون بالحروف المداد وبالأصوات أصوات العباد، وهذا لم يقله عالم.

والصواب الذي عليه سلف الأمة - كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في كتابه «خلق أفعال العباد» وغيره، وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم -: اتباع النصوص الثابتة، وإجماع سلف الأمة، وهو أن القرآن جمعيه كلام الله، حروفه معانيه، ليس شيء من ذلك كلاماً

لغيره، لكن أنزله على رسوله، وليس القرآن اسماً لمجرد المعنى، ولا لمجرد الحرف، بل لمجموعهما، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط، ولا المعاني فقط، كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح، ولا مجرد الجسد: بل مجموعهما، وأن الله - تعالى - يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد لا صوت القارئ ولا غيره وأن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه تشبه معانيه، ولا حروفه تشبه حروفه، ولا صوت الرب يشبه صوت العبد، فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته^(١).

وقد استدل المؤلف على أن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت بالحروف المقطعة في أوائل السور ﴿المر﴾^(٢)، ﴿كهيعص﴾^(٣)، ﴿طه﴾^(٤)، و﴿حم﴾^(٥).

وكل من يبصر هذه الحروف لا يخطر بباله غير أنها حروف، وليس لها تسمية إلا هذه.

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٢٤٣ - ٢٤٤).

(٢) آية (١) في كل من سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة.

(٣) سورة مريم، آية: ١.

(٤) سورة طه، آية: ١.

(٥) آية (١) من كل من سورة غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجن، والأحقاف.

قال أبو نصر السَّجْزِي: «فالله سبحانه قد بيّن في كتابه ما كلامه؟
وبيّن ذلك رسوله ﷺ، واعترف به الصدر الأول والسلف الصالح
رحمهم الله، وآمنوا به فقال الله سبحانه: ﴿فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ
اللَّهِ﴾^(١)، وقال: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَتَرَمَّزُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(٢)، وما سمع مستجير قط
إلا كلاماً ذا حروف وأصوات، ولا قرأ قارئ البتة إلا ذلك فلماً سمى
سبحانه هذا القرآن العربي الفصل كلامه، علم أن كلامه حروف، كيف
وقد أكد ذلك بذكر الحروف المقطعة في أوائل السور منه مثل:
﴿الْمَ﴾^(٣)، و﴿الرَّ﴾^(٤)، و﴿كَهْيَعَصْ﴾^(٥)،
و﴿طه﴾^(٦)، و﴿حَمَ﴾^(٧)، و﴿يس﴾^(٨)، و﴿صَّ﴾^(٩)،
و﴿قَ﴾^(١٠)، و﴿ثَ﴾^(١١).

فمن زعم أنها ليست من القرآن فهو كافر، ومن زعم أنها من
القرآن والقرآن ليس بكلام الله فهو كافر، ومن زعم أنها عبارة عن

(١) سورة التوبة، آية: ٦.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١.

(٤) آية: (١) من كل من سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

(٥) سورة يس، آية: ١.

(٦) سورة ص، آية: ١.

(٧) سورة ق، آية: ١.

(٨) سورة يس، آية: ١.

(٩) سورة ص، آية: ١.

(١٠) سورة ق، آية: ١.

(١١) جزء من آية: (١) سورة الفلم.

الكلام الذي لا حروف فيه، قيل له. هذا جهل وغباء، لأن الكلام الذي تزعمه ليس يعرفه سواك، ولا يدري ما هو غيرك، وأنت إنما تتخبط فيه»^(١).

ومن الأدلة التي تدل على أن كلام الله - تعالى - بحرف وصوت.

١ - تكليمه تعالى لموسى - عليه السلام - فإنه قال له: ﴿فَاسْمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾^(٢)، قال الخلال: أنبأنا أبو بكر المروزي صاحب الإمام أحمد: سمعت أبا عبد الله وقيل له: إن عبد الوهاب قد تكلم. وقال: من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت فهو جهمي عدو الله وعدو الإسلام، فتبسم أبو عبد الله وقال: ما أحسن ما قال عافاه الله^(٣).

٢ - إخباره تعالى عن ندائه لموسى - عليه السلام -، ولعباده يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾^(٤) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النداء في لغة العرب: هو صوت رفيع، لا يطلق النداء على ما ليس بصوت، لا حقيقة ولا

(١) رسالة السجري إلى أهل زيد (١٥٤).

(٢) سورة طه، آية: ١٣.

(٣) درء التعارض (٣٨/٢ - ٣٩) لابن تيمية.

(٤) سورة النازعات، الآيات: ١٥، ١٦.

(٥) سورة القصص، آية: ٦٥.

مجازاً»^(١).

٣ - حديث عبدالله بن أنيس - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يحشر العباد أو الناس عراً غُرلاً بُهْماً قلنا : ما بهما؟ قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد - أحسبه - قال : كما يسمعه من قُرب : أنا الملك ، أنا الديان . . .»^(٢).

قال الإمام البخاري : «إن الله - عز وجل - ينادي بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب ، فليس هذا لغير الله جل ذكره ، وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق ، لأن صوت - الله جل ذكره - يُسْمَعُ من بُعدٍ كما يسمع من قُرب»^(٣).

مذهب الأشاعرة في كلام الله هو ما ذكره المؤلف ، فهم يقولون : إن كلام الله معنى واحد قديم قائم بذاته أزلاً وأبداً ، هو الأمر بكل ما أمر الله به ، والنهي عن كل ما نهى الله عنه ، والخبر عن كل ما أخبر الله عنه ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالعبرية كان تورا ، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً ، والأمر والنهي والخبر عندهم ليست أنواعاً ينقسم الكلام إليها ، وإنما هي صفات إضافية ، كما يوصف الشخص الواحد بأنه ابن لزيد ، وعم لعمرو ، وخال لبكر ،

(١) الفتاوى (٥٣١/٦) وانظر : لسان العرب (٣١٥/١٥) والصحاح (٢٥٠٥/٦) على موافقة قول شيخ الإسلام .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في لمسده (١٥١٢) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠) ط السلفية ١٣٧٥هـ .

(٣) خلق أفعال العباد (ص ٩٢) ط الرسالة .

ويقولون إن الله يتكلم بمشيئته وقدرته وكلامه بغير حرف وصوت^(١).
قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن كلام الله - تعالى - منزل على قلب النبي ﷺ نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال»^(٢).
وقال الإسفراييني: «... وكل ما ورد في الكتب من الله باللغات المختلفة العبرية والعربية والسريانية كلها عبارات تدل على معنى كتاب الله»^(٣).

مذهب المعتزلة هو ما ذكره المؤلف فهم يقولون إن كلام الله مخلوق.

قال القاضي عبد الجبار: «وأما مذهبنا فهو أن القرآن كلام الله ووحيه، وهو مخلوق»^(٤).

ومعنى كلامه تعالى لموسى - عليه السلام -: أنه أنشأ كلاماً خلقه كما شاء فسمعه موسى - عليه السلام - وفهمه، وكل مسموع من الله فهو مخلوق، لأنه غير الخالق له^(٥).

ويقولون: إن الكلام فعل من أفعاله تعالى، يحدثه ويخلقه في

(١) انظر: التمهيد (٢٥٠-٢٥١) الباقلاني والإنصاف (١١٠) الباقلاني والعقيدة النظامية (١٩-٢٠). الجويني، والإرشاد (١٠٤) الجويني، وغاية المرام (٨٨) الآمدي والاقتصاد في الاعتقاد (١١٦) الغزالي، ونهية الإقدام (٢٦٨-٢٨٨) الشهرستاني.

(٢) الإنصاف (٩٦)

(٣) التبصير في الدين (١٠٢).

(٤) شرح الأصول الخمسة (٥٢٨).

(٥) العدل والتوحيد (١٣٧) للقاسم الرسي ضمن رسائل العدل والتوحيد ت/ عمارة

الأجسام إذا أراد مخاطبة الخلق بالأمر والنهي والوعد والوعيد والزجر والترغيب، وإذا بعث الأنبياء وحملهم الشرائع مخاطبهم بكلامه، وأصحابهم كتبه ليؤدوا عنه ذلك، وما كان من أفعاله تعالى لا يجوز أن يكون قديماً^(١).

وقد تواتر عن السلف تكفيرهم لمن قال: إن القرآن مخلوق.
قال هارون الفروي: «لم أسمع أحد من أهل العلم بالمدينة وأهل السنن إلا وهم ينكرون على من قال: القرآن مخلوق ويكفرونه»^(٢).
وقال الإمام أحمد لما سئل عن من قال: القرآن مخلوق؟ فقال: كافر^(٣).

وقال الربيع سمعت الشافعي يقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر»^(٤).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: من قال: القرآن مخلوق فقد أفتى على الله، وقال على الله ما لم يقله اليهود ولا النصارى^(٥).

وأما مذهب الأشاعرة المبتدع فيلزمهم عليه لوازم باطلة من تلك اللوازم:

(١) المختصر في أصول الدين (٢٢٣) القاضي عبد الجبار ضمن رسائل العدل والتوحيد.

(٢) الشريعة (٧٨) الآجري.

(٣) المصدر السابق (٨٠).

(٤) شرح أصول الاعتقاد (٢/٢٥٢ رقم ٤١٩) اللالكائي.

(٥) الإبانة (٢/٥٠) لابن بطنة ت الوابل.

- ١ - أن كلام الله لا يتكلم به غيره، فإنه عين القائم بنفسه ومحال قيامه بغيره، فلم يقل أحد قط كلام الله ولا قرأه.
- ٢ - أن هذا الذي جاء به الرسول ﷺ ليس كلام الله إلا على سبيل المجاز.
- ٣ - أنه لا يقال إن الله تكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، ولا خاطب ولا يخاطب، فإن هذه كلها أفعال إرادية تكون بالمشيئة، وذلك المعنى صفة أزلية لا تتعلق بالمشيئة.
- ٤ - أنهم قالوا: لا يجوز أن ينزل القرآن إلى الأرض، فلفاظ النزول والتزيل لا حقيقة لشيء منها عندهم.
- ٥ - أن القرآن القديم لا نصف له ولا ربع ولا خمس ولا عشر ولا جزء له البتة.
- ٦ - أن معنى الأمر هو معنى النهي، ومعنى الخبر والاستخبار، وكل ذلك واحد.
- ٧ - أن نفس التوراة هي نفس القرآن، ونفس الإنجيل والزبور، والاختلاف في التأويلات فقط^(١).
- ٨ - أنه يجوز القراءة في الصلاة بأي لغة كانت، إذا أدوا معنى ما في السور لأن التضييق إنما وقع لكون السور كلام الله، فأما من قال: إنها ليست بكلام الله البتة فلا معنى لتضييقه^(٢).

(١) انظر: هذه اللوازم في مختصر الصواعق (٤١٣ - ٤١٤) الموصلي.

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زييد (١٥٧).

٩ - أن معنى آية الدين هو معنى آية الكرسي ومعنى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) هو معنى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^{(٢)(٣)}.

* * *

-
- (١) سورة الإخلاص، آية: ١.
 (٢) سورة المسد، آية: ١.
 (٣) الكيلانية (٢١) ضمن مجموع الرسائل والمسائل لابن بيمية.

يُسأل: عن موسى ومحمد وجبريل صلوات الله عليهم، ومن تولى الله خطابهم^(١)، هل سمعوا من الله^(٢) كلامه، أو أفهمهم من غير أن سمعوا^(٣)؟ فإن قال: سمعوا من الله كلامه، فهو سني، وإن قال: أفهمهم من غير أن سمعوا^(٤)؟ فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٥)، وقوله لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَعُ وَأَرَى﴾^(٦)، وقوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ﴾^{(٧)(٨)}.

* * *

(١) في م «خطابه».

(٢) في م «من الله تعالى».

(٣) في م «يسمعوا» ولعل ما في م هو الصواب.

(٤) في م «يسمعوا» ولعل ما في م هو الصواب.

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٤.

(٦) سورة طه، آية: ٤٦.

(٧) سورة التوبة، آية: ٦.

(٨) من قوله: «دليلنا...» حتى قوله تعالى: «... كلام الله» ليست في م.

دراسة المسألة :

مذهب أهل السنة والجماعة :

هو ما قرر المؤلف، وهو أن موسى سمع كلام الله بلا واسطة كما سمع ذلك محمد ﷺ وجبريل، وأن الله كلمه حقيقة، فسمع كلام ربه، والأدلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾^(٣)، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾^(٥)، ففرق بين التكليم من وراء حجاب - كما كلم موسى وكلم نبينا ﷺ ليلة الإسراء - وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم سائر الأنبياء بإرسال رسول إليهم، وقال ﷺ: «احتج آدم وموسى: فقال: موسى يا آدم، أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخطأ

(١) سورة النساء، آية: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٤٣.

(٣) سورة طه، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٤) سورة القصص، آية: ٣٠.

(٥) سورة الشورى، آية: ٥١.

لك التوراة بيده، أتلو منّي على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجّ آدم موسى قالها ثلاثاً^(١).

قال الإمام موفق الدين ابن قدامة: «ومن صفات الله - تعالى - أنه متكلم بكلام قديم، يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى - عليه السلام - منه من غير واسطة، وسمعه جبريل - عليه السلام -، ومن أذن له من ملائكته ورسله»^(٢).

قال ابن خزيمة - رحمه الله -: «باب: ذكر البيان أنه سبحانه وتعالى جل ذكره كلّم موسى من وراء حجاب من غير أن يكون بين الله تبارك وتعالى وبين موسى - عليه السلام - رسول يبنّيه كلام ربه ومن غير أن يكون موسى - عليه السلام - يرى ربه - عز وجل - في وقت كلامه إياه، ثم أورد حديث حجاج آدم وموسى السابق الذكر^(٣).

ما قرره المؤلف - رحمه الله - من أن مذهب الأشاعرة القول بأن موسى - عليه السلام - ومحمد - ﷺ - وجبريل - عليه السلام - ومن تولّى خطابهم ما سمعوا من الله كلامه إنما أفهمهم كلامه من غير سماع: صواب.

فقد قال الجويني: «كلام الله منزل على الأنبياء لكن ليس معنى

(١) البخاري كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى (٦٦١٤) ومسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى (٢٦٥٢)

(٢) لمعة الاعتقاد (٧٠) دار زمزم ١٤١٢ هـ.

(٣) التوحيد (٩٤) طبعة المصرية الأولى.

الإنزال أي حط شيء من علو إلى أسفل، فإن الإنزال بمعنى الانتقال يتخصص في الأجسام والأجرام حتى قال... فالمعنى بالإنزال هو أن جبريل صلوات الله عليه أدرك كلام الله - تعالى - وهو في مقامه فوق سبع سماوات، ثم نزل إلى الأرض فأفهم الرسول - ﷺ - ما أفهمه عند سدره المنتهى من غير نقل لذات الكلام»^(١).

وقال الآمدي: «وليس معنى كونه منزلاً أنه منتقل من مكان إلى مكان، فإن ذلك غير متصور على كلا المذهبين بل معناه: أن ما فهمه جبريل من كلام الله - تعالى - فوق سبع سماوات عند سدره المنتهى ينزل بتفهمه للأنبياء إلى بسيط الغبراء»^(٢).

ولا شك في بطلان مذهب الأشاعرة وبعده عن الصواب والرد على قولهم أن يقال لهم: موسى لما كلمه الله، أفهم كلامه كله أو بعضه؟ إن قلت: كله، فقد صار موسى يعلم علم الله، وهذا من أعظم الباطل، وإن قلت بعضه: فقد يتبعض كلام الله وأنتم تقولون: إنه لا يتبعض وفي هذا إبطال لقولكم^(٣).

ثم إن الله فرّق بين تكليمه لموسى عليه الصلاة والسلام وبين إيحائه إلى غيره من النبيين، وفرّق بين الإيحاء وبين التكليم من وراء حجاب، فلو كان المعنى واحداً لكان الجميع إيحاء ولم يكن هناك

(١) الإرشاد (١٣٥) الجويني ط الخانجي ١٣٦٩هـ.

(٢) غاية المرام (١١١) الآمدي.

(٣) التسعينية (١٧٧) وانظر: رسالة السجزي (١١٤).

تكليم يتميز على ذلك^(١).

وقد قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ رَبِّىُّ يَا لَوَاذِ الْمَقْدِسِ طَوَّىٰ﴾^(٢)، ونحو هذه الآية من الآيات الواردة في نداء موسى وغيره والنداء لا يكون إلا بصوت.

قال السجزي: «والنداء عند العرب صوت لا غير، ولم يرد عن الله - تعالى - ولا عن رسوله - عليه السلام - أنه من الله غير صوت»^(٣).

وقال ابن القيم: «ولفظ النداء الإلهي وقد تكرر في الكتاب والسنة تكررًا مطردًا في محاله، متنوعًا تنوعًا يمنع حمله على المجاز، فأخبر تعالى أنه نادى الأبوين في الجنة، ونادى كلمه، وأنه ينادي عباده يوم القيامة، وقد ذكر النداء في تسعة مواضع في القرآن، أخبر فيها عن ندائه بنفسه ولا حاجة أن يقيد النداء بالصوت، فإنه بمعناه وحقيقته باتفاق أهل اللغة، فإذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعاً»^(٤).

* * *

(١) انظر: الفتاوى (١٥٣/١٧ - ١٥٤)، (٢٨٣/٩)، ومنهاج السنة (٤١٩/٥)، شرح الطحاوية (١٥٥).

(٢) سورة النازعات، آية: ١٦.

(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (١٦٦).

(٤) مختصر الصواعق (٤٠١ - ٤٠٢) دار الكتب العلمية.

يُسأل: عما نقرؤه من الحروف والأصوات، هل هو نفس كلام الله^(١)؟

فإن قال: هو نفس كلام الله^(٢)، فهو سني، وإن قال: هو عبارة وحكاية عن كلام الله^(٣)، فهو أشعري ومعتزلي كافر بالله^{(٤)(٥)}.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ^(٦)، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٧)، وقوله: ﴿الْعَمَّ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٨)، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنزِلْهُ سُوْرًا مِّثْلَهُ مَفْتَرِيًّا﴾^(٩)، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^{(١٠)(١١)}.

* * *

(١) في م «كلام الله تعالى أم عبارته وحكايته».

(٢) في م «كلام الله تعالى».

(٣) في م «عبارة عن كلام الله وحكايته».

(٤) «معتزلي كافر بالله» ليست في م.

(٥) انظر: التعليق ص (٩٦).

(٦) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٢-١٩٣.

(٧) سورة الزمر، آية: ١.

(٨) سورة البقرة، الآيتان: ١، ٢.

(٩) سورة هود، جزء من آية: ١٣.

(١٠) سورة النحل، آية: ٨٩.

في المخطوطة [إنا أنزلنا] وما أثبتته هو الصواب.

(١١) من قوله: «دليلاً...» إلي قوله تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ليست في م.

دراسة المسألة:

اعتقاد أهل السنة والجماعة:

هو ما قرره المؤلف فهم يقولون: القرآن كلام الله سوره وآياته وكلماته تكلم الله به بحروفه ومعانيه، ولم ينزله على أحد قبل محمد ﷺ أسمعه جبريل - عليه السلام -، وأسمعه جبريل محمداً ﷺ، أسمعه محمد ﷺ أمته، وليس لجبريل ولا محمد - ﷺ - إلا التبليغ والأداء.

وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وفي المصاحف، يتلوه التالون بألستهم، ويقرؤه القارئون بأصواتهم، ويسمعه السامعون بأذانهم وينسخه الناسخون، وهو في الصدور محفوظ، تكلم الله به على الحقيقة، منه بدأ وإليه يعود.

قال شيخ الإسلام: «ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد - ﷺ - هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن الله أو عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله - تعالى - حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف»^(١).

(١) العقيدة الواسطة (١٣٦) المطبوعة مع شرح فصيحة الشيخ صالح الفوزان.

وقد استدل المؤلف بآيات التنزيل في الدلالة على أن ما في المصحف كلام الله على الحقيقة، وهو استدلال سديد، ففي هذه الآيات دليل على أن القرآن منزل من عند الله، وأنه كلامه بدأ منه وظهر لا من غيره، وأنه الذي تكلم به لا غيره.

وفي هذه الآيات الرد على من زعم أن القرآن مخلوق أو أنه كلام بشر وغيره، فمن زعم ذلك فهو كافر بالله العظيم، كما روي ذلك عن السلف، وفيها دليل على أن جبريل نزل به من عند الله، فإنه روح القدس وهو أيضاً الروح الأمين، وفي قوله الأمين دليل على أنه مؤتمن على ما أرسل به، فلا يزيد عليه ولا ينقص، وفيها دليل على أن الرسول - ﷺ - سمعه من جبريل وهو الذي نزل عليه من عند الله، وجبريل سمعه من الله والصحابة سمعوه من النبي ﷺ^(١).

وجه استدلال المؤلف بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴾^(٢).

هو أن معنى الآية: فأتوا بعشر سور مثله إن زعمتم أنه كلام آدمي، فأعجزهم الحق سبحانه وتعالى أن يأتوا بسورة من مثله في النظم والنثر، فلما عجزوا عن ذلك علموا أنه ليس بكلام آدمي بل هو كلام

(١) انظر: شرح الواسطية (١٥٣-١٥٤) للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد - مطبعة الإمام -

مصر - غير مؤرخه.

(٢) سورة هود، آية: ١٣.

الله - تعالى -، وليس بمخلوق كما زعموا؛ لأنه لو كان كما زعموا لكان له مثل، فلما لم يكن له مثل، وعجزوا عن إتيان مثله مع كونهم من أفصح العرب، دل على أنه كلام الباري - تعالى -، وأنه قديم غير مخلوق^(١).

وجه استدلاله بقوله تعالى: ﴿الْعَمَّ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢)، أن الله يقول: أن كتابه، هو القرآن لا ريب فيه أي لا شك، والأشاعرة يقولون بأن القرآن عبارة محمد موافقة للوليد بن المغيرة لما قال: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^{(٣)(٤)}.

وقد عمد المؤلف في هذه المسألة إلى دمج مذهب المعتزلة بمذهب الأشاعرة وبينهما فرق كما تقدم.

فالأشاعرة: يقولون كما حكى مذهبهم الباقلاني فقال: «ويجب أن يعلم أن الكلام الحقيقي هو المعنى الموجود في النفس، لكن جعل عليه أمارات تدل عليه، فتارة تكون قولاً بلسان على حكم أهل ذلك اللسان وما اصطالحوا عليه وجرى عرفهم به، وجعل لغة لهم، وقد بين تعالى ذلك بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(٥)، فأخبر تعالى أنه أرسل موسى - عليه السلام - إلى بني

(١) انظر: التبصرة (٩٢) للمؤلف.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة المدثر، آية: ٢٥.

(٤) انظر: رسالة السجزي (١٥٨).

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٤.

إسرائيل بلسان عبراني، فأفهم كلام الله القديم القائم بالنفس بالعبرانية، وبعث عيسى - عليه السلام - بلسان سرياني، فأفهم قومه كلام الله القديم بلسانهم، وبعث نبينا - ﷺ - بلسان العرب، فأفهم قومه كلام الله القديم بالنفس بكلامهم، فلغة العرب غير لغة العبرانية ولغة السيريانية غيرهما، لكن الكلام القديم القائم بالنفس شيء واحد لا يختلف ولا يتغير، وقد يدل على الكلام القائم بالنفس الخطوط المصطلح عليها بين كل أهل خط، فيقوم الخط في الدلالة مقام النطق باللسان . . . حتى قال . . . فصح أن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس دون غيره، وإنما الغير دليل عليه بحكم التواضع والاصطلاح ويجوز أن يسمى كلاماً إذ هو دليل على الكلام، لا أنه نفس الكلام الحقيقي»^(١).

فأنت ترى من النقل السابق أنهم يرون أن ما نقرأ ليس هو كلام الله على الحقيقة، وإنما هو عبارة عن الكلام القديم القائم بذات الرب، ويصح أن نقول عمّا في المصحف إنه كلام الله؛ لأنه دليل على الكلام النفسي.

وقد قدمت في المسألة السابقة اللوازم الفاسدة المترتبة على قولهم.

أما المعتزلة فمذهبهم كما قدمنا يقولون كلام الله ووحيه مخلوق^(٢).

(١) الإنصاف (١٠٧) ط الخانجي.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (٥٢٨).

ومعنى كلامه تعالى لموسى - عليه السلام - أنه أنشأ كلاماً خلقه
كما شاء فسمعه موسى - عليه السلام - وفهمه، وكمن مسموع من الله
فهو مخلوق، لأنه غير الخالق له^(١).

على أنه عند التحقيق فإن المعتزلة والأشاعرة متفقون على أن ما
في المصحف من النظم العربي مخلوق.

قال البيجوري: «مذهب أهل السنة - يريد الأشاعرة - أن القرآن
بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي
نقرؤه فهو مخلوق»^(٢).

إلا أن المعتزلة يطلقون القول ويقولون كلام الله مخلوق بإطلاق،
أما الأشاعرة فيقولون كلام الله الذي هو المعنى النفسي القائم بذات
الرب غير مخلوق، وأما ما في المصحف الذي هو عبارة عن كلام الله
فهو مخلوق^(٣).

* * *

(١) رسائل العدل والتوحيد (١٢٧) (العدل والتوحيد) للرسى.

(٢) شرح الحويزة (٩٤) البيجوري.

(٣) انظر الفتاوى (١٢/١٢٠-١٢١).

يُسأل: عن القرآن هل نزل به جبريل^(١) إلى النبي ﷺ^(٢) أم^(٣) عبارة تأليف^(٤)، فإن قال: نزل بالقرآن، فهو سني، وإن قال: نزل^(٥) بعبارته، فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٧)، والروح هو جبريل^(٨).

* * *

(١) في م «عليه السلام».

(٢) في الأصل اختصر الصلاة على النبي ورمز له (صلى) وفي م «صلى الله عليه وسلم» فأثبت ما في «م» تعظيماً لحقه ﷺ.

(٣) الصواب لغة «أو».

(٤) في م «بعبارته».

(٥) «نزل» ليست في م.

(٦) سورة النحل، آية: ١٠٢.

(٧) سورة الشعراء، آية: ١٩٣.

(٨) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله: «... هو جبريل» ليست في م.

دراسة المسألة :

قال شيخ الإسلام: في تقرير عقيدة السلف في هذا الموضوع «فصل . . في بيان أن القرآن العظيم كلام الله العزيز العليم، ليس بشيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَكَاتٍ ءَايَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)» (١).

فأمره أن يقول: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (٢) فإن الضمير في قوله ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ عائد على ما في قوله: ﴿بِمَا يُنَزِّلُ﴾ والمراد به القرآن، كما يدل عليه سياق الكلام وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ فيه إخبار الله بأنه أنزل، لكن ليس في هذه اللفظة بيان أن روح القدس نزل به، ولا أنه منزل منه.

(١) سورة النحل، الآيات: ٩٨-١٠٣.

(٢) سورة النحل، آية: ١٠٢.

ولفظ الإنزال في القرآن قد يرد مقيداً بالإنزال منه : كنزول القرآن ، وقد يرد مقيداً بالإنزال من السماء ويراد به العلو ، فيتناول نزول المطر من السحاب ، ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك ، وقد يرد مطلقاً فلا يختص بنوع من الإنزال ، بل ربما يتناول الإنزال من رؤوس الجبال كقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾^(١) ، والإنزال من ظهور الحيوان كإنزال الفحل الماء وغير ذلك ، فقوله : ﴿ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾^(٢) ، بيان لنزول جبريل به من الله ، فإن روح القدس هنا هو جبريل ، بدليل قوله : ﴿ وَإِنَّمَا لِلنَّزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾^(٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿ وفي قوله : «الأمين» دلالة على أنه مؤمن على ما أرسل به لا يزيد فيه ولا ينقص منه ، فإن الرسول الخائن قد يغير الرسالة ، كما قال في صفته في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِهٍ ﴾^(٥) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿ مَطَّاعٌ ثَمَّ آمِينَ ﴾^(٦) .

وفي قوله : «منزل من ربك» دلالة على أمور :

«منها» : بطلان قول من يقول إنه كلام مخلوق في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم .

(١) سورة الحديد ، آية . ٢٥ .

(٢) سورة النحل ، آية : ١٠٢ .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ١٩٢ - ١٩٥ .

(٤) سورة التكوين ، الآيات : ١٩ - ٢١ .

ومنها: بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي ﷺ من العقل
الفعال أو غيره، كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصائبة وهذا
القول أعظم كفراً وضللاً من الذي قبله.

ومنها: أن هذه الآية تبطل قول من يقول: إن القرآن العربي ليس
منزلاً من الله بل مخلوق: إما في جبريل أو محمد أو جسم غيرهما،
كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون إن القرآن العربي ليس
هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق
ليدل على ذلك المعنى، ثم إما أن يكون خلق في بعض الأجسام:
الهواء أو غيره، أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي، أو ألهمه
محمدًا فعبر عنه بالقرآن العربي، أو يكون أخذه جبريل من اللوح
المحفوظ أو غيره^(١).

وما قرره المؤلف من أنه مذهب الأشاعرة أنما نزل به جبريل هو
عبارة عن كلام الله، صواب فقد قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن
كلام الله - تعالى - منزل على قلب النبي ﷺ نزول إعلام وإفهام لا نزول
حركة وانتقال.. ثم قال.. والنازل على الحقيقة المنتقل من قطر إلى
قطر قول جبريل - عليه السلام -»^(٢).

قال الجويني: «كلام الله - تعالى - منزل على الأنبياء، وقد دلّ على
ذلك، أي كثيرة من كتاب الله - تعالى -، ثم ليس معنى «الإنزال» حط

(١) انظر: الفتاوى (١٢/١١٧ - ١٢٠).

(٢) انظر: الإنصاف (٩٦ - ٩٧).

شيء من علو إلى سفلى، فإن الإنزال بمعنى الانتقال يتخصص بالأجسام والأجرام... فالمعنى بالإنزال، أن جبريل - صلوات الله عليه - أدرك كلام الله - تعالى - وهو في مقامه فوق سبع سموات، ثم نزل إلى الأرض، فأفهم الرسول ﷺ ما فهمه عند سدرة المنتهى من غير نقل لذات الكلام»^(١).

وفي تحفة المريد «وقيل المنزل المعنى وعبر عنه جبريل بالفاظ من عنده، وقيل المنزل المعنى وعبر عنه النبي ﷺ بالفاظ من عنده»^(٢). ولا شك في بطلان مذهب الأشاعرة هذا، وبطلانه يظهر من وجوه:

منها: أن يقال إن الله سبحانه وتعالى قد كتب التوراة لموسى بيده، فبنوا إسرائيل أخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه هو سبحانه وتعالى فيه، فإن كان محمد أخذ عن جبريل، وجبريل عن الكتاب كان بنو إسرائيل أعلى من محمد بدرجة.

وكذلك من قال إنه ألقى إلى جبريل المعاني وأن جبريل عبر عنها بالكلام العربي فقوله يستلزم أن يكون جبريل ألهمه إلهاماً، وهذا الإلهام يكون لأحاد المؤمنين. كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾^(٣)، وقال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى آلِ مُوسَى أَنْ

(١) الإرشاد (١٣٥) طبعة الحانجي.

(٢) انظر: تحفة المريد (٩١-٩٢-٩٣).

(٣) سورة المائدة، آية: ١١١.

أَرْضِيهِ^(١)، وقد أوحى إلى سائر الأنبياء، فيكون هذا الوحي الذي يكون لآحاد الأنبياء والمؤمنين أعلى من أخذ محمد القرآن عن جبريل، لأن جبريل الذي علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من هؤلاء^(٢).

ويقال لهم إن الله قال: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٣).

فأشار الله إلى هذا القرآن و«هذا» عند جميع أهل اللغة إشارة إلى شيء حاضر^(٤).

فلو كان كلام الباري قائماً في نفسه كما يقول الأشاعرة لم تصح الإشارة إليه، لأنه يكون على ما ذكره غائباً^(٥).

ولو كان قائماً في نفسه لما جاز للباري أن يمتحنهم بالإتيان بمثل ما ليس عندهم، ولا هو حاضر عندهم مشاهد؛ لأنه لا يحسن بالحكيم أن يمتحن العقلاء بالإتيان بمثل ما في نفسه وهم لا يعلمون^(٦).

* * *

(١) سورة القصص، آية: ٧.

(٢) انظر: الفتاوي (١٢/١٢٧-١٢٨).

(٣) سورة الإسراء، آية: ٨٨.

(٤) قال ابن منظور في اللسان (٤٥٤/١٥) وأما هذا، وهذان، فإلهاء في هذا تنبيه، وإذا اسم إشارة إلى شيء حاضر.

(٥) التبصرة (١٢١).

(٦) انظر: التبصرة (١٢١).

يُسأل: عن كلام الباري جل جلاله، هل هو قديم أو^(١) محدث^(٢)؟

فإن قال: قديم فهو سني، وإن قال محدث، فهو معتزلي وأشعري^(٣)، وإن قال: حادث^(٤)، فهو كرامي^(٥) وإمامي^(٦) (٧) (٨) (٩).

دليلنا: قوله ﷺ «قرأ ربنا طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام»^(١٠)، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا

-
- (١) في م «أم» بدل «أو».
 - (٢) كتب في الهامش «محدث أي مفعول به، أو يعني مخلوق».
 - (٣) «أشعري» ليست في م.
 - (٤) كتب في الهامش: «نقول حدث يحدث فهو حادث».
 - (٥) كتب في الهامش: «كرامي منسوب إلي أبي عبدالله بن محمد بن كرام».
 - (٦) الكرامية: هم أتباع أبي عبدالله محمد بن كرام السجستاني، ت ٢٥٥هـ، لهم بدع منها قولهم بالإرجاء حيث يزعمون أن الإيمان هو مجرد الإقرار باللسان. انظر: مقالات الإسلاميين (٢٣٣/١) الأشعري، الفرق بين الفرق (٢١٥) البغدادي.
 - (٧) كتب في الهامش: «إمامي الذين يقولون الإمامة نص وأن الأئمة معصومون من الآثام فإن الإمام يعلم كل شيء».
 - (٨) «أمامي» ليست في م.
 - (٩) كتب في هامش: «م» «أعياء الكلام في وقت دون أوقات».
 - الإمامية: هم القائلون بأمامه الاثنى عشر إماماً وأنهم أئمة معصومون أولهم علي بن أي طالب الحسن والحسين وآخرهم محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى في سرداب سامراد وسيظهر في آخر الزمان لهم بدع كثيرة منها تكفير الصحابة والقول بالتشبيه في أول أمرهم وموافقة المعتزلة والجهمية في آخره. انظر: الملل والنحل (١٨٩/١) السجستاني ولوامع الأنوار (٨٥/١) السفاريني.
 - (١٠) أخرجه الدارمي في فضائل القرآن (٤٥٦/٢) وابن خزيمة في التوحيد (١٦٦) والبيهقي في الاسماء والصفات (٢٣٢)، وابن أبي عاصم (٢٦٩/١) كلهم من طريق إبراهيم من المهاجر عن عمر ابن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقه عن أبي هريرة مرفوعاً =

وَحَيًّا^(١)، الآية وقوله: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾^(٢) (٣).

* * *

= وإسناده ضعيف جداً، فإبراهيم بن المهاجر قال عنه البخاري منكر الحديث وقال النسائي ضعيف وعمر بن ذكوان قال أحمد: تركنا حديثه وخرقناه وقال ابن المدني ليس بثقة وقال النسائي متروك، وقال الدارقطني: ضعيف
نظر: الميران للذهبي (١/٦٧)، (٣/١٨٩).

(١) سورة الشورى، آية: ٥١.

(٢) سورة يس، آية: ٥٨.

(٣) من قوله. «دليلنا...» إلى قوله تعالى: «... من رب رحيم» ليست في م.

دراسة المسألة :

إطلاق المؤلف لفظ القديم على كلام الله فيه نظر فعقيدة أهل السنة أن كلام الله منزل غير مخلوق، ولفظ القديم ليس مأثوراً عن السلف، وإنما الذي اتفقوا عليه أن القرآن كلام الله غير مخلوق^(١).

قال الشيخ عبدالله البابطين معلقاً على كلام السفارين في منظومته :

كلامه سبحانه قديم أعي الوري بالنص يا عليم
قوله: إن مذهب السلف إن كلام الله قديم وكذلك القرآن، فيه نظر، فإن مذهب السلف كما هو معروف أن كلام الله مما يتعلق بمشيئته فإذا شاء تكلم، ويتكلم متى شاء كيف شاء^(٢).

وقال الشيخ ابن سحمان معلقاً على كلام الناظم السالف الذكر.

قوله: «كلامه سبحانه قديم، هو من جنس ما قبله من الألفاظ المبتدعة المخترعة التي لم ينطق بها سلف الأمة وأئمتها، والذي عليه أهل السنة والجماعة المخالفون لأهل البدع أن كلام الله - سبحانه وتعالى - حادث الآحاد قديم النوع، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته إذا شاء لا يمتنع عليه شيء أراده، وأن الله - تعالى - متصف بالأفعال الاختيارية القائمة به فهو سبحانه قد تكلم في الأزل بما شاء ويتكلم فيما لم يزل

(١) انظر: الفتاوى ٥٤/١٢.

(٢) حاشية لوامع الأنوار (١/١٣٠).

بقدرته ومشيتته بما أراد وهو الفعال لما يريد»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والسلف قالوا: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وقالوا لم يزل متكلماً إذا شاء، فبينوا أن كلام الله قديم أي جنسه قديم لم يزل، ولم يقل أحد منهم إن نفس الكلام المعين قديم ولا قال أحد منهم القرآن قديم، بل قالوا: إنه كلام الله منزل غير مخلوق، وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته كان القرآن كلامه، وكان منزلاً منه غير مخلوق، ولم يكن مع ذلك أزلياً قديماً بقدم الله، وإن كان الله لم يزل متكلماً إذا شاء، فجنس كلامه قديم»^(٢).

ما ذكره المؤلف من أنّ مذهب المعتزلة أن القرآن محدث صواب، وقد تقدم تقرير قولهم في المسائل السابقة.

قال القاضي عبد الجبار: «ولا خلاف بين جميع أهل العدل في أن القرآن مخلوق محدث مفعول»^(٣).

أما الأشاعرة فلا يطلقون القول، بل يقولون المعنى النفسي القديم القائم بذات الرب غير مخلوق، أما النظم العربي الذي بين أيدينا الذي هو عبارة عن كلام الله فهو مخلوق.

قال في تحفة المريد: «إن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق وأما القرآن بمعنى اللفظ، الذي نقرؤه فهو مخلوق لكن يمتنع

(١) حاشية لوامع الأنوار (١/١٣١).

(٢) الفتاوى (١٢/٥٦٧).

(٣) المغني (٣/٧).

أن يقال ويراد به اللفظ . الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم»^(١) .

وقال صاحب «كفاية العوام»: «وليس المراد بكلامه الواجب له تعالى الألفاظ الشريفة المنزلة على النبي - ﷺ - ، لأن هذه حادثة، والصفة القائمة بذاته تعالى قديمة، وهذه مشتملة على تقدّم وتأخّر وإعراب وسور وآيات، والصفة القديمة خالية عن جميع ذلك . فليس فيها آيات، ولا سور، ولا إعراب، لأن هذه تكون للكلام المشتمل على حروف وأصوات، والصفة القديمة منزهة عن الحروف والأصوات»^(٢) .

ما ذكره المؤلف من أن مذهب الكرامية والإمامية أنه حادث صواب .

فمذهب الكرامية في كلام الله أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب - تعالى - ، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلماً^(٣) .

قال الإسفراييني وهو يحكي قولهم في كلام الله «واعلم أن من نوادر جهالاتهم فرقهم بين القول والكلام وقولهم إن كلام الله قديم، وقولهم: حادث وليس بمحدث وله حروف

(١) تحفة المريد (٩١-٩٢-٩٣) .

(٢) كفاية العوام (١٠٢-١٠٣) .

(٣) انظر: مختصر الصواعق (٤١١) دار الكتب العلمية .

وأصوات»^(١).

أما مذهب الرافضة الإمامية فقد حكى مذهبهم أبو جعفر القمي فقال: «وسألت رحمك الله عن القرآن واختلاف الناس قبلكم، فإن القرآن كلام الله محدث غير مخلوق وغير أزلي مع الله - تعالى - ذكره»^(٢).

وقال أبو الفرج الشيرازي - رحمه الله - في التبصرة: «قالت الكرامية والإمامية القرآن حادث، ومعنى الحادث عندهم: أنه لم يتكلم الباري في قدمه وإنما تكلم به لما خلق الخلق ولا يقولون إنه مخلوق»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن طائفة من متأخري الإمامية لما وافقوا المعتزلة على أنه محدث منفصل عن الله، وأنه لم يكن يمكنه أن يتكلم ثم صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً، وليس له كلام يقوم به، بل كلامه من جملة مصنوعاته المنفصلة عنه، ثم سمعوا عن السلف من أهل البيت أنهم قالوا: إنه غير مخلوق، قالوا: لا نقول إنه مخلوق متابعة لهؤلاء، بل نقول: إنه محدث مجعول موافقة لما ظنوه من لفظ القرآن في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٤)، وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾^(٥)»^(٦).

(١) انظر: التبصير في الدين (١٠٢) - ط الخانجي.

(٢) اتوحيد (٢٢٧) القمي.

(٣) التنصرة (٦٩).

(٤) سورة الزحرف، آية: ٣.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢.

(٦) مهاج السنة (٢/٢٤٩).

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إبطال أقوال المبتدعة بحجج صحيحة كلها تدل على أن كلام الله صفة قائمة به، وأنه يتكلم إذا شاء بما شاء متى شاء وكيف شاء، وأن القرآن كلامه غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

فقد أخرج اللالكائي بسنده عن سعيد بن نصير قال سمعت ابن عينية يقول: هذا الدويبة!، يعني: بشر المريسي قالوا: يا أبا محمد: القرآن مخلوق، قال: كذب، قال الله - عز وجل -: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(١)، فالخلق خلق الله والأمر القرآن^(٢).

وقال علي - رضي الله عنه -: ما حكمت مخلوقاً وإنما حكمت كلام الله - تعالى -^(٣).

وقد سئل جعفر بن محمد المعروف بالصادق، فقيل إنهم يسألوننا عن القرآن: أمخلوق هو؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق. ولكنه كلام الله^(٤).

قال الله - عز وجل -: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢/٢١٩).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢٤٣) دار إحياء التراث.

وقال البيهقي: هذه الحكاية عن علي شائعة فيما بين أهل العلم ولا أراها شاعت إلا عن أصل.

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة (١/٢٨٦) ت الوابل، والالكائي (٢/٢٤١) والآجري في الشريعة (٧٧) والبيهقي (٢٤٦) في الأسماء والصفات.

يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴿١﴾، وقال عز وجل: ﴿... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾ ﴿٢﴾، فأخبر تبارك وتعالى، بالخلق ثم قال: «والأمر» فأخبر أن الأمر غير مخلوق.

وقوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ ۖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ﴿٣﴾.

فأخبر تعالى أن القرآن من علمه وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتِ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٤﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أُنزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ ﴿٥﴾، فالقرآن من علم الله - تعالى - وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاء به ﷺ من العلم هو القرآن لقوله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ﴿٦﴾ (٧).

وقد تقدم في المسائل السابقة ما يبطل قول المعتزلة والأشاعرة.

(١) سورة التوبة، آية: ٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٣) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٢٠.

(٥) سورة الرعد، آية: ٣٧.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٢٠.

(٧) انظر: السنة (١٠٧) لعبدالله بن الإمام أحمد.

(٨) الفتاوى (٣٢٥/٦).

أما قول الكرامية، والإمامية، فإنه يلزم عليه:

- ١ - انتفاء صفة الكمال عن الرب عز وجل .
- ٢ - ويلزم عليه حدوث بلا سبب .
- ٣ - ويلزم عليه أن ذاته صارت محلاً لنوع الحوادث بعد أن لم تكن كذلك، وكل هذا باطل^(١).

* * *

يُسأل: عن القرآن هل منه بدأ وإليه يعود؟ فإن قال به، فهو سني، وإن أنكره، فهو معتزلي^(١) وأشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۚ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۚ﴾^(٢)، وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۚ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ﴾^(٤).

وقوله ﷻ: «القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود بلا كيف فالقرآن صفة من صفات الله ما هو مخلوق أنزله بعلمه ليهتدي به الخلائق ثم يرجع إليه كما منه بدأ وإليه يعود بلا كيف»^(٥)، وقوله في آخر سورة الحشر كلها: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾، إلى قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾^(٦)، كيف تفنى صفاته وكلامه تباً لهم^(٧)، وسحقاً ولعنوا بما قالوا^(٨).

(١) في م (أو)

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٤.

(٣) سورة الواقعة، ٨٠، الحاقة ٤٣.

(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٥) أخرجه الديلمي في الفردوس (٤٦٦٧) من طريق الربيع بن سليمان عن الشافعي عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهير عن أنس بلفظ (القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كفر) قال ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ١٣٤) في سننه مجاهيل وهو موضوع على الربيع بلا شك.

(٦) سورة الحشر، آية: ٢٤.

(٧) كتب في الهامش: «تباً لفلان أي هلك مجمل».

(٨) من قوله: «دليلنا... إلى قوله: بما قالوا» ليست في م.

دراسة المسألة :

ما قرره المؤلف من أن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن القرآن منه بدأ وإليه يعود حق وصواب، وقد قال بذلك غير واحد من السلف .

قال عمرو بن دينار: «أدرکت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود»^(١).

ومقصود السلف في قولهم: «منه بدأ» لأن الجهمية والمعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل، فقال السلف: «منه بدأ» أي هو المتكلم به، فمنه بدأ، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾^(٢)، وقال أيضاً: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾^(٣).

ومعنى قولهم: «إليه يعود» ويرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار^(٤).

منها ما جاء عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: «إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة، وإن هذا

(١) شرح أصول الاعتقاد (٢/ ٢٣٤) - البخاري في حلق أفعال العباد (١١٧).

(٢) سورة السجدة، آية: ١٣.

(٣) سورة النحل، آية: ١٠٢.

(٤) انظر: شرح الطحاوي (١٩٤-١٩٥).

القرآن الذي ينزل بين أظهركم يوشك أن يرفع، قال الراوي: قلت: لعبد الله: كيف يرفع وقد أثبتته الله في صدورنا، وأثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسري عليه ليلاً، فلا يترك منه شيء في صدر رجل ولا مصحف ثم قرأ: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^{(١)(٢)}.

قال شيخ الإسلام: ومعنى قول السلف «منه بدأ»، قال أحمد ابن حنبل: منه بدأ، أي هو المتكلم به، فإن الذين قالوا: إنه مخلوق، قالوا خلقه في غيره فبدأ من ذلك المخلوق، فقال السلف: منه بدأ، أي هو المتكلم به، لم يخلقه في غيره فيكون كلاماً لذلك المحل الذي خلقه فيه^(٣).

وقد استدلل المؤلف بأدلة صحيحة صريحة في تقرير عقيدة السلف في هذا الموضع:

منها قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾^(٤)، وهذه الآية تفسر أن القرآن ابتداءً من الله - تعالى -

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٦.

(٢) أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن (٤٣٨/٢) وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٥/١٥ - ١٧٦) وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٦٣ - ٥٩٨١) والطبراني في الكبير (٨٧٠٠) والحاكم في المستدرک (٤/٥٠٤) وأبو عمر الداني في كتابه (السنن الواردة في الفتن) (٣/٥٩٥) - رقم ٢٦٩ كلهم من طريق عبدالعزيز بن رفيع عن شداد بن معقل عن ابن مسعود. قال الهيثمي في المجمع (٧/٣٣٠) رحاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة وهو بسناد موقوف له حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالاحتياط.

(٣) الفتاوي (٤٠/١٢).

(٤) سورة الرحمن، الآيات ١ - ٤.

قال ابن كثير: في هذه الآية «يخبر - تعالى - عن فضله ورحمته بخلقه: أنه أنزل على عباده القرآن، ويسر حفظه وفهمه على من رحمه»^(١). وفيه دليل أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه وصف الإنسان بالخلق ولم يصف القرآن به.

ومنها قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وهذه الآية ظاهر وجه الاستدلال بها في كون القرآن منزلاً من رب العالمين فابتدأه منه سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٣). ووجه استدلال المؤلف بها أن القرآن من جملة الكلم الطيب الذي يرفع إليه سبحانه.

قال ابن كثير: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٤)، يعني: «الذكر والتلاوة والدعاء قاله غير واحد من السلف»^(٥).

وقد أورد في كتابه التبصرة جملة من الأدلة على مذهب السلف في هذا الموضع^(٦).

منها ما روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: أقرأني

(١) تفسير ابن كثير (٤٦٤/٧) ط الشعب

(٢) سورة الواقعة: آية: ٨٠، والهاقة ٤٣.

(٣) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٥) ابن كثير (٥٢٣/٦).

(٦) انظر التبصرة (١١٣-١١٦).

رسول الله ﷺ آية فأثبتها في مصحفِي، فلما كان في الليلة جئت حتى أقرأها فلم أقدر على قراءتها فعدت إلى المصحف فوجدت مكان الآية أيضاً؛ فخبرت بذلك النبي ﷺ، فقال: أما علمت أنها رفعت البارحة^(١).

قال المؤلف في التبصرة: «والذي يدل على صحة هذا - يعني أنه القرآن منه بدأ وإليه يعود - قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾^(٢) والنسخ عبارة عن الرفع أو هو الرفع والإزالة»^(٣).

وقد أجمع المفسرون: على أن من القرآن ما نسخ خطه وحكمه^(٤)، وهذا معنى قولنا «إليه يعود» وكل مقالة حدثت بعد انعقاد الإجماع لا يلتفت إليها؛ لكونها حدثت بعد انعقاد الإجماع.

وقد ثبت من مذهبنا أن القرآن منزل، وقد دلت الأدلة على ذلك، وهذا معنى قولنا «منه بدأ» وإذا ثبت أنه منه بدأ ثبت أنه إليه يعود، لأنه سبحانه قال: ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾^{(٥)(٦)}.

(١) أخرجه عبدالرازق في المصنف ٣٠/٣٦٣ والطبراني في الأوسط بمعناه عن أبي هريرة (١٥٦/٧).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٠٦.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢٤/٥)، ولسان العرب (٦١/٣).

(٤) انظر روضة الناظر (٢٠١/١) والأحكام (٦١/٤) لابن حزم والعدة في أصول الفقه (٧٨٢/٣).

(٥) سورة هود، آية: ١٢٣.

(٦) انظر التبصرة (١١٦ - ١١٧).

ما قرره المؤلف من أنَّ المعتزلة تنكر أن القرآن منه بدأ وإليه يعود: صواب، فهم يقولون إن القرآن مخلوق محدث كما تقدم في المسائل السابقة، وذلك أنهم يقولون إن الله خلق القرآن في غيره، فكلام الله عندهم فعل من أفعاله يحدثه ويخلقه في الأجسام إذا أراد مخاطبة الخلق بالأمر والنهي والوعد والوعيد والزجر والترغيب^(١).

قال أبو القاسم الرسي: «معنى كلامه جل ثناؤه، لموسى - صلوات الله عليه - عند أهل الإيمان والعلم، أنه أنشأ كلاماً خلقه كما شاء فسمعه موسى، ﷺ وفهمه، وكل مسموع من الله فهو مخلوق لأنه غير الخالق له، وإنما ناداه الله، جل ثناؤه، فقال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، والنداء غير المنادي، والمنادي بذلك هو الله، جل ثناؤه، والنداء غيره، وما كان غير الله مما يعجز عنه الخلائق فمخلوق، لأنه لم يكن ثم كان بالله وحده لا شريك له»^(٣).

وما قرره المؤلف من أن الأشاعرة تنكر أن القرآن منه بدأ وإليه يعود: صواب.

فقد قال الجويني في لمع الأدلة: «فاعلم أن كلام الله تعالى: قديم، أزلي لا مبتدأ لوجوده»^(٤).

(١) انظر رسائل العدل والتوحيد (٢٢٣) رسالة المحتصر في أصول الدين للناضي عبد الجبار.

(٢) سورة القصص، آية: ٣٠.

(٣) رسائل العدل والتوحيد (١٣٧).

(٤) لمع الأدلة (١٠٢) ط/ عالم الكتب.

وقال في الإرشاد: «فإنهم أثبتوا للكلام القديم على زعمهم ابتداء وانتهاء»^(١).

وقال الباقلاني: «كلام الله القديم ليس بمخلوق، ولا محدث، ولا حادث، ولا خلق، ولا مخلوق، ولا جعل ولا مجعول، ولا فعل ولا مفعول، بل هو كلام أزلي أبدي، هو متكلم به في الأزل كما هو متكلم به فيما لا يزال لا أول لوجوده، ولا آخر له»^(٢).

وقال المكلاتي: «اعلموا أن مذهب أهل الحق: أن الباري يتكلم بكلام قديم، لا مفتتح لوجوده»^(٣).

* * *

(١) الإرشاد (١٢٩) ط/ الخانجي.

(٢) انظر الإنصاف (٩٨).

(٣) لباب العقول (٢٥٥).

يُسأل: عن التلاوة هل هي المتلو؟^{(١)(٢)} وعن القراءة هل هي المقروء؟ وعن الكتابة هل هي المكتوب؟ فإن قال: هو القرآن جميعاً^(٣)، فهو سني، وإن قال: غيره^(٤)، فهو معتزلي^(٥) وأشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْهِ مِنْ نَبَأِ مُوسَى﴾^(٦) الآية.

وقوله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾^(٧) يعني غير مخلوق^(٨)، والقراءة قوله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٩)، إلى قوله: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^(١٠) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١١)، وأيضاً قوله ﴿وَإِنْ أَفْوَاحَكُمْ طَرَقَ الْقُرْآنَ فَطَهَرُوهَا بِالسَّوَاكِ﴾^(١٢)، وإنما هي طرق التلاوة، فدل على

(١) كتب في الهامش: «راد علي المخالف لأنه يقول: تالي ومتلو، وقاري ومقرؤة، وكاتب ومكتوب، يعني فاعل ومفعول، وما دخل فيه فاعل ومفعول، مخلوق، معتدب التلاوة والمتلو شيء واحد، فضرب ومضروب، لأن الضرب والمضروب شيان، لأن الضرب المصدر والمضروب مفعول به، بخلاف القرآن».

(٢) كتب في هامش م: «يريدون أن ما يسمع من القاري هو نفس كلام الله لا تلاوته ولا قراءته وقلت الأشعرية، التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء، ويريدون أن ما يسمع من القاري ليس بكلام الله وإنما هو كلام القارئ وهو مخلوق، ولذلك قال الكتابة غير المكتوب على نحو ما ذكروا في التلاوة والقراءة «تنصرة المقدسي».

(٣) في م: «هي إياها».

(٤) في م: «غيرها».

(٥) في م: «أو».

(٦) القصص جزء من آية: (٣).

(٧) الزمر جزء من آية: (٢٨).

(٨) روي هذا عن ابن عباس انظر الآخري في الشريعة ص (٧٧).

(٩) سورة العلق، آية: ١.

(١٠) سورة العلق، الآيات: ٣، ٥.

(١١) أخرجه بن ماجه كتاب الطهارة باب السواك (٢٩١) وأبو نعيم (٢٩٦/٤) في الحلية =

أنها هي القرآن^(١).

* * *

= موقوفاً على علي - رضي الله عنه - قال العرافي في تخريج الأحياء ١٠ / ٨٠ (رواه أبو نعيم من حديث علي وابن ماحه موقوفاً وكلاهما ضعيف .
(١) من قوله: «دليلنا... إلى قوله: هي القرآن» ليست في م .

دراسة المسألة :

هذه المسألة من المسائل التي افترق بسببها أهل الحديث، فصار طائفة منهم يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق وليس مرادهم صوت العبد، كما يذكر عن أبي حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي، وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك أو يقف فيه، ففهم ذلك بعض الأئمة فصار يقول: أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة رداً على هؤلاء، كما فعل البخاري ومحمد بن نصر المروزي وغيرهما من أهل العلم والسنة، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك نوع من الفرقة والفتنة.

ولهذا قال ابن قتيبة: إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ^(١)، وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء، وليس مرادهم بالتلاوة المصدر، ومقصدهم من قولهم التلاوة هي المتلو، أن التلاوة هي القول والكلام المقترن بالحركة وهي الكلام المتلو.

والذين قالوا إن التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء وهم من أهل السنة والحديث، أرادوا بذلك أن أفعال العباد ليست هي كلام الله، ولا أصوات العباد هي صوت الله.

(١) انظر رسالة الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية المشبهة، لابن قتيبة

وهذا الذي قصده البخاري هو مقصود صحيح .

وسبب ذلك أن لفظ التلاوة، والقراءة واللفظ، مجمل مشترك يراد به المصدر ويراد به المفعول، فمن قال اللفظ ليس هو الملفوظ، والقول ليس هو المقول، وأراد باللفظ والقول المصدر كان معنى كلامه أن الحركة ليست هي الكلام المسموع وهذا صحيح .

ومن قال اللفظ هو الملفوظ، والقول هو نفس المقول، وأراد باللفظ والقول مسمى المصدر، صار حقيقة مراده أن اللفظ والقول هو الكلام المقول الملفوظ وهذا صحيح .

فمن قال اللفظ بالقرآن أو القراءة أو التلاوة مخلوقة، أو لفظي بالقرآن أو تلاوتي دخل في كلامه نفس الكلام المقروء المتلو وذلك هو كلام الله، وإن أراد بذلك مجرد فعله وصوته كان المعنى صحيحاً، لكن إطلاق اللفظ يتناول هذا وغيره ولهذا قال الإمام أحمد في بعض كلامه: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي»، احترازاً عما إذا أراد به فعله وصوته، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق أو تلاوتي دخل في ذلك المصدر الذي هو عمله، وأفعال العباد مخلوقة .

ولو قال أردت به أن القرآن المتلو غير مخلوق لا نفس حركاتي، قيل: لفظك هذا بدعة وفيه إجمال وإيهام، وإن كان مقصودك صحيحاً، فلهذا منع أئمة السنة الكبار إطلاق هذا وهذا وكان وسطاً بين الطرفين، وكان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يقولون: القرآن حث تصرف كلام الله غير مخلوق من غير أن يقرن بذلك ما يشعر أن أفعال

العباد وصفاتهم غير مخلوقة .

وصارت كل طائفة من النفاة والمثبتة في مسألة التلاوة تحكي قولها عن أحمد، وهم كما ذكر البخاري في كتاب خلق الأفعال وقال: إن كل واحدة من هاتين الطائفتين تذكر قولها عن أحمد وهم لا يفقهون قوله لدقة معناه .

ولهذا قال الإمام أحمد لأبي طالب لما قرأ عليه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) وقال له هذا غير مخلوق فحكي عنه أنه قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، قال له: أنا قلت لك لفظي غير مخلوق؟ قال: لا، ولكن قرأت عليك: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقلت: هذا غير مخلوق^(٢).

وعلى هذا فالتلاوة قد يراد بها نفس الكلام الذي يتلى، وقد يراد بها نفس حركة العبد، وقد يراد بها مجموعهما، فإذا أريد بها الكلام نفسه الذي يتلى فالتلاوة هي المتلو، وإذا أريد بها حركة العبد فالتلاوة ليست هي المتلو، وإذا أريد بها المجموع فهي متناولة للفعل والكلام، فلا يطلق عليها أنها المتلو، ولا غيره^(٣).

وما ذكره المؤلف من أن الأشاعرة يقولون: القراءة غير المقروء والتلاوة غير المتلو: صواب.

(١) سورة الإخلاص، آية: ١

(٢) انظر الدرر (١/٢٦٢-٢٦٦) والفتاوى (١٢/٤٠٨-٤١١).

(٣) الفتاوى (١٢/٣٠٧).

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن القراءة غير المقروء، والتلاوة غير المتلو والكتابة غير المكتوبة»^(١).

قال عبد القاهر البغدادي: «وقراءة كلامه بالعربية قرآن، وقراءته بالعبرانية تورا، وبالسريانية إنجيلاً» والقراءة غير المقروء؛ لأن المقروء كلام الله وليست القراءة كلامه»^(٢).

وما قرره عن المعتزلة أنهم يقولون التلاوة غير المتلو والقراءة، لم أجد نصاً لهم في هذا الموضع، وقد نسب لهم الأشعري في «المقالات» هذا القول فقال:

«وقالت المعتزلة: القراءة غير المقروء، وهي فعلنا، والمقروء فعل الله سبحانه»^(٣).

استدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَحْنُ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٤)، على أن التلاوة هي المتلو، وأنها تطبق على المفعول الذي وقع عليه فعل القارئ وهو الملفوظ، المتلو^(٥).

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾^(٦)، على أن القرآن

(١) الإنصاف (٧٠) الثقافة الإسلامية الكويتي

(٢) أصول الدين (١٠٨) ط أولى ١٣٤٦ ط التركية مدرسة الإلهيات.

(٣) المقالات (١٧١/٢) ت محمد محي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.

(٤) سورة القصص، آية: ٣

(٥) البصرة (٣٠٢).

(٦) سورة الزمر، آية: ٢٨.

المراد به المقروء، الذي هو كلام الله غير مخلوق.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١).

وقوله ﷺ: «إن أفواهكم طرق القرآن فطهروها بالسواك»^(٢).

وقال في وجه الدلالة منها: «وإنما هي طرق التلاوة فدل على أنها القرآن»^(٣).

وقد بينت بما سبق أن التلاوة والقراءة والكتابة ألفاظ مجملة تطلق على المصدر الذي هو فعل اللفظ، والقارئ، والتالي، والكاتب، وهي من كسبه الذي يكون بآلاته، وجوارحه، ومنه صوته، وحركة شفثيه، ويديه.

وتطلق على المفعول، الذي وقع عليه فعل القارئ، وهو الملفوظ، المقروء، المتلو، المكتوب والأغلب في لغة العرب استعمالها في المصادر، لكنهم يستعملون المصدر بمعنى المفعول.

قال سيبويه - رحمه الله -: «وقد يجيء المصدر على المفعول، وذلك كقولك: «لبن حلب» إنما تريد محلوباً، وكقولهم: «الخلق» إنما يريدون: المخلوق، ويقولون للدرهم: «ضرب الأمير» وإنما يريدون: مضروب الأمير»^(٤).

(١) سورة العلق، آية: ١.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٥٢.

(٣) التبصرة (٣٠٢).

(٤) الكتب (٢٤/٤).

قال ابن قتيبة - رحمه الله - : «وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن، أن القراءة انظر واحد يشتمل على معنيين: أحدهما عمل، والآخر قرآن، إلا أن العمل لا يتميز من القرآن، كما يتميز الأكل من المأكل فيكون الممضوغ والمبلوع، ويكون الأكل المضغ والبلع، والقرآن لا يقوم بنفسه وحده كما لا يقوم المأكل بنفسه وحده، وإنما يقوم بواحدة من أربع كتابة أو قراءة، أو حفظاً أو استماعاً، فهو بالعمل في الكتابة قائم، والعمل خطٌ وهو مخلوق، والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق، وهو بالعمل في القراءة قائم، والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن وهو مخلوق، والمقروء قرآن وهو غير مخلوق، وهو بحفظ القلب قائم في القلب، والحفظ عمل وهو مخلوق والمحفوظ قرآن وهو غير مخلوق، وهو بالاستماع قائم في السمع، والاستماع عمل وهو مخلوق، والمسموع قرآن غير مخلوق»^(١).

* * *

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على المشبهة (٥٢-٥٣) ط / الكتب العلمية.

يُسأل: عمّا في المصحف هل هو نفس القرآن أم ^(١) كتابته؟
 فإن قال: نفس كلام الله ^(٢)، فهو سني.
 وإن قال: كتابته، فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿طَسَمَ ۖ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ^(٣).
 وقوله: ﴿الَمْ ۖ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
 لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ ^(٤).
 وقوله: ﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^{(٥)(٦)}.

* * *

-
- (١) الصواب «أو».
 (٢) في م: «القرآن».
 (٣) سورة القصص، الآتان: ١-٢.
 (٤) سورة لقمان، الآتان: ١، ٣.
 (٥) سورة النمل، آية: ١.
 (٦) من قوله: دليلنا. «إلى قوله تعالى «وكتاب مبين» ليس في م.

يسأل: عما في صدور المقرئين^(١) هل هو نفس القرآن أم^(٢) حفظه؟

فإن قال: نفس القرآن، فهو سني.

وإن قال: حفظ القرآن، فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٣).

قوله: ﴿الْمَصِّ بِكَ كَتَبْتُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾^(٤) مِنْهُ لِنُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ (٦) الآية^(٧).

* * *

(١) هي م: «الصدور».

(٢) الصواب «أو».

(٣) العنكبوت جزء من آية. (٤٩).

(٤) كتب في الهامش: «حرج: أي شك القرآن بأنه من الله».

(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ٢-١.

(٦) من فوه: «دليلنا». حتى قوله «الآية» لست في م.

(٧) وبم يظهر لي وجه استدلال المؤلف بهذه الآية على أن المحفوظ في الصدور هو القرآن قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ قال مجاهد وقتادة والسدي: شك منه تفسير ابن كثير (٤/٣٨٢٥) والذي يظهر أن معنى الآية: فلا يكن في صدرك شك من نليغه وأدائه.

دراسة المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «في جواب هذه المسألة «الواجب أن يطلق ما أطلقه الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ (١) ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (٢)، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٣) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٤) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٥)، وقوله: ﴿وَالطُّورِ﴾ (٦) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٧) فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ (٨)، وقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (٩) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (١٠)، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَذِكْرٌ﴾ (١١) ﴿فَن شَاءَ ذَكَرُ﴾ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)﴾ (١٧).

وكذلك قول النبي ﷺ: «لا يسافر بالقرآن إلى أرض العدو» (١٨).

وقوله: «استذكروا القرآن، فلهو أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم في عقلها» (١٩) وكلاهما في الصحيحين، وقوله: «الجوف الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب» (٢٠).

(١) سورة البروج، الآيات: ٢٠-٢١.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧-٧٩.

(٣) سورة الطور، الآيات: ١-٣.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ٢، ٣.

(٥) سورة عبس، الآيات: ١١-١٦.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب كراهية السفر بالمصحف (٢٩٩٠) مسلم في كتاب الإمامة باب النهي أن يسافر بالمصحف (١٨٦٩).

(٧) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب: استذكار القرآن (٥٠٣٣) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب: الأمر بتعهد القرآن (٧٩١).

(٨) الترمذي - فضائل القرآن - (٢٩١٣) وقال حسن صحيح، وأحمد (١٩٤٨)، والدارمي: =

فمن قال: القرآن في المصاحف والصدور فقد صدق، ومن قال: فيها حفظه وكتابه فقد صدق، ومن قال: القرآن مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور فقد صدق، ومن قال: إن المداد أو الورق، أو صفة العبد أو فعله، أو حفظه وصوته قديم، أو غير مخلوق فهو مخطيء ضال، ومن قال: إن ما في المصحف ليس هو كلام الله، أو ما في صدور القراء ليس هو كلام الله، أو قال: إن القرآن العزيز لم يتكلم به الله، ولكن هو مخلوق، أو صفة جبريل أو محمد، ومن قال: إن القرآن في المصاحف كما أن محمداً في التوراة والإنجيل، فهو أيضاً مخطيء ضال، فإن القرآن كلام، والكلام نفسه يكتب في المصحف بخلاف الأعيان فإنما يكتب اسمها وذكرها، فالرسول مكتوب في التوراة والإنجيل ذكره ونعته، كما أن القرآن في زير الأولين، وكما أن أعمالنا في الزبر.

قال تعالى: ﴿وَابْنِ لِي زُبُرَ الْأَوَّلِينَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾^(٢)، ومحمد مكتوب في التوراة والإنجيل، كما أن القرآن في تلك الكتب، وكما أن أعمالنا في الكتب، وأما القرآن فهو نفسه مكتوب في المصاحف، ليس المكتوب ذكره الخبر عنه، كما يكتب اسم الله في الورق، ومن لم يفرق بين كتابة الأسماء والكلام،

- فضائل القرآن (٣٣٠٦). والحاكم فضائل القرآن (٥٥٤/١) وصححه، وقال الذهبي فيه قابوس بن مصعد لين الحديث..

(١) سورة الشعراء، آية: ١٩٦.

(٢) سورة القمر. آية. ٥٢.

وكتابة المسميات والأعيان - كما جرى لطائفة من الناس - فقد غلط غلطاً سوى فيه بين الحقائق المختلفة. كما قد يجعل مثل هؤلاء الحقائق المختلفة شيئاً واحداً، كما قد جعلوا جميع أنواع الكلام معنى واحداً^(١).

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: «قال أصحاب الحديث وأهل السنة: إن القرآن المكتوب الموجود في المصاحف، والم محفوظ الموجود في القلوب هو حقيقة كلام الله - عز وجل - بخلاف ما زعم قوم أنه عبارة عن حقيقة الكلام القائم بذات الله - عز وجل - ودلالة عليه، والذي هو في المصحف محدث وحروفه مخلوقة.

ومذهب علماء السنة والفقهاء أنه الذي تكلم الله به، وسمعه جبريل من الله وأدى جبريل إلى النبي ﷺ وتحدى به النبي ﷺ، وجعله الله عز وجل دلالة على صدق نبوته ومعجزته، وأدى النبي ﷺ إلى الصحابة رضوان الله عليهم حسب ما سمعه من جبريل عليه السلام، ونقله السلف إلى الخلف قرناً بعد قرن، والدليل على أن القرآن موجود في المصاحف: نهى النبي ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن ينالوه، فلو كان ما في المصحف هو الزاج والكاغد، لم ينه النبي ﷺ أن يسافر به إلى أرض العدو لأن الزاج والكاغد لا حرمة له فيحترز من أن يناله العدو، فعلم أن في المصحف شيئاً موجوداً زائداً على الزاج والكاغد له حرمة؛ فهي عن المسافرة»^(٢).

(١) الفتاوى (١٢/٥٦٤-٥٦٥).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/٣٦٨-٣٦٩).

استدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿طَسَّ ۚ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۚ﴾ وقواه ﴿الْمَ ۚ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۚ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وقوله: ﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

في الدلالة على أن المكتوب في المصاحف هو القرآن لا غيره، وذلك لأن الله أشار إليه بقوله (تلك) و«تلك» عند أهل اللغة إشارة إلى شيء حاضر موجود يسمع، ويقرأ، ويكتب، وينظر إليه، وهذا يدل على أن المكتوب في المصاحف هو كلام الله حقيقة^(٣).

قال الإمام أحمد بن حنبل: إن القرآن يتصرف على خمسة أوجه نراه بأبصارنا، الأبصار مخلوقة، والذي نبصر فيها غير مخلوق، ونقرؤه بألسنتنا الألسن مخلوقة، والمقروء بها غير مخلوق، ونسمعه بأذاننا، الأذان مخلوقة والمسموع بها غير مخلوق، ونكتبه بأيدينا، الأيدي مخلوقة والمكتوب بها غير مخلوق، ونحفظه بقلوبنا القلوب مخلوقة، والمحفوظ بها غير مخلوق^(٤).

ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة: صواب.

قال الآمدي: «ولا ننكر أن القرآن القديم مكتوب ومحفوظ ومسموع، ومتلو لكن ليس معنى كونه مكتوباً أو محفوظاً أنه حال في

(١) سورة لقمان، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة النمل، آية: ١.

(٣) انظر التبصرة (١٥٨) وانظر شذور الذهب (١٣٩).

(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٤٨-٤٤٩) والإبانة (١/٣٤١) قسم الرد على الجهمية.

المصاحف أو الصدور، بل معناه أنه قد حصل فيها ما هو دال عليه، وهو مفهوم منه ومعلوم»^(١).

وقال الجويني: «وكلام الله - تعالى - مقروء باللسنة القراء، محفوظ بحفظ الحفظة، مكتوب في المصاحف على الحقيقة، والقراءة: أصوات القارئ ونغماتهم، وهي من الأفعال التي يؤمر بها، وينهى عنها، ويثاب المكلف عليها، وقد يعاقب على تركها، وكلام الله تعالى: هو المعلوم المفهوم منها، والكتابة أحرف منظومة، وأشكال مرقومه وهي: حوادث، والمفهوم منها كلام الله تعالى، كما أن الله تعالى مكتوب، معلوم، مذكور، وهو غير ذكر الذاكرين وعلم العالمين وكتابة الكاتبين»^(٢).

قال الجويني: «كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، وليس حالاً في مصحف، ولا قائماً بقلب والكتابة قد يعبر بها عن حركات الكاتب، وقد يعبر بها عن الحروف المرسومة، والأسطر المرقومة، وكلها حوادث، ومدلول الخطوط، والمفهوم منها الكلام القديم، وهذا بمثابة إطلاق القول بأن كلام الله مكتوب في المصاحف، وليس المعنى بذلك اتصاله بالأجسام وقيامه بالأجرام»^(٣).

* * *

(١) غية المرام (١١١).

(٢) لمع الأدلة (١٠٥-١٠٦).

(٣) وانظر الإرشاد (١٣٢) وانظر الإنصاف للباقلاني (٩٣).

يُسأل: عن الباري جل جلاله، هل هو على العرش استوى^(١) أم^(٢)

لا؟

فإن قال: هو على العرش استوى بلا كيف^(٣)، فهو سني.

وإن قال: لا، فهو أشعري^(٤) ومعتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^{(٥)(٦)}.

* * *

(١) «استوى» ليست في م.

(٢) الصواب لغة «أو».

(٣) «استوى بلا كيف» ليست في م.

(٤) في م: «أو».

(٥) سورة طه، آية: ٥.

(٦) من قوله: «دليلنا... حتى قوله... استوي» ليست في م.

دراسة المسألة :

أجمع أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة على أن الله عز وجل مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تكيف ولا تمثيل كما أخبر عن نفسه فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١).

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢).

وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٣).

وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٤)، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾^(٥).

وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٦)، وقال في سورة الحديد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٧)، فهذه سبعة مواضع أخبر فيها

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٢) سورة يونس، آية: ٣.

(٣) سورة الرعد، آية: ٢.

(٤) سورة طه، آية: ٥.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٦) سورة السجدة، آية: ٤.

(٧) سورة الحديد، آية: ٤.

سبحانه أنه على العرش .

وقال عليه السلام: «إن الله عز وجل كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش»^(١).

قال الإمام مالك لما سئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢): الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»^(٣).

قال الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفات الله جل وعلا»^(٤).

قال الإمام أبو عمر الطلمنكي: «أجمع المسلمون من أهل السنة أن الله تعالى مستو على عرشه كيف شاء»^(٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن نقل أقوال عدد من أهل العلم في حكاية الإجماع على استواء الله على عرشه: «وهذا باب واسع لا يحصيه إلا الله تعالى، فإن الذين نقلوا إجماع أهل السنة أو إجماع الصحابة والتابعين على أن الله فوق العرش بائن من خلقه لا يحصيهم

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء (٣٨٨٦٠) ومسلم في كتاب النوبة باب سعة رحمة الله (٦٩١٤).

(٢) سورة طه، آية: ٥.

(٣) العلو (٩٩) للذهبي ط/ أنصار السنة.

(٤) الأسماء والصفات (٤٠٨) البيهقي ط السعادة.

(٥) العلو (١٤٨) الذهبي.

إلا الله...»^(١).

ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة والمعتزلة من إنكار استواء الله على عرشه صواب.

فالأشاعرة يجعلون الاستواء عائداً إلى العرش لا إلى الله - تعالى -.

قال الغزالي: «وأما الاستواء فهو نسبة للعرش لا محالة»^(٢).

قال الباقلاني: «وقد سئل الشبلي عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فقال: الرحمن لم يزل ولا يزول والعرش محدث، والعرش بالرحمن استوى»^(٣).

والمعتزلة يقولون: استواء الله على العرش معناه الاستيلاء.

قال القاضي عبد الجبار: «والاستواء ههنا، بمعنى الاستيلاء والغلبة وذلك مشهور في اللغة»^(٤).

ومن الأشاعرة من يوافق المعتزلة في هذا التأويل الفاسد كالجويني حيث قال: «... لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة...»^(٥).

(١) بيان تلبس الجهمية. ط الأولى - م الحكومة - مكة المكرمة ١٣٩٢هـ.

(٢) الاقتصاد (٥٥) ط كية الإلهيات - أنقرة ١٩٦٢م.

(٣) الإنصاف (٣٧) ط مكتبة الثقافة ١٣٦٩هـ.

(٤) شرح الأصول (٢٢٦) وانظر المختصر في أصول الدين (٢٦١) رسائل العدل والتوحيد.

(٥) الإرشاد (٤٠) ط الخانجي ١٣٦٩هـ.

والآمدي حيث قال. «وأما آية الاستواء فإنه يحتمل أن يكون المراد التسخير، والوقوع في قبضة القدرة، ولهذا تقول العرب: استوى الأمير على مملكته، عند دخول العباد تحت طوعه في مرادته، وتسخيرهم في مأموراته ومنهياته، وإليه الإشارة بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق^(١)
والأدلة على بطلان مذهب الأشاعرة والمعتزلة أكثر من أن تحصى..

فقول الأشاعرة: إن الاستواء عائد إلى العرش فيكون المعنى: «الرحمن العرش استوى».

فالجواب عنه من وجوه:

الأول: أنهم بهذا القول أقرُّوا أنه تعالى في جهة العلو وهم لا يقولون بذلك.

الثاني: أنه لو كان الأمر كما قالوا لكانت القراءة برفع الشين أولى ويكون أصلاً فيه، وكان يحب أن يكون «على» فعلاً، فلما أجمع المسلمون على أن القراءة بخفض العرش، وعلى أن ذلك هو الأصل، وأن حرف «على» في هذا الموضع حرف جر فدل على بطلان ما قالوه.

الثالث: أن أم سلمة رضي الله عنها لما سألت عن قوله تعالى:

(١) غاية المرام (١٤١).

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١)، فقالت: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة^(٢).

والاستواء في اللغة غير مجهول، وإنما صفة استواءه جل جلاله غير معقولة لأن صفات الباري لم تكيف^(٣).

أما قول المعتزلة إن الاستواء بمعنى الاستيلاء واعتمادهم على قول الشاعر:

استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهران^(٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في إبطال احتجاجهم بهذا البيت: «لم يثبت بنقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى إثبات صحته، فكيف يبيت من الشعر لا يعرف إسناده؟»

وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذكر ذلك عن الخليل، كما ذكر

(١) سورة طه، آية: ٥.

(٢) رواه اللالكائي بسنده موقوفاً على أم سلمة (٣/٣٩٧) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» الفتاوى (٥/٣٦٥) ومثل هذا الجواب ثابت عن مالك وربيعة شيخ مالك أخرجه اللالكائي (٣/٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٨) وابن عبد البر في التمهيد (٧/١٣٨) والعلو للذهبي (٩٩).

(٣) انظر التبصرة (٢١٣-٢١٤).

(٤) انظر استدلال المعتزلة والإشاعة بهذا البيت شرح الأصول الخمسة (٢٢٦)، وغاية المرام (١٤١) الآمدي.

أبو المظفر في كتابه «الإفصاح».

قال: سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى، فقال: هذا مالا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها، وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله، فحيث حمل على مالا يعرف حمل باطل^(١).

ويقال لهم: إن لفظة الاستيلاء لا تستعمل في لغة العرب إلا أن يكون للمستولي مضاد ومغالب، فأيهما غلب قيل إنه استولى عليه، والباري تعالى لا مضاد له في ملكه^(٢).

قيل لابن الأعرابي: ما معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣)، فقال: هو على عرشه كما أخبر، فقال السائل: يا أبا عبدالله إنما معناه استولى، فقال ابن الأعرابي: ما يدريك؟ العرب لا تقول استولى على الشيء حتى يكون له مضاد، فأيهما غلب فقد استولى.

أما سمعت قول النابغة:

ألا لمثلِكَ أو من أنتِ سابقُهُ سبقَ الجوادِ إذا استولى على الأمد^(٤)

(١) الفتوى (١٤٦/٥).

(٢) انظر: التبصرة (٢١٧).

(٣) سورة طه، آية: ٥.

(٤) أخرجه الذهبي في العلو (١٠٨) (٣/٣٩٩) والبيت في ديوان النابغة (ص ١٣) عباس عبدالسائر دار الكتب العملية بيروت ط ١٤٠٦/٢ هـ.

ومما يبطل قولهم:

أن الأمة أجمعت مؤمنها وكافرها: على أن الله تعالى فوق العرش، فيقولون كلهم: الله تعالى في السماء ويشيرون في دعائهم ومسألتهم إلى السماء ويقصدون بذلك أن الله تعالى على عرشه^(١).

قال ابن عبد البر «ومن الحجة أيضاً في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع، أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كرههم أمر، أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته إلا اضطراراً، لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكر عليهم مسلم»^(٢).

* * *

(١) انظر: التبصرة (٢٢٢).

(٢) التمهيد (١٣٤/٧).

....^(١) دليلنا: قوله تعالى لإبليس اللعين:

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾^(٢).

واليد يد الصفة، لا قدرتان، ولا نعمتان، ولا جارحتان، بن هما
صفتان من صفات ذاته^(٣).

* * *

(١) ما قل قوله: «دليلنا» ساقطة من أصل المخطوطة ولا توجد في: م، والكلام في صفة
اليدين

(٢) ص: ٧٥.

(٣) هذه المسألة ليست في «م».

دراسة المسألة :

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن لله يدين بلا كيف كما جاءت النصوص بذلك .

قال تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَهُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٣) .
وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا ﴾ ^(٤) .

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى يا آدم: أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى عليهما السلام» ^(٥) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيباً، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها

(١) صورة ص، آية : ٧٥ .

(٢) سورة المائدة، آية : ٦٤ .

(٣) سورة يس، آية : ٨٣ .

(٤) سورة يس، آية : ٧١ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب القدر باب تحاج آدم وموسى حديث رقم (٦٦١٤) ومسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى حديث رقم (٢٦٥٢) .

كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل»^(١).

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»^(٢).

قال ابن القيم - رحمه الله -: «ورد لفظ اليد في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك، والطي، والقبض، والبسط، والنضح باليد، والخلق باليدين، والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فقطع بالضرورة أن المراد: يد الذات لا يد القدرة والنعمة، فإن السياق والتركيب لا يحتمله البتة»^(٣).

قال السجزي: «وأهل السنة متفقون على أن لله سبحانه يدين، بذلك ورد النص في الكتابة والأثر»^(٤).

قال ابن خزيمة: «نحن نقول: الله جل وعلا له يدان، كما أعلمنا الخالق الباري في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب الصدقة من كسب طيب (١٤١٠) ومسلم في كتاب الزكاة باب قبول الصدقة (١٠١٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل (١٨٢٧).

(٣) انظر مختصر الصواعق (٣٣٤) ط العلمية.

(٤) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (١٧٣).

(٥) التوحيد (١٩٣) ط دار الرشد.

وقال البغوي: «ويد الله صفة من صفاته ذاته، كالسمع والبصر والوجه والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم»^(١).

وقد ذهب قوم من أهل البدع إلى تأويل صفة اليد فقالوا: إن معنى اليد النعمة في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

قال القاضي عبد الجبار: «وتأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ نعمته، كما يقال: لفلان عندي يد، وأياد، وأراد الله تعالى بذلك نعم الدنيا والدين»^(٢).

وقالوا قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيدِي﴾^(٣).

قالوا: معنى اليد هنا القوة والقدرة.

قال القاضي عبد الجبار: «إن اليدين ههنا بمعنى القوة، وذلك ظاهر في اللغة، يقال: مالي على هذا الأمر يد، أي قوة»^(٤).

قال الآمدي: «أما لفظ اليدين فإنه يحتمل القدرة؛ ولهذا يصح أن يقال: في يدي إذا كان متعلق قدرته وتحت حكمه وقبضته، وإن لم يكن في يديه اللتين هما بمعنى الجارحتين أصلاً»^(٥).

ولا شك في بطلان هذه التأويلات كلها وبيان ذلك من وجوه عدة:

الأول: أن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في

(١) معالم التنزيل (٢/ ٥٠).

(٢) المختصر في أصول الدين (٢١٨) ضمن رسائل العدل والتوحيد.

(٣) سورة ص، آية: ٧٥.

(٤) شرح الأصول الخمسة (٢٢٨).

(٥) عاية المرام (١٣٩) الآمدي وانظر الإرشاد (١٥٥) الجويني.

القدرة، لأن اللغة إنما تجيز استعمال الواحد في الجمع كقوله: ﴿إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنٌ خَسِيرٌ﴾^(١)، ولفظ الجمع في الواحد كقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا
لَهُمُ النَّاسُ بِنَاتِئٍ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢)، ولفظ الجمع في الاثنين كقوله: ﴿صَغَتْ
قُلُوبُكُمَا﴾^(٣)، أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين أو الاثنين في الواحد
فلا أصل له في لغة العرب^(٤).

الثاني: أنه لا يوجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولا
عن أحد من أئمة المسلمين: أنهم قالوا المراد باليد خلاف ظاهرة أو
الظاهر غير مراد^(٥).

الثالث: أننا لو قلنا أنه يجوز أن يعنى باليد حقيقة اليد، وأنه يعنى
بها القدرة والنعمة أو يجعل ذكرها كناية عن الفعل، فمالموجب
لصرفها عن الحقيقة إلى المجاز^(٦)؟

الرابع: أن الله خص آدم وفضله بأن خلقه بيديه، ولو كان معنى
اليد القدرة أو النعمة أو مجرد إضافة خلقه إليه لشاركه في ذلك إبليس
وجميع المخلوقات^(٧).

(١) سورة العصر، آية: ٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

(٣) سورة التحريم، آية: ٤.

(٤) انظر الفتاوي (٣٦٥/٦) لابن تيمية.

(٥) المصدر نفسه (٣٦٧/٦).

(٦) المصدر نفسه (٣٦٧/٦).

(٧) انظر الفتاوي (٣٦٩/٦) وانظر وجوه الرد على مؤولة هذه الصفة في مختصر الصواعق

(٣٢٢ - ٣٣٤).

يُسأل: عن صفات الله تعالى^(١): ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾^(٤)، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾^(٥)، ونحو ذلك مما يصح سنده عن رسول الله ﷺ^(٦)، فإن آمن به ويمره^(٧) كما جاء من غير تكييف ولا تفسير،^(٨) فهو سني.

وإن قال يد القدرة والنعمة، فهو أشعري وسالمي^(٩)^(١٠).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ولو كان^(١١) يد القدرة كيف فضل آدم عليه السلام على سائر الخلائق وكيف يكون صفياً^(١٢).

(١) في م «الباري».

(٢) سورة المائدة، آية: ١١٦.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٢٧.

(٤) سورة ص، آية: ٧٥.

(٥) سورة القمر، آية: ١٤.

(٦) «مما يصح سنده عن رسول الله ﷺ ليست في م».

(٧) في م «وأمره» ولعله الصواب.

(٨) «من غير تكييف ولا تفسير» ليست في م».

(٩) «وإن قال يد القدرة والنعمة فهو أشعري» ليست في م» والذي في م «وإن تأوله وحمله على مقتضى اللغة، فهو معتزلي أو أشعري».

(١٠) السامية: طائفة من طوائف أهل البدع تنسب إلي محمد بن أحمد بن سالم ت ٢٩٧هـ وابنه أحمد بن محمد أبي الحسن ت ٣٦٠هـ، لهم بدع كثيرة منها القول بالحلول. وأن الله تعالى يرى يوم القيامة في صورة آدمي، وأن إياي أطاع الله تعالى - آخر الأمر.

انظر: المعتمد لأبي يعقوب (ص ٢١٧-٢٢١) الغنية (١/٩٤-٩٥) لعبد القادر الجيلاني.

(١١) الأصح «أن يقول: كانت» لأن «يد» اسم مؤنث.

(١٢) من قولك «دليلنا» إلى قوله... ويكون صفياً» ليست في م».

دراسة المسألة :

يؤمن أهل السنة والجماعة بصفات الله كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تكيف ولا تمثيل إذ إن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصف به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث^(٢).

قال أبو الفرج الشيرازي «ونصف الله بما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ كقوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾... فمذهبنا فيه ومذهب السلف الصالح الإيمان به واجب وإقراره كما جاءنا من غير تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تغيير»^(٤).

قال ابن عبد البر: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك، ولا يجدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) انظر: الفتاوى لابن تيمية (٢٦/٥).

(٣) سورة المائدة، آية: ١١٦.

(٤) التبصرة (٢٤٤-٢٤٦).

مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله»^(١).

قال شيخ الإسلام: «وجماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله بما وصف نفسه، وبما وصف به رسوله ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكليف والتعطيل، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فمن نفى صفاته كان معطلاً، ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلاً، والواجب إثبات الصفات ونفي مما ثلثتها لصفات المخلوقات، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فهذا رد علي الممثلة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢) رد على المعطلة، فالممثل يعبد صنماً والمعطل يعبد عدماً»^(٣).

وقد أورد المؤلف بعض آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٣) وهذه الآية فيها صفتان لله تعالى.

الأولى: صفة العلم وهي من صفاته الذاتية، والسلف متفقون علي أن الله - تعالى علماً، وأن علمه أزلي بأزليته، وأنه علم في الأزل ما سيكون من دقيق وجليل، وهو عالم بمعلومات غير متناهية، وينفون أن يكون علم الله تعالى مخلوقاً.

(١) التمهيد (١٤٥/٧) م فضالة.

(٢) الفتاوى (٥١٥/٦).

(٣) سورة المائدة، آية ١١٦.

قال ابن خزيمة: «قال عز وجل ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾^(١).

فأعلمنا الله أنه أنزل القرآن بعلمه، وخبرنا جل ثناؤه أن أنشى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، فأضاف الله جلا وعلا إلى نفسه العلم الذي أخبرنا أنه أنزل القرآن بعلمه وأن أنشى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون لخاقتنا علم مضاف إليه من صفات الذات، تعالى الله عما يقول الطاعنون في علم الله علواً كبيراً، فيقال لهم: خبرونا عن هو عالم بالأشياء كلها، أله علم أم لا؟ فإن قال: الله يعلم السر والنجوى وأخفى، وهو بكل شيء عليم، قيل له فمن هو عالم بالسر والنجوى وهو بكل شيء عليم، أله علم أم لا علم له؟ فلا جواب لهم لهذا السؤال إلا الهرب ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) (٣).

والثانية: صفة النفس، وقد جاءت النصوص بإثباتها في قوله تعالى: ﴿وَلِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَيَحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٥).

(١) سورة هود، آية: ١٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.

(٣) التوحيد (١/٢٢-٢٣).

(٤) سورة الأنعام، آية: ٥٤.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٨.

وقوله: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(١).

وقوله ﷺ: «يقول الله أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»^(٢).

قال ابن خزيمة: «فالله جلّ وعلا أثبت في آي من كتابه أن له نفساً، وكذلك قد بين على لسان نبيه ﷺ أن له نفساً، كما أثبت النفس في كتابه، وكفرت الجهمية بهذه الآي، وهذه السنن، وزعم بعض جهلتهم أن الله تعالى إنما أضاف النفس إليه على معنى إضافة الخلق إليه، وزعم أن نفسه غيره، كما أن خلقه غيره، وهذا لا يتوهمه ذو لبّ وعلم فضلاً عن أن يتكلم به.

قد أعلم الله في محكم تنزيله أنه كتب على نفسه الرحمة، أفيتوهم مسلم أن الله تعالى كتب على غيره الرحمة؟!

وحذر العباد نفسه، أفيحل لمسلم أن يقول: إن الله حذر العباد غيره؟ أو يتأول قوله لكليمه موسى ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ فيقول معناه: واصطنعتك لغيري من الخلق، أو يقول: أرد روح الله بقوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أراد ولا أعلم ما في غيرك؟ هذا لا يتوهمه مسلم ولا يقوله إلا معطل كافر»^(٣).

(١) سورة طه، آية: ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى (يحذرکم الله نفسه) (٧٤٠٥) ومسلم في كتاب الذكر باب الحث عليه (٢٦٧٥).

(٣) التوحيد (١/١٩-٢٠) ابن خزيمة.

في قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (١) إثبات صفة الوجه للرب عز وجل.

قال ابن خزيمة: «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبتته لنفسه، نقر بذلك بألستنا، ونصدق بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين...» (٢).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٣).

وقال ﷺ: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» (٤).

وقوله ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى وجه ربهم في جنة عدن إلا رداء الكبرياء على وجهه» (٥).

(١) سورة الرحمن، آية: ٢٧.

(٢) التوحيد (ص ١/٢٦).

(٣) سورة القصص، آية ٨٨.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب قوله ﷺ إن الله لا ينام (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله (ومن دونهما جنتان) (٤٨٧٨) وكتاب =

والأدلة على إثبات صفة الوجه أكثر من أن تحصى .

وفي قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ إثبات صفة العين للرب - عز وجل - .

والأدلة على إثبات هذه الصفة كثيرة منها : قوله تعالى : ﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٣) .

وقوله ﷺ : « إن الله ليس بأعور ، إلا أن المسيح الدجال أعور ، عينه اليمنى كأنها عنبه طافية » ^(٤) .

قال ابن خزيمة : « فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق الباري لنفسه من العين ، وغير مؤمن : من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبتته الله في محكم تنزيله ، ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبيناً عنه - عز وجل - ، في قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^(٥) ، فبين النبي ﷺ أن الله عينين فكان بيانه موافقاً

= التوحيد باب قوله (وجوه يومئذ ناضرة...) (٧٤٤٤) ومسلم كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه (١٨٠) .

(١) سورة هود ، آية : ٣٧ .

(٢) سورة طه ، آية : ٣٩ .

(٣) سورة الطور ، آية : ٤٨ .

(٤) البخاري كتاب الأنبياء باب «واذكر في الكتاب مريم» (٤٣٤٠) ومسلم في الفتن باب ذكر الدجال (٧٣٠٥) .

(٥) سورة النحل ، آية : ٤٤ .

لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتائب»^(١).

ما نسبته المؤلف إلى الإشاعة من القول بتأويل اليد بالقدرة والنعمة تقدم الكلام عليه.

أما ما نسبته إلى السالمية فلم أقف على كلام لهم في ذلك، ولم أجد من نسبته غير المؤلف، وهو حجة في ذلك.

* * *

(١) التوحيد (١/٩٧).

يسأل^(١) عن قوله ﷺ: «إن الله سميع بصير عليم متكلم»^(٢) فإن قال به، فهو سني.

وإن قال: سميع بلا سمع بصير بلا بصر، متكلم بلا حروف، فهو جهمي^(٣) وأشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾^(٤) الآية.

وقوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ﴾^(٥) الله سميع بصير ﴿٧٥﴾^(٥)، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٦)، وقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٧).

وقوله: إخباراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَتَأْتِيَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾^(٨).

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) نم أجده.

(٣) الجهمية: هم أصحاب جهنم بن صفوان ظهرت بدعته بترمد، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بن أمية، لهم بدع منها: نفي الصفات الأزلية، نفي الرؤية، وإثبات خلق الكلام وأنه لا يجوز وصف الباري بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي التشبيه فنفوا كونه حياً عليمًا، وأثبتوا كونه قادراً وفاعلاً خالقاً، وقالوا: إن الإنسان مجبور على أفعاله لا قدرة له ولا إرادة وإن الجنة والنار تفتيان، والإيمان معرفة الله وإنه لا يتفاضل. انظر الملل والنحل (٩٧/١) الشهرستاني ومقالات الإسلاميين (٢٧٩) الأشعري.

(٤) سورة المجادلة، آية: ١.

(٥) سورة الحج جزء من آية: (٧٥).

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٢٧.

(٧) سورة طه، آية: ٤٦.

(٨) سورة مريم، آية: ٤٢.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخري

(أَيْتَمُّ الْيَتَامَى) (٢٠٧)

٢٠- مسألة: إن الله سميع عليم؟

وقوله ﷻ: ^(١) «إن الله سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، شائي بمشيئة، مرید بإرادة، قادر بقدره» ^(٢) على رغم أنف الأشعرية قاتلهم الله.

* * *

(١) كتب (صلح) اختصاراً وأثبت الصلاة كاملة.

(٢) لم أجده.

دراسة المسألة :

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله متصف بالسمع والبصر كما وصف بذلك نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)، وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٢)، وقال: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٣)، وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾^(٤) وقال لموسى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٥).

قالت عائشة - رضي الله عنها -: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى رسوله ﷺ تكلمه في جانب البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾^{(٦)(٧)}.

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) سورة النساء، آية: ١٣٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨١.

(٤) سورة المجادلة، آية: ١.

(٥) سورة طه، آية: ٤٦.

(٦) سورة المجادلة، آية: ١.

(٧) أخرجه البخاري معلقاً كتاب التوحيد باب وكان الله سميعاً بصيراً (٣٨٦٣) والنسائي موصولاً كتاب الطلاق باب الظهار (٣٤٦٠) وأحمد في المسند (٢٣٦٧٥) وابن أبي عاصم في السنة (٢٧٨/١) ح (٦٢٥) ورواه الحاكم في المستدرک في كتاب التفسير (٢ ص ٤٨١) وصححه ووافقه الذهبي.

ووصفه رسوله ﷺ بذلك فقال: «أيها الناس: إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً»^(١).

قال الدارمي: معلقاً على هذا الحديث: «أفلا ترى - أيها المريسي - أن رسول الله ﷺ ذكر الأصم والسميع، وهما متضادان، فأخبر أن الله سميع بخلاف الأصم»^(٢).

وقال ﷺ: «ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنهم يدعون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم»^(٣).

وعن عبدالله مسعود - رضي الله عنه - قال: «اجتمع عند البيت قرشيان أو ثقفيان كثير شحم بطونهما قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إذا جهرنا، ولا يسمع إذا أخفينا، وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ﴾^{(٤)(٥)}.

قال أبو القاسم الأصبهاني: «... فالسميع صفة مشتقة من السمع، كما أن الضارب صفة مشتقة من الضرب، والضرب مصدر لأن الفعل

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب: خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤).

(٢) الرد على المريسي (٤٧).

(٣) البخاري كتاب الأدب باب الصبر في الأذى (٦٠٩٩).

(٤) سورة فصلت، آية: ٢٢.

(٥) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب (وما كنتم تستترون) ح (٤٨١٦) ومسلم في كتاب

صفة المنافقين (٢٧٧٥).

صدر عنه، وإذا كان صادراً عن المصدر كانت الصفة المبنية من الفعل صادرة عنه أيضاً وهي الضارب، وإذا صح هذا صح أن السميع صفة مبنية من أصل مشتقة منه صادرة عنه، وذلك الأصل هو السمع، فصح أن السميع لا يكون إلا بسمع.

والدليل على ذلك أيضاً: إذا بطل السمع حصل الصمم، وإذا بطل البصر حصل العمى، فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع، ولا يثبت السمع، سميعاً أصم وبصيراً أعمى، كما تقول في القدير والعليم، فتبطل الصفات كلها وتكون ألفاظاً لا معاني لها، ويكون الله تعالى خالياً عن الصفات والأسماء التي هي صفاته، تعالى عما يقول المعطلة^(١).

قال ابن خزيمة: «هو كما وصف نفسه: سميع بصير، ومن كان معبوده غير سميع بصير، فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق الباري، الذي هو سميع بصير»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٣). رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه وأصبعه التي تليها على عينه^(٤).

(١) الحجة في بيان المحجة (١٣٧/٢).

(٢) التوحيد (١٠٦/١).

(٣) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في الجهمية (٤٧٢٨).

وإنما فعل ذلك ﷺ تحقيقاً لصفة السمع والبصر.

ويعتقدون أن من صفاته تعالى الكلام وأنه يتكلم بكلام بحرف وصوت، يسعه من يشاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه، من غير واسطة وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١)، وقال: ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي﴾^(٢).

وقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، ثم ينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار فمن استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل»^(٣).

ما قرر المؤلف أن الجهمية تقول سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، متكلم بلا حروف.

الأقرب أنه قول المعتزلة قال الشهرستاني «واتفقت المعتزلة على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته تعالى، لكن اختلفوا في وجوه وجودها، ومحاميل

(١) سورة النساء، آية: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٤٤.

(٣) البخاري في كتاب الزكاة باب الصدقة (١٤١٣) وفي المناقب (٣٥٩٥) وفي الروايات (٦٥٣٩) وفي التوحيد (٧٤٤٣) (٧٥١٢) ومسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة (١٠١٧).

معانيها...»^(١).

قال القاضي عبد الجبار: «... ولهذا قلنا إن الله - تعالى - كان سميعاً بصيراً فيما لم يزل ولم نقل إنه سامع مبصر فيما لم يزل، لفقر المسموع والمبصر، وعلى هذا قول شيخنا أبي علي أن السامع والمبصر متعد، والسميع والبصير غير متعد»^(٢).

وقد نسب الملطي في «التنبيه» إنكار صفة السمع والبصر للجهمية فقال: «وأنكر جهم أن يكون لله سمع وبصر وقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه ووصف نفسه في كتابه وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾»^(٣).

وقال الملطي: «وأنكر جهم أن الله يتكلم والله يقول: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»^(٤).

فالمعتزلة كما هو مشهور من مذهبهم يثبتون الأسماء وينفون الصفات وأما الجهمية فهم ينفون الأسماء والصفات^(٥).

«وقول المؤلف: إن الجهمية يقولون متكلم بلا حروف».

(١) الملل والنحل ٦٢/١٠ مطبعة الأزهر ط الأولى - محمد فتح الله بدران.

(٢) شرح الأصول الخمسة.

(٣) سورة البقرة، آية: ٧٥.

(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء (١٢٠) ص الكوثري.

(٥) قال ابن المرتضي «وأما ما أجمعت عليه المعتزلة، فقد أجمعوا علي أن للعالم محدثاً قادراً عالماً حياً لا لمعان...» انظر: المنية والأمل ص (٥٦).

في نسبة هذا لهم نظر، فهم ينكرون اتصاف الله بصفة الكلام قال الملطي: «وأنكر جهم أن الله يتكلم والله يقول: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»^(١) ^(٢).

وقال الإسفراييني وهو يحكي أقوال جهم: «وكان يقول كلام الله حادث ولكن لا يجوز أن يسمى متكلماً بكلام»^(٣).

ما ذكره المؤلف من أن الأشاعرة يقولون إن الله سميع بلا سمع بصير بلا بصر ليس بصواب فالظاهر من كلامهم خلاف ذلك.

قال الآمدي: «مذهب أهل الحق: أن الواجب بذاته مريد بإرادة، عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، وهذه كلها معان وجودية أزلية زائدة على الذات»^(٤).

قال عبدالقاهر البغدادي: «أجمع أصحابنا على أن قدرة الله عز وجل وعلمه وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه صفات له أزلية»^(٥).

قال الأيجي: «القصص السادس: في أنه تعالى سميع بصير، السمع

(١) سورة البقرة، آية: ٧٥.

(٢) التنبيه (١٢٠).

(٣) التبصير (٩٧) ط الخانجي.

(٤) غاية المرام (٣٨).

(٥) أصول الدين (٩٠) وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد (١٠٨) وجوهرة التوحيد (٧٣)

والإرشاد (٧٢) والإنصاف (٢٢) ولمع الأدلة (٩٧).

دل عليه، وهو مما عُلِمَ بالضرورة من دين محمد ﷺ والقرآن والحديث مملوء به لا يمكن إنكاره ولا تأويله»^(١).

وما قرره أنهم يقولون متكلم بلا حروف صواب، فهم يقولون: إن كلام الله كلام نفسي قائم بذاته.

قال الجويني: «إذا ثبت أن القائم بالنفس: كلام، وليس هو حروفاً منتظمة ولا أحداثاً مقطعة من مخارج الحروف، فيستيقن العاقل: أن الكلام القديم ليس بحروف ولا أصوات ولا ألحان ولا نغمات»^(٢).

قال الآمدي: «ذهب أهل الحق من الإسلاميين إلى كون الباري تعالى متكلماً بكلام قديم أزلي نفساني، أحدي الذات، ليس بحروف ولا أصوات»^(٣).

* * *

.

(١) المواقيف (٢٩٢) والتمهيد (٢٦) ط مكارثي.

(٢) لمع الأدلة (١٠٥).

(٣) غاية المرام (٨٨).

يسأل: عن الفوقية فإن قال به^(١)، فهو سني، وإن أنكره^(٢) فهو أشعري ملعون^(٣).

- (١) الأصح أن يقول «بها» لأن الضمير يعود على صفة الفوقية.
- (٢) الأصح أن يقول «أنكرها» لأن الضمير يعود على صفة الفوقية.
- (٣) اللعن بالبدعة قد دل عليه حديث النبي ﷺ فيما رواه عنه علي بن أبي طالب: «المدينة حرم من غير إلى كذا فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام باب ما يكره من التعمق (٧٣٠٠) ومسلم في كتاب الحج باب فضل المدينة ح (١٣٧٠) سنن الحسن البصري عن الحدث في الحديث فقال: أصحاب الفتن كلهم محدثون وأهل الأهواء كلهم محدثون (الإبانة الصغرى (١١٣)) وروى ابن وضاح ص ٧ في كتابه البدع وانهي عن الحوادث عن أسد بن موسى الأموي ت ٢١٢ هـ قال: «قد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل الأهواء وأن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ولا فريضة ولا تطوعاً».
- قال الشاطبي في الاعتصام (١٥١/١): «وأما أن صاحبها ملعون على لسان الشريعة فلقوله عليه الصلاة والسلام: «من أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» الاعتصام (١١٥/١).
- قال ابن حجر: في الفتح (٢٧٩/١٢) الفرض بإيراد الحديث هت لعن من أحدث، فإنه وإن قيد في الخبر بالمدينة فالحكم عام فيها وفي غيرها، إذا كان من متعلقات الدين» (فتح الباري (٢٧٩/١٢)).
- وقد جاء الحديث عاماً في مسند أحمد (٦١٦) «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».
- وجاء عن بعض الصحابة لعن المبتدعة عن سعيد بن جهمان قال: أتيت عبدالله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - وهو محجوب البصر فسلمت عليه، قال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جهمان قال: فما فعل والدك؟ قلت: قتلته الأزارقة قال: لعن الله الأزارقة لعن الله الأزارقة.
- حدثنا رسول الله ﷺ «أنهم كلاب النار»، قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كلها» أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ح (٤٢٤) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٢٣٣/٤).
- وعن عكرمة بن عمار قال: «سمعت القاسم بن محمد وسالم بن عبدالله يلعبان القدرية الذين يكذبون بقدر الله عز وجل حتى يؤمنوا بخيره وشره» أخرجه عبدالله بن الإمام -

= أحمد في السنة (٢/٢٩١) والآجري في الشريعة (٣٢٣) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/١٢٣٣).

وعن يزيد بن هارون وقد ذكرت الجهمية عنده فقال: «هم والله زنادقة عليهم لعنة الله».

وجاء في رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد: وقالت طائفة: القرآن كلام الله وسكتت وهي الواقعة الملعونة. . وأما المعتزلة الملعونة فقد أدركنا من أهل العلم أنهم يكفرون بالذنب» (طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/٣٤٣).

وقال الآجري: «وكذلك التابعون لهم بإحسان سبوا من تكلم بالقدر، وكذب به ولعنوهم، ونهوا عن مجالستهم» (الشريعة (١٥٠).

قال شيخ الإسلام: «ولهذا اهتم كثير من الملوك والعلماء بأمر الإسلام وجهاد أعدائه حتى صاروا يلعنون الرافضة والجهمية وغيرهم، على المنابر، حتى لعنوا كل طائفة رأوا بها بدعة فلعنوا الكلابية والأشعرية» (الفتاوى (٤/١٥).

- دليلاً: قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١).
- وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢).
- وقوله: ﴿يُذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾^(٣).
- وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾^(٤)^(٥).

* * *

-
- (١) سورة النحل، آية: ٥٠.
- (٢) سورة فاطر، آية: ١٠.
- (٣) سورة السجدة، آية: ٥.
- (٤) سورة آل عمران، آية: ٥٥.
- (٥) من قوله: «دليلاً... إلى قوله: «ورافعك إلي» ليست في م.

دراسة المسألة :

يعتقد أهل السنة والجماعة اتصاف الرب سبحانه وتعالى بصفة العلو والفوقية والأدلة على ذلك من الكثرة والتواتر ما لا يمكن حصرها وقد دل العقل والفطرة والسمع على اتصاف الله بصفة الفوقية فأما دليل العقل :

فيقال إن الله سبحانه لما خلق الخلق لم يخلقهم في ذاته تعالى الله عن ذلك، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فتعين أن خلقهم خارجاً عن ذاته، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم، لكان متصفاً بضد ذلك، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية السفول، هو مذموم على الإطلاق، لأنه مستقر إبليس وأتباعه وجنوده^(١).

أما دليل الفطرة :

فإن الله فطر الخلق جميعهم على الإقرار بعلو الله وفوقيته، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، ويتنظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم، لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتقليد أتباعه على ضلالتة^(٢).

(١) شرح الطحاوية (٣١٨).

(٢) إثبات صفة العلو (٤١) لابن قدامة.

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت غنيمة لي ترعاها جارية لي قبل أحد والجوانية، فوجدت الذئب قد أخذ منها شاة، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة، ثم انصرفت إلى رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ فقلت يا رسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: بلى، ائتني بها، فجئت بها إلى رسول الله ﷺ فقال لها أين الله؟ قالت: في السماء، قال: فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله ﷺ، قال إنها مؤمنة فأعتقها^(١).

أما دلالة السمع فقد ذكر المؤلف شيئاً منها ومن الأدلة:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (٥).

وقد جاءت الأدلة متنوعة في إثبات صفة العلو والفوقية.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب تحريم الكلام فيها (٣٨٢) وأبو داود في كتاب الصلاة باب تسميت العاطس (٩٢٩) وأحمد في مسنده (١٧٤٨٥) وللإكثاني في شرح أصول الاعتقاد (٣/٣٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٥/١).

(٢) سورة الملك، آية: ١٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٨.

(٤) سورة النحل، آية: ٥٠.

(٥) سورة المعارج، آية: ٤.

أحدها: التصريح بالفوقية مقروناً بأداة: «من»، المعينة للفوقية بالذات كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(١).

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله: ﴿وَهُوَ أَتَقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٢).

الثالث: التصريح بالعروج إليه كقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^(٣).

الرابع: التصريح بالصعود إليه كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٤).

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(٥).

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو، ذاتاً وقهراً وشرفاً كقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٦).

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٧).

(١) سورة النحل، آية: ٥٠.

(٢) الأنعام، آية: ١٨.

(٣) سورة المعارج، آية: ٤.

(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٥) سورة النساء، آية: ١٥٨.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٧) سورة فصلت، آية: ٢.

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده،
كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ
يَسْجُدُونَ﴾ (٢١) (١).

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء: ﴿ءَامِنُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَنْ
يَخْفِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (٢٢) (٢).

العاشر: التصريح بالاستواء: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٢٣) (٣).

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إليه كقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ
يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدُهُ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا» (٢٤) (٤) (٥).
ومن الأدلة:

قوله ﷺ في الدعاء... «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت
الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن
فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر» (٦) (٦).
وقوله ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» (٧) (٧).

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٠٦.

(٢) سورة المملك، آية: ١٦.

(٣) سورة طه، آية: ٥.

(٤) انظر وجوه دلالة النصوص على اتصاف الرب بالعلو في شرح الطحاوية (٣١٩-٣٢١)
فقد أورد عشرين وجهاً.

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٤٨٨٠) والترمذي في الدعوات (٣٥٥٦) وحسنه. وابن
ماجه في الدعاء (٣٨٦٥) وأحمد (١٣٢٠٢).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب ما يقال عند النوم (٢٧١٣).

(٧) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب (٤٣٥١) ومسلم في =

وقوله ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»؟^(١).

كما أن صفة الفوقية والعلو لله تعالى ثابتة بإجماع السلف، كما حكاه جمع من الأئمة وقد أورد أقوالهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» في معرض الرد على دعوى أنه لم يثبت صفة العلو إلا الحنابلة والكرامية، ومن هؤلاء الأئمة الذين نقل أقوالهم: ابن المبارك، والإمام مالك، والشافعي، وأحمد، وأبو حنيفة، والبخاري والفضيل بن عياض، وسليمان بن حرب، وابن خزيمة، والصابوني، والحاكم، وابن عبد البر وابن أبي زمنين، وأبو نصر السجزي، وأبو عمرو الطلمنكي، ونصر المقدسي، وأبو نعيم الأصفهاني، وأبو أحمد الكرخي، وأبو محمد المقدسي، وابن أبي حاتم، والخلال، وعبد الله بن الإمام أحمد^(٢).

والمقدمون من الأشاعرة يثبتون صفة الفوقية لله تعالى من أمثال ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري والباقلاني، والبيهقي.

= كتاب الزكاة باب في قتال الخوارج (١٠٦٤) وأبو داود في كتاب السنة باب في قتال الخوارج (٥٧٦٧).

(١) أخرجه البخاري في كتب الجمعة باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١١٤٥) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الذكر والدعاء آخر الليل (٧٥٨).

(٢) انظر أقوالهم في الدرر (٧٨/٦ - ٨٢، ٢١٢ - ٢٢٦، ٢٥ - ٢٦٧) ومجموع الفتاوى (٣٦/٥ - ١٤٣، ١٧٥ - ١٨٣، ٣٥٦ - ٣٦١، ٣١٤ - ٣١٧).

قال ابن كلاب: «في كتاب الصفات في باب القول في الاستواء: فرسول الله ﷺ. وهو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته، وأعلمهم جميعاً به، يجيز السؤال بأين، ويقول: ويستصوب قول القائل إنه في السماء، ويشهد له بالإيمان عند ذلك.»^(١)

قل أبو الحسن الأشعري «ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم نحو السماء لأن الله عز وجل مستو على العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا نحو الأرض»^(٢).

وقال الباقلاني: «فإن قالوا: فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله! بل هو مستو على العرش، كما خبر في كتابه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣)، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٤)، وقال: ﴿ءَايَمْنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَقُورُ﴾^(٥)، ولو كان في كل مكان، لكان في جوف الإنسان وفمه وفي الحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها تعالى عن ذلك! ولوجب أن يزيد بزيادة الأماكن إذا خلق منها ما لم يكن خلقه، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يرغب إليه نحو الأرض وإلى وراء ظهورنا وعن أيماننا وشمائنا، وهذا ما قد أجمع المسلمون على

(١) انظر درء التعارض (١٩٣/٦).

(٢) الإبانة في أصول الديانة (٩٧-٩٨).

(٣) سورة طه، آية: ٥.

(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٥) سورة الملك، آية: ١٦.

خلافه وتخطئة قائله»^(١).

وأما متأخروا الأشاعرة فينفون صفة الفوقية من أمثال الجويني والغزالي والآمدي، والرازي.

قال الغزالي: «ندعي أنه ليس في جهة مخصوصة من الجهات الست، ومن عرف معنى لفظ الجهة ومعنى لفظ الاختصاص، فهم قطعاً استحالة الجهات على غير الجواهر والأعراض»^(٢).

قال المكلاتي: «ومذهب أهل الحق، أن الباري تعالى وتقدس يستحيل عليه التخصص بالجهات، كما يستحيل عليه التغير بالزمان. وذهبت الحنابلة وفرقة من المحدثين ومن تبعهم من أهل الظاهر والحشوية إلى أن الباري تعالى مختص بجهة فوق تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً»^(٣).

قال الأيجي: «المقصد الأول: أنه تعالى ليس في جهة ولا في مكان، وخالف فيه المشبهة وخصوه بجهة فوق»^(٤).

قال الجويني: «مذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى، يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات، وذهبت الكرامية وبعض الحشوية إلى أن الباري تعالى عن قولهم، متحيز مختص بجهة فوق»^(٥).

(١) التمهيد (٢٦٠).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (٤١).

(٣) لباب العقول (١٧٣).

(٤) المواقف في علم الكلام (٢٧٠).

(٥) الإرشاد (٣٩).

وقال الرازي: «إعلم: أنا ندعي وجود موجود لا يمكن أن يشار إليه بالحس، أنه ههنا، أو هناك أو نقول: إنا ندعي وجود موجود غير مختص بشيء من الأحياز والجهات، أو نقول: إنا نعدي وجود موجود غير حال في العالم، ولا مباين عنه في شيء من الجهات الست، التي للعالم، وهذه العبارات متفاوتة والمقصود من الكل شيء واحد»^(١).

فأنت ترى أن أقوال هؤلاء مخالفة للنصوص الشرعية ولأقوال شيوخهم.

قال شيخ الإسلام بعد أن أورد أقوال المتقدمين من الأشاعرة في إثبات العلو وغيره من نصوص الصفات: «فإذا كان قول ابن كلاب والأشعري وأئمة أصحابه، وهو الذي ذكروا أنه اتفق عليه سلف الأمة وأهل السنة، أن الله فوق العرش، وأن له وجهاً ويدين وتقرير ما ورد في النصوص الدالة على أنه فوق العرش، وأن تأويل «استوى» بمعنى استولى هو تأويل المبطلين ونحو ذلك، علم أن هذا الرازي ونحوه هم مخالفون لأئمتهم في ذلك، وأن الذي نصره ليس هو قول ابن كلاب والأشعري وأئمة أصحابه، وإنما هو صريح قول الجهمية والمعتزلة ونحوهم، وإن كان قد قاله بعض متأخري الأشعرية كأبي المعالي ونحوه»^(٢).

(١) أساس التقديس (١٥) وانظر: نهاية الأقدام (١٠٤) وغية المرام (١٩٣).

(٢) نقض التأسيس (٣٥/٢) مطبعة الحكومة، مكة المكرمة.

يسأل: عن الله تعالى هل يغضب ويرضى؟، فإن قال به، فهو سني وإن أنكره، فهو جهمي كافر بالله.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾^(١)، وقوله: ﴿فَجَزَّأُوهُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾^(٣)، فالرضا والغضب صفتان من صفات الذات ما نقول هو مخلوق ولا يفنيان أبداً: «سبقت رحمتي غضبي»^(٤) الرحمة للأولياء والغضب للأعداء^(٥).

* * *

٤

(١) سورة الزخرف، آية: ٥٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٣) سورة طه، آية: ٨١.

(٤) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب: وكان عرشه على الماء (٧٤٢٢) ومسلم في كتاب

التوبة باب سعة - رحمه الله - (٢٧٥١) والترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٤٣) وابن

ماجه في كتاب الزهد (٤٢٩٥) وأحمد (١٤٨٥) (٧٤٧٦) (٧٤٤٨) (٨٧٣٥) (٩٣١٤)

كلهم من حديث أبي هريرة.

(٥) هذه المسألة ليست في «م».

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو اعتقاد أهل السنة والجماعة، فهم يثبتون لله تعالى صفتي الغضب والرضا كما يليق بجلاله سبحانه، من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف، فالله يرضى عن المحسنين ويسخط على الفسقة والكافرين دل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٥).

وقوله ﷺ في حديث الشفاعة وفيه: «إن ربي قد غضب غضباً لم

(١) سورة الزخرف، آية ٥٥.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ٩٦.

(٤) سورة البينة، آية: ٨.

(٥) سورة الفتح، آية: ١٨.

يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . .»^(١).

وقول النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير بيدك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحداً من خلقك، فيقول: أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً»^(٢).

قال الطحاوي - رحمه الله -: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الوري»^(٣).

وقال الإمام الصابوني في بيان مذهب السلف في الصفات: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشية، والقول، والكلام، والرضا، والسخط، والحب، والبغض، والفرح، والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله عز وجل ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ (٣٣٤٠) ومسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤) كلاهما من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٩) ومسلم الجنة باب إحلال الرضوان على أهل الجنة (٢٨٢٩٠) كلاهما من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

(٣) شرح الطحاوية (٥٢٤).

بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكيف له ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة لفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه، بتأويل منكر يستنكر، ويجرون على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَّا يَهُدَى كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْآلِ الْكَبِيرِ﴾ (١) (٢).

قال ابن أبي العز - رحمه الله -: «ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضا، والعدواة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى» (٣).

ما ذكر المؤلف عن الجهمية أنهم ينكرون وصف الله بالغضب، هو المشهور عنهم كما في كتب المقالات قال الشهرستاني: قالت الجهمية: «لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهاً» (٤).

وقال الإسفراييني وهو يذكر أقوال جهم بن صفوان: «وكان يقول: إن الله تعالى لا يوصف بشيء مما يوصف به العباد لا يجوز أن يقال في

(١) سورة آل، آية: ٧

(٢) عقيدة السلف اصحاب، للحديث (١٦٥).

(٣) شرح الطحاوية (٥٢٤).

(٤) الملل والنحل (١٣٥).

حقه إنه حي، أو عالم، أو موجود؛ لأن هذه صفات تطلق على العبيد^(١).

وقال البغدادي: «وقال جهنم: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء موجود، وحي وعالم ومريد ونحو ذلك ووصفه بأنه قادر، وموجد، وفاعل، وقاتل، ومحبي، ومميت؛ لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده»^(٢).

* * *

(١) التبصير في الدين (٩٦).

(٢) الفرق بين الفرق (١٢٨).

يسأل : عن الباري جل جلاله هل يرى في القيامة^(١) أم^(٢) لا ؟
 فإن قال به^(٣) فهو سني ، وإن أنكره^(٤) ، فهو معتزلي .
 وإن قال : يراه الكفار^(٥) ، فهو سالمي .
 دليلنا : قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ ﴾^(٦) .
 وقوله تعالى للكفار : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُونُونَ ۚ ﴾^(٧) .
 وقوله ﷺ : «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»^(٨) ، أي لا تشكون في رؤيته^(٩) .

٢

-
- (١) في «م» الآخرة .
 (٢) الصواب لغة : «أو» .
 (٣) في «م» يرى في الآخرة .
 (٤) في «م» وإن أنكر ذلك .
 (٥) في «م» في الآخرة .
 (٦) سورة القيامة ، الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .
 (٧) سورة المطففين ، آية : ١٥ .
 (٨) أخرجه البخاري في كتب المواقيت باب فصل صلاة العصر (٥٥٤) ومسلم ك : المساجد باب الفضل صلاة الصبح (٦٣٣) أبو داود في كتاب السنة (٤٧٢٩) ابن ماجه المقدمة (١٧٧) أحمد (١٨٧٠٨) كلهم من حديث جرير بن عبدالله البجلي .
 (٩) من قوله : «دليلنا» إلى قوله : في «رؤيته» ليست في م .

دراسة المسألة:

اعتقاد أهل السنة والجماعة هو ما قرره المؤلف: من أن الباري جل جلاله يرى في الآخرة، وأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم عياناً وقد دل على ذلك أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله -: «وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديه بأداة «إلى» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته وموضوعه، صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه فإن عُدِّي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْيِسَ مِنْ تُورِكُمْ﴾^(٢)، وإن عُدِّي بفي فمعناه التفكير والاعتبار كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، وإن عُدِّي بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٤)، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل في

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) صورة الحديد، آية: ١٣.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٥.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٩٩.

البصر»^(١).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(٢).

فلما حجب أولئك في حال السخط، دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى، وإلا لم يكن بينهما فرق^(٣).

وروى جرير بن عبدالله البجلي - رضى الله عنه - قال: «كنا جلوساً ليلة مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون»^(٤) في رؤيته...»^(٥).

وروى صهيب - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً لم تروه فيقولون ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ثم تلى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذَرُوتُ لَهُمْ أَعْيُنُهُمْ فَيَظُنُّوْا رَبَّهُمْ هَٰذَا وَرَبُّهُمُ الرَّحْمَنُ﴾»^(٦) ^(٧).

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٢١٠).

(٢) سورة المطففين، آية: ١٥.

(٣) لمعة الاعتقاد (١٨٤).

(٤) روي بتخفيف الميم من الضيم: الظلم، والمعنى أنكم ترونه جميعاً لا يظلم بعضكم بعضاً في رؤيته، فيرى البعض دون البعض، وروي بتشديد الميم في الانضمام والازدحام أي لا يزدحم بكم في رؤيته انظر: (جامع الأصول ١٠/٥٥٨).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر (٥٥٤) ومسلم في كتاب المساجد ياب، مثل صلاة الصبح والعصر (٦٣٣).

(٦) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين ربه في الآخرة رقم (١٨١).

قال الحافظ تقي الدين عبدالغني المقدسي: «أجمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله تعالى يرى في الآخرة كما جاء في كتابه وصح عن رسوله»^(١).

قال مالك بن أنس - رضي الله عنه -: «الناس ينظرون إلى الله تعالى بأعينهم يوم القيامة»^(٢).

وقال أحمد بن حنبل - رحمه الله -: «من قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر»^(٣).

ما ذكره المؤلف - رحمه الله - عن المعتزلة أنهم ينكرون رؤية الله في الآخرة صواب.

قال القاضي عبدالجبار «ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية»^(٤).

وقال في المختصر في أصول الدين «فإن قال: إن الرؤية تجوز على الله تعالى؟ قيل له: الرؤية بالأبصار على الله تستحيل، والرؤية بالمعرفة والعلم تجوز عليه»^(٥) ولا شك في بطلان مذهب المعتزلة يبطله ما تقدم من الآيات والأحاديث المتواترة في إثباتها.

(١) عقيدة الحافظ تقي الدين المقدسي (٥٨) ت عبدالله محمد البصري ط الأولى ١٤١١هـ ط دار الإفتاء.

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٣/٥٠١) رقم ٨٧٠ للالكائي.

(٣) رواه أبوداود في المسائل (٣٢٧) دار المعرفة بيروت.

(٤) شرح الأصول الخمسة (٢٣٢).

(٥) المختصر في أصول الدين (٢٢٠) ضمن مجموع رسائل العدل والتوحيد ط دار الشروق.

قال ابن القيم - رحمه الله - : «وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة»^(١) بل وأجمع الصحابة ومن بعدهم من التابعين على الإقرار بما دلت عليه النصوص .

ما ذكره المؤلف من أن السالمية يقولون : «بأن الكفار يرون الله» ، صواب .

قال القاضي أبي يعلى الحنبلي : «والكفار لا يرون الله تعالى أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة ، خلافاً لابن سالم في قوله يجوز عليهم رؤيته»^(٢) .

وقال - وهو يعدد أقوالهم - : «ومن قولهم : إن الكفار يرون الله تعالى في الآخرة»^(٣) .

* * *

(١) حادي الأرواح (٢١١) ط / الأزهر .

(٢) المعتمد في أصول الدين (٨٣) .

(٣) المعتمد ٢١٩ .

يسأل: عن الكفار هل يحاسبون أم^(١) لا؟

فإن قال: يحاسبون، فهو سالمي.

وإن قال: لا^(٢)، فهو سني^(٣).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾^(٤) الآية.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾^(٥).

وقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شُفَعِينَ﴾^(٦) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ^(٧).

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كَيْلُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾^(٨) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا وَيَصْلىٰ سَعِيرًا^(٩) إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا^(١٠)﴾^(١١).

والآيات أكثر من أن تحصى^(١٢).

(١) الصواب: «أو».

(٢) في «م» لا يحاسبون.

(٣) في الهامش كتب: «ويتفاوت الخلق في الحساب فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم من يناقش منهم من يدخل الجنة بغير حساب ومنهم من يدخل النار بغير حساب وهم الكافرون».

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

(٥) سورة مريم، آية: ٧٢.

(٦) سورة الشعراء، الآيتان: ١٠٠، ١٠١.

(٧) سورة الانشقاق، الآيات: ١٠-١٣.

(٨) من قوله: «... دلينا إلى قوله: ... أكثر من أن تحصى ليست في «م»».

دراسة المسألة:

هذه المسألة اختلف أهل العلم فيها على قولين ذكرهما المؤلف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم فمن قال: إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبدالعزيز، وأبو الحسن التيمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم .

ومن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب»^(١).

وقد أجمل المؤلف - رحمه الله - معنى الحساب في هذه المسألة ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات، فإن أريد بالحساب المعنى الأول، فلا ريب أنهم محاسبون بهذا الاعتبار .

وإن أريد به المعنى الثاني فإن قصد ذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر»^(٢).

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: «ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبد المؤمن، فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب

(١) مجموع الفتاوى (٣٠٥/٤).

(٢) الفتاوى (٣٠٥/٤).

والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم فتحصى فبوقفون عليها ويقررون بها»^(١).

وقد دل على هذا المعنى الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى الحساب أدلة كثيرة:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾^(٣) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي تُنْأَىٰ عَنْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَلَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(٥).

ومن الأدلة أنه جاء في القرآن ما يدل على أنهم مخاطبون بفروع الشريعة مسؤولون عنها، محاسبون بها، مجزيون على الإخلال بها قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُصْرِكِينَ﴾^(٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ^(٧)، فتوعدهم على منع الزكاة، وأخبر عن المجرمين أنهم يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٨) قَالُوا لَوْ نَكُنْ مِنَ الْمَصْلِينَ^(٩) وَلَوْ نَكُنْ نَاطِعِينَ الْمَسْكِينِ^(١٠) وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَائِضِينَ^(١١)

(١) العقيدة الواسطية بشرح الفوزان (١٤٧).

(٢) سورة القصص، ٦٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٣ - ١٠٥.

(٤) سورة الأنبياء، آية ٤٧.

(٥) سورة فصلت، الآيات: ٦ - ٧.

وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١﴾

ومن الأدلة: أن الكفار ينفاتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم، ويحلون في النار بمقدار هذا الذنوب، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «عقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كانت له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب.. فكان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنة»^(٢).

وما ذكره المؤلف من أدلة على عدم حساب الكفار فوجه الدلالة منها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(٣)، حيث شبههم بالأنعام، والأنعام لا حساب عليهم والكفار أضل فيدخلون في النار.

وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾^(٤)، وقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَفَاعِينَ ﴿١﴾ وَلَا صِدْقٍ جَمِيمٍ ﴿٢﴾﴾^(٥).

فوجه الدلالة منها أنه ذكر عذاباً دون حساب.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿٢﴾ وَيَصْلَىٰ

(١) سورة المدثر، الآيات. ٤٢، ٤٦.

(٢) الفتاوى (٣٠٥/٤).

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

(٤) سورة مريم، آية: ٧٢.

(٥) سورة الشعراء، الآيتان: ١٠٠-١٠١.

سَعِيرًا ﴿١٣﴾ إِنَّكُمْ كَانُمْ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ .

فقد ذكر الله فيها إيتائه كتابه وليس فيها حساب .

وورود بعض الآيات قد يفهم منه عدم حساب الكفار مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ .

وقوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ .

وقوله : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ .

وتوجيه هذه الآيات أن يقال :

إن الكفار لا يسألون سؤال استخبار واستعلام وأداة هذا السؤال غالباً «هل» وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وأداته غالباً «ألم»، فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع، والمنفي هو سؤال الاستخبار والاستعلام، ووجه دلالة القرآن على هذا أن سؤالهم في النصوص كله توبيخ وتقريع كقوله : ﴿ وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا نَنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ، وقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ ﴾ ﴿٦٦﴾ ، وكقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ،

(١) سورة الانشقاق، الآيات : ١٠ ، ١٣ .

(٢) سورة القصص، آية : ٧٨ .

(٣) سورة الرحمن، آية : ٣٩ .

(٤) سورة المرسلات، الآيتان : ٣٥ ، ٣٦ .

(٥) سورة الصافات، الآيتان : ٢٤ ، ٢٥ .

(٦) سورة الأنعام، آية : ١٣٠ .

(٧) سورة الملك، آية : ٨ .

إلى غير ذلك من الآيات^(١).

ما نسبته المؤلف إلى السالمية أنهم يقولون: بأن الكفار يحاسبون، صواب.

قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي: «والكفار لا يحاسبون خلافاً لابن سالم وأبي حفص البرمكي من أصحابنا في قولهما يحاسبون»^(٢).

وقال في موضع آخر وهو يذكر أقوال السالمية: «ومن قولهم إن الكفار يرون الله تعالى في الآخرة ويحاسبهم»^(٣).



F

(١) انظر دفع إيهام الإضطراب عن الكتاب المنزل للأعجاز (١٣١) للشنقيطي.

(٢) المعتمد في أصول الدين (٨٣).

(٣) المعتمد في أصول الدين (٢١٩).

يسأل: عمّا شجر^(١) بين الصحابة، وبين علي ومعاوية، وبين عثمان بن عفان والصحابة وعائشة - رضي الله عنهم - .
فإن قال: فسق أو ظلم، فهو معتزلي ورافضي^{(٢)(٣)} بسب واحد منهم .

وإن قال فيهم حسناً وأمسك عن ما شجر بينهم، فهو سني^(٤) .
دليلنا: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥) .
آمنوا: أبو بكر، واصبروا: عمر، وصابروا: عثمان، ورابطوا:
علي رحمة الله عليهم أجمعين^(٦) .

-
- (١) كتب في الهامش: «شجر بين إذا اختلف» .
(٢) كتب في الهامش: «دعى الرافضة لرفضهم أكثر الصحابة وإمامة أبي بكر وعمر وقيل لرفضهم زيد بن علي والروافض . . . محمد» .
(٣) الرافضة: فرقة من فرق أهل البدع سمو رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على إمامة علي، وأنه هو الأحق بالإمامة والخلافة وأكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ .
وقيل سمو رافضة لرفضهم إمامة زيد بن علي لما توفي أبو بكر وعمر رضي الله عنهم .
انظر مقالات الإسلاميين (١/٨٩) البرهان للسكسكي (٣٦) .
(٤) في «م»: يسأل عن معاوية - رضي الله عنه - هل فسق بقتال علي كرم الله وجهه أم ظلم؟ فإن قال: فسق أو ظلم، فهو معتزلي أو رافضي، وإن قال: كان عادلاً في حال قتاله، فهو سني» .
(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠ .
(٦) هذا التفسير النكارة عليه ظاهرة وانظر تفسير ابن كثير (١/٤٤٤) في بيان معنى الآية .

وقوله ﷺ: «اتقوا الله أيها المؤمنون عما شجر بينهم»^(١).

فنحن نشهد عليهم كما شهد الله - تعالى - ورسوله بالجنة لهم والدلائل على فضلهم أكثر من أن تحصى^(٢).

* * *

(١) لم أجده.

(٢) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله.. أكثر من أن تحصى» ليست في «م».

دراسة المسألة :

من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم من الغل والحققد والبغض والعداوة لأصحاب رسول الله ﷺ وسلامة ألسنتهم من الطعن فيهم والوقية في أحد منهم بسوء، واعتقاد فضلهم رضوان الله عليهم، ومعرفة سابقتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عما شجر بينهم، فإنهم خير القرون وهم السابقون الأولون.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُواهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وقال: ﴿تُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٢).

وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه» (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام، كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ وإنما طعنوا في أصحابه

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب: قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً (٣٦٧٣) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة (٢٥٤٠).

ليقول القائل: رجل سوء له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين.

وأيضاً فهؤلاء الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبي ﷺ، وهم الذين نقلوا فضائل علي وغيره، فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقوله من الدين»^(١).

قال الشيخ أبو عثمان الصابوني «ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم، ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم، والمبالاة لكافتهم»^(٢).

ما ذكره المؤلف من وقوع المعتزلة في أصحاب رسول الله ﷺ فقد نقل عن بعضهم: من ذلك قول واصل بن عطاء: بفسق أحد الفريقين من أصحاب الجمل وصفين، وزعم أن فرقة من الفريقين فسقة لا بأعيانهم، وأنه لا يعرف الفسقة منهم فهو يقول: «ولو شهد عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم»^(٣).

وقال عمرو بن عبيد: «لو أن علياً وعثمان وطلحة شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزته»^(٤).

وقال ابن الخياط المعتزلي في رده على قول ابن الراوندي عن

(١) الفتاوى (٤/٤٢٩).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٩٤).

(٣) ميزان الاعتدال (٤/٣٢٩).

(٤) تاريخ بغداد (١٢/١٧٨) الخطيب.

المعتزلة: «وهم والذين من قبلهم مجتمعون على البراءة من عمرو ومعاوية ومن كان في شقهما» قال: «هذا قول لا تبرأ المعتزلة منه ولا تعتذر من القول به»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان قدماء المعتزلة وأئمتهم، كعمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء وغيرهم متوقفين في عدالة علي فيقولون، أو من يقول منهم: قد فسقت إحدى الطائفتين، إما علي وإما طلحة والزبير لا بعينها...»^(٢).

ما نسبته المؤلف إلى الرافضة صواب.

قال السكسكي: «وقالوا - الرافضة - بتفضيل علي على سائر الصحابة وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ، وتبرؤوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة - رضي الله عنهم - إلا فرقة الزيدية»^(٣).

وجاء في كتاب الكافي من كتب الرافضة ما نصه: «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وأبوذر الغفاري، وسلمان الفارسي»^(٤).

وقال الطوسي الرافضي: «عندنا أن من حارب أمير المؤمنين فهو

(١) الانتصار والرد علي ابن الروادي الملحد (١٠٩) مكتبة الكليات الأزهرية ت دنيبرج ١٩٨٨ م.

(٢) منهاج السنة (١/ ٧٠-٧١).

(٣) البرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان: (٦٥) مكتبة المنار.

(٤) الروضة من الكافي: أبو جعفر محمد الكليني (٨/ ٢٤٥) ط (٢) ١٣٨٩ هـ نشر محمد الأخوندي - طهران.

كافر والدليل على ذلك إجماع الفرقة المحقة الإمامية على ذلك...»^(١).

* * *

(١) انظر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (٢/٢٧٦) ط ١، ١٤١٤ هـ نشر دار الأضواء بيروت

يسأل: عن الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ، ^(١) هل يخرجون من النار أم ^(٢) لا؟ ^(٣).

فإذا قال: يخرجون، ^(٤) فهو سني.

وإن أنكر ذلك ^(٥)، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ^(٦) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ^(٧).

فيدل على أن الشفاعة للمؤمنين ولا ينال الكفار.

وقوله ﷺ ^(٧): «ما من نبي إلا وله دعوة مستجابة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي» ^(٨).

وقال ﷺ: «إن المؤمنين إذا اشتفى منهم الرب تبارك وتعالى ناموا

(١) كتب في الأصل وفي «م» «صلح».

(٢) الصواب: «أو».

(٣) في مك «هل يجوز أم لا».

(٤) في م: «يجوز».

(٥) في م: «أنكره».

(٦) سورة الشعراء، الآيتان: ١٠٠، ١٠١.

(٧) كتب «صلح» اختصاراً.

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب: لكل نبي دعوة ح (٦٣٠٤) ومسلم في

كتاب: الإيمان باب: اختباء النبي ﷺ دعوته (١٩٨) والترمذي في كتاب الدعوات

(٣٦٠٢) ابن ماجه في كتاب الزهد (٤٣٠٧) وأحمد (٧٦٥٧) (٨٨٨٩) (٨٧٣٦)

(٩٩٣٨) (٩٢٦٨) والدارمي في كتاب الرقاق (٢٨٠٥) ومالك في النداء للصلاة

(٤٩٢) كلهم من حديث أبي هريرة.

في النار سبعين عاماً حتى تلحقهم شفاعتي فيخرجون مثل الحممة،
فيلقون في نهر يقال له حيوان، فينبتون كما ينبت الحبة في حميل
السيل، أما ترون ما يكون إلى الظل أصفر إلى الشمس أخضر، فقالوا:
يا رسول الله كأنك كنت زارعاً في البادية»^{(١)(٢)}.

* * *

(١) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (٦٥٦٠) ومسلم في كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة (١٨٤) والنسائي في التطبيق (١١٤٠) ابن ماجه في الزهد (٤٣٠٩) وأحمد (٧٦٦٠) (١٠٦٣٣) (١٠٦٩٣) (١٠٧٦٧) والدارمي (٢٨١٧) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله: «زارعاً في البادية» ليست في م

دراسة المسألة :

أهل السنة والجماعة يعتقدون شفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر، وشفاعة غيره، بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٢). وقد تواتر بهذا النوع من الشفاعة الأحاديث^(٣).

وقال السفاريني: «الشفاعة التي تنكرها المعتزلة وتجحدها هي فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها وفيمن دخلها أن يخرج منها، فكذبت بها المبتدعة ونفتها مع ثبوت أدلتها وتضافر حججها مما يتعسر إحصاؤها ويتعذر استقصاؤها»^(٤).

قال الإمام أبو عثمان الصابوني: «ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبى أهل التوحيد؛ ومتركي الكبائر؛ كما ورد بذلك الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ»^(٥).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي

(١) سورة الأنبياء، آية ٢٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٣) انظر شرح الطحاوية (٢٥٨).

(٤) لوامع الأنوار (٢/٢١٢).

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٥٨).

دعوة يدعو بها فأريد أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»^(١).
وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «شفاعتي لأهل
الكبائر من أمتي»^(٢).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
«خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت
الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ ولكنها للمذنبين
الخطائين»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله من أسعد
الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا
الحديث أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد
الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»^(٤).

ما نسبته المؤلف للمعتزلة من إنكار الشفاعة لأهل الكبائر صواب
وقد بنوا مذهبهم على قولهم المشهور: إن صاحب الكبيرة مخلد في
النار، وأنكروا أن يغفر الله لصاحب الكبيرة الذي لم يتب منها.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوة باب لكل نبي دعوة (٦٣٠٤) ومسلم في كتاب
الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوته (١٩٨).

(٢) انظر تخريجه ص ١٢١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد (٤٢١١) من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد
حسن وأحمد (٥٤٢٩) من حديث عبدالله بن عمر بسند ضعيف فيه: «على بن النعمان
ابن قراد» مجهول وفي سننه رجل مبهم.

(٤) البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث (٩٩) والرفاق باب صفة الجنة
والنار (٦٥٧٠).

قال القاضي عبد الجبار: «لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين وعند المرجئة أنها للفساق من أهل الصلاة»^(١).

ويبطل قولهم ما تقدم من النصوص الدالة على أن الشفاعة لأهل الكبائر.

* * *

(١) شرح الأصول الخمسة (٦٨٧ - ٦٨٨)

يسأل: عن الأنبياء هل عصوا ربهم ^(١) أم ^(٢) لا؟

فإن قال: عصوا، فهو سني.

وإن أنكره ^(٣) فهو معتزلي ^(٤).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ^(٥).

وقوله لمحمد ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ^(٦) الآية.

وقوله عن موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ ^(٧) ^(٨).

* * *

(١) «ربهم» ليست في م.

(٢) الصواب لغة «أو»

(٣) في م «أنكر ذلك».

(٤) في م «أو رافضي».

(٥) سورة طه، آية: ١٢١.

(٦) سورة الفتح، آية: ٢.

(٧) سورة القصص، آية: ١٦.

(٨) من قوله: «ودليلنا... إلى قوله: فاغفر لي» ليست في م.

دراسة المسألة :

أجمل المؤلف - رحمه الله - في هذه المسألة وحقها التفصيل :

أنه أطلق نسبة العصيان إلى الأنبياء، والصواب أن الأنبياء معصومون من الوقوع في الكبائر دون الصغائر، وهم كذلك معصومون في تبليغ الرسالة، فالرسل لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، وقد اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة، وحكى إجماع المسلمين على ذلك أكثر من واحد^(١).

قال الحافظ زين الدين العراقي: «النبي ﷺ معصوم من تعمد الكذب بعد النبوة بالإجماع»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الناس متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله، فلا يستقر في ذلك خطأ بإتفاق المسلمين»^(٣).

والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الأنبياء معصومون من الكبائر، دون الصغائر فتقع منهم الصغائر، ولكن لا يقرون عليها، بل ينههم ربهم، فيتوبون ويرجعون.

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢٩١/١٠) ولوامع الأنوار (٣٠٤/٢) والشفاء (١٤٤/٢)

للقاضي عياض ط/ دار الفكر.

(٢) لوامع الأنوار (٣٠٤/٢).

(٣) الفتاوى (٢٨٩/١٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعهم إلا ما يوافق هذا القول»^(١).

وعلى هذا تدل الأدلة من الكتاب والسنة؛ من ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(٢).

وقول نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

وقول موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٤).

وداود عليه السلام قال الله عنه: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾^(٥) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَنَا عِنْدَنَا لُزْفَيْنِ وَحُسْنَ مَّعَافٍ^(٦).

وقوله تعالى حكاية عن يونس عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

(١) الفتوى (٣١٩/٤).

(٢) سورة طه، آية: ١٢١.

(٣) سورة هود، آية: ٤٧.

(٤) سورة القصص، آية: ١٦.

(٥) سورة ص، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ (١).

ونبينا محمد ﷺ قال تعالى له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغْ مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

وكان النبي ﷺ يدعوا بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني؛ اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي..» (٣).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة من إنكار نسبة وقوع المعاصي من الأنبياء سواء كانت كبائر أو صغائر فيه نظر.

بل حكي الأشعري في مقالاته إجماعهم على أن معاصي الأنبياء صغائر فقال: «وأجمعت المعتزلة أن معاصي الأنبياء لا تكون إلا صغاراً؛ واختلفوا: هل يجوز أن يأتي النبي المعاصي؟ وهل يعلم أنها معاصٍ في حال ارتكابها أم لا؟ على مقالتين: وقال قائلون: لا يجوز أن يعلم في حال ارتكابه المعاصي أن ما يأتيه معصية، ويتعمد ذلك.

فقال قائلون: جائز أن يتعمد ويرتكبها، وهو يعلم أنها معاصي، إلا أنها لا تكون إلا صغائر» (٤).

ويرى القاضي عبد الجبار وهو من المعتزلة أن الأنبياء معصومون

(١) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٢) سورة التحريم، آية: ١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب قول النبي اللهم اغفر لي ما قدمت (٦٣٩٩).

(٤) المقالات (٢٩٧/١) للأشعري.

من الكبائر والصغائر المنفرة دون الصغائر التي لاحظ لها إلا في تقليل الثواب دون التنفير .

قال: «وجملة ذلك»: أن الرسول لا بد أن يكون منزهاً عن المنفرات جملة كبيرة أو صغيرة»^(١).

وقال: «فأما الصغائر التي لا حظ إلا في تقليل الثواب دون التنفير، فإنه مجوزة على الأنبياء»^(٢).

وحُكي عن الجاحظ والنَّظَّام والأصم وجعفر بن مبشر من المعتزلة: القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر مطلقاً ومن الصغائر عمداً لا سهواً فتقع منهم^(٣).

* * *

(١) شرح الأصول الخمسة (٥٧٣).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٥٧٥).

(٣) انظر: شرح المواقيف (٢٦٥/٨) ط السعادة ١٣٠٥هـ، وأصول الدين (١٦٩) البغدادي ط التركية ١٣٤٦هـ.

يسأل: عن الطائعين^(١) من بني آدم هل هم^(٢) أفضل من الملائكة أم^(٣) الملائكة أفضل منهم^(٤)؟

فإن قال: الآدميون^(٥) المطيعون^(٦) أفضل من الملائكة، فهو سني .

وإن قال: الملائكة أفضل منهم^(٧)، فهو بدعي^(٨) .

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾^(٩) الآية^(١٠) .

* * *

(١) في م: «الطائع» .

(٢) في م: «هو» .

(٣) الصواب لغة «أو» .

(٤) في م «منهم» .

(٥) في م: «الآدمي» .

(٦) «المطيعون» ليست في م .

(٧) «منهم»: ليست في م .

(٨) في م: مبتدع .

(٩) سورة البقرة، جزء من آية: ٣٤ .

(١٠) من قوله: «دليلنا . .» إلى قوله . . الآية ليست في م

دراسة المسألة:

هذه المسألة كثر الكلام فيها وتشعبت فيها الأقوال، قال السفاريني: «والمفاضلة بين البشر والملائكة وهي مسألة عظيمة قد كثر فيها الاختلاف، وتشعبت فيها الأقوال، وعظمت فيها المحن والجدال»^(١).

أما قول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة:

فقد قال ابن أبي العز الحنفي: «وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحى البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة»^(٢).

وقال السفاريني: «وعندنا معشر أهل السنة خصوصاً أهل الأثر وسلف الأمة وكبار الأئمة فإنهم يقولون ويعتقدون تفضيل أعيان البشر، والمراد بأعيانهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء فالأنبياء أفضل من الأولياء وهما أفضل من الملائكة...»^(٣).

وذكر السفاريني أن الإمام أحمد يقول: بنوا آدم أفضل من الملائكة»^(٤).

(١) لوامع الأنوار (٢/٣٩٨).

(٢) شرح الطحاوية (٣٣٨) ط الألباني.

(٣) لوامع الأنوار (٢/٣٩٨).

(٤) لوامع الأنوار (٢/٣٩٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ما أورد شيئاً من الآثار في الدلالة على تفضيل صالحى البشر على الملائكة قال: «وأقل ما فى الآثار أن السلف الأولين كانوا يعتقدون بينهم أن صالحى البشر أفضل من الملائكة من غير تكبر بينهم لذلك، ولم يخالف أحد منهم فى ذلك، إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها، وتفرق الآراء، فقد كان ذلك كالمستقر عندهم»^(١).

وقال: «قد كان السلف يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحى البشر على الملائكة، وتروى على رؤوس الناس، ولو كان هذا منكراً لأنكروه، فدل على أن اعتقادهم على ذلك»^(٢).

وقد استدلوأ بأدلة منها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(٣)، فالمسجود له أفضل من الساجد ولهذا امتنع إبليس من السجود واستكبر وقال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾^{(٤)(٥)}.

ومن الأدلة: أن الله يباهى بعباده الملائكة إذا أدوا فرائضه فقد جاء فى الحديث: «إن الله يباهى بكم الملائكة، يقول انظروا إلى عبادى قد

(١) الفتاوى (٣٦٩/٤).

(٢) الفتاوى (٣٧١/٤).

(٣) سورة الأعراف، آية ١١.

(٤) سورة الإسراء، آية ٦٢.

(٥) انظر هذا الاستدلال شرح الطحاوية (٣٤٠) (ولوامع الأنوار (٤٠٢/٢)).

قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى»^(١).

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) وفيها دليل على تفضيل الخليفة من وجهين: أولهما: أن الخليفة يفضل على من هو خليفة عليه، وقد كان فى الأرض ملائكة، وهذا غايته أن يفضل على من فى الأرض من الملائكة، وثانيهما: أن الملائكة طلبت من الله أن يكون الاستخلاف فيهم، والخليفة منهم؛ حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٣) فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم لما طلبوها وغبطوا صاحبها^(٤).

ولشيخ الإسلام ابن تيمية فى هذه المسألة تفصيل جيد، لا يخرج قوله عن قول السلف وتجتمع به الأدلة ولا تختلف.

قال: «التفضيل إذا وقع بين شيئين فلا بد من معرفة الفضيلة ما هي؟ ثم ينظر أيهما أولى بها.

وأيضاً فإنما تكلمنا فى تفضيل صالحى البشر إذا كملوا ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلى، وحباهم الرحمن وخصهم بمزيه قربه، وتجلى لهم، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت

(١) أخرجه ابن ماجه فى كتاب المساجد (٨٠١) وأحمد (٦٧١١) (٦٨٢١) (٦٩٠٧) من

حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بسند صحيح

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٣) البقرة، آية: ٣٠.

(٤) الفتاوى (٤/٣٧٤-٣٦٨).

الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم .

فليُنظر الباحث في هذا الأمر: فإن أكثر الغالطين لما نظروا في الصنفين رأوا الملائكة بعين التمام والكمال، ونظروا الآدمي وهو في هذه الحياة الخسيسة الكدرة التي لا تزن عند الله جناح بعوضة وليس هذا بالإنصاف .

فأقول: فضل أحد الذاتين على الأخرى إنما هو بقربها من الله تعالى، ومن مزيد اصطفائه وفضل اجتباؤه لنا، وإن كنا نحن لا ندرك حقيقة ذلك»^(١).

قال ابن القيم: «سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صالح بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن صالح بني البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى متزهون عما يلبسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالح بني البشر أكمل من حال الملائكة، وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين»^(٢).

ما نسبته المؤلف إلى أهل البدع من القول بتفضيل الملائكة، قال به المعتزلة كما حكاه عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، والسفاريني في لوامع

(١) انظر: الفتاوى (٤/٣٧٢).

(٢) بدائع الفوائد (٣/١٩٧) مطبعة الفجاة، القاهرة.

الأنوار^(١)، والبغدادى فى أصول الدين^(٢)، والأيجى فى المواقف^(٣)، وقد وافقهم بعض المتأخرين من الأشاعرة كالأرازى^(٤)، ولكن هذه المسألة مما يسوغ فيها الخلاف إذ ليس فيها نص عن المعصوم عليه السلام فلا يبدع من قال بتفضيل الملائكة.

* * *

-
- (١) انظر: الفتاوى (٣٥٦/٤) ولوامع الأنوار (٤٠٠/٢).
 (٢) أصول الدين (٢٩٥) ط / التزكية ١٣٤٦هـ.
 (٣) المواقف فى علم الكلام (٣٦٧) ط / عالم الكتب.
 (٤) معالم أصول الدين (٧٧) ط / دار الفكر.

يسأل: عن الميزان هل له كفتان أم^(١) عبارة عن عدل^(٢)؟

فإن قال: له كفتان، فهو سني.

وإن قال: غيره^(٣) فهو معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ ﴿الآية^(٥)﴾.

وقال عليه السلام: «الميزان له كفتان إحداهما من النور والأخرى من الظلمة، النور للحسنات على صور حسنة، والظلمة للسيئات على صورة سيئة، وله لسان يتكلم به، يوزن به أعمال العباد، فمن رجع حسناته نادى مناد على رؤوس الأشهاد، ألا إن فلان بن فلان رجع ميزانه وسعد سعادة لا يشقى أبداً، وإن خفت^(٥) ميزانه نادى منادى ألا إن فلان بن فلان خفت^(٦) ميزانه»^(٧) ودلائله كثيرة^(٨).

(١) في م «أم هو».

(٢) في م «العدل».

(٣) في م «عبارة عن العدل».

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢-١٠٣.

(٥) هكذا في رواية أبي نعيم، وفي غيره من المصادر خفت.

(٦) هكذا في رواية أبي نعيم، وفي غيره من المصادر خفت.

(٧) أخرجه البزار في مسنده (٣٤٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٧٤/٦)، والإمام الكاظمي

(٢٢٠٥) وقال الهيثمي في المجمع (٣٥٠/١٠) ورواه البزار وفيه صالح المري وهو

مجمع على ضعفه.

(٨) من قوله: «دليلنا». إلى قوله: ودلائله كثيرة» ليست في م.

دراسة المسألة:

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن الميزان يوم القيامة حق، وأنه يوضع لوزن أعمال العباد وأنه ميزان حقيقي حسي له كفتان، وأن ذلك من أمور الآخرة التي نؤمن بها كما وردت النصوص بذلك، ولا نخوض في كفيّتها إلا وفق ما جاءت به النصوص، وقد دلّ على أن الميزان حق، الأدلة المتكاثرة من الكتاب والسنة، وإجماع السلف على ثبوته وجوب الإيمان به.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلي الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وقال:

(١) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢-١٠٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب فضل التسبيح (٦٤٠٦)، ومسلم في كتاب الذكر باب فضل التهليل والتسبيح (٢٦٩٤).

اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (١)(٢).

ويدل على أن له كفتان ما جاء في حديث البطاقة وفيه: «فيخرج له بطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع السجلات في كفه ولا إله إلا الله في كفه فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» (٣).

قال الإمام أحمد - رحمه الله - قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ (٤)، وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة فمن رد على النبي فقد رد على الله عز وجل (٥).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة من إنكار الميزان وافقه على هذه النسبة جمع من المنصفين في أقوال الفرق.

قال الأيجي: «وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن آخرهم؛ لأن الأعمال أعراض وإن أمكن إعادتها فلا يمكن وزنها، إذ لا توصف بالخفة والثقل، وأيضاً فالوزن للعلم بمقدارها، وهي معلومة لله تعالى، فلا فائدة فيه فيكون قبيحاً، تنزه عنه الرب تعالى» (٦).

(١) سورة الكهف، آية: ١٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب أولئك الذين كفروا (٤٧٢٩) ومسلم في كتاب صفة القيامة باب (٢٧٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان (٢٦٣٩)، وقال حسن غريب وابن ماجه في كتاب الزهد (٤٣٠٠) وأحمد (٦٩٥٥) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بإسناد صحيح.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٢١١).

(٦) المواقف (٣٨٤).

وقال أبو طالب المكي: «تكون الحسنات في صورة حسنة تطرح في كفة النور فتثقل بها الميزان برحمة الله، وتكون السيئات في صورة سيئة تطرح في كفة الظلمة، فتخف بها الميزان بعدل الله تعالى، خلافاً للمعتزلة في إنكارهم ذلك، وقالوا: لا يجوز أن ينصب ميزان أصلاً»^(١).

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي: «وقوم من قدماء المعتزلة يقال لهم: «الوزنية» أنكروا الميزان، وقالوا: إنما هو العدل، وهو اختيار الجهمية»^(٢).

على أن إطلاق القول: بأن المعتزلة يقولون: بإنكار الميزان فيه نظر، فليس كلهم على هذا، قال القاضي عبد الجبار: «أما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ﴾^(٤)، إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس؛ لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾^(٥)، فذلك على طريق التوسع والمجاز،

(١) انظر: المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (١٧٥).

(٢) مناهج السلامة في ميزان القيامة (١٢٧).

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ١٠٢.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢٥.

وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز.

يبين ذلك ويوضحه: أنه لو كان الميزان إنما هو العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا^(١).

وقد حمل أهل البدع على إنكار الميزان شبهة بأن الله عالم بكل شيء فلا يحتاج للميزان، قال شارح الطحاوية في الجواب عن هذه الشبهة: «لو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين، فكيف ووراء ذلك من الحكمة ما لا اطلاع لنا عليه»^(٢).

* * *

(١) شرح الأصول الخمسة (٧٣٥).

(٢) شرح الطحاوية (٤٧٥).

يسأل: عن البعث بعد الموت فإن آمن به، فهو سني.

وإن أنكره، فهو حشيشي^(١)^(٢) معطلي^(٣)، دهري^(٤)،^(٥).

(١) «حشيشي» ليت في م.

(٢) الحشاشون: طائفة من طوائف الباطنية؛ ويطلق عليها النزارية، وهي تنسب إلي نزار بن المستنصر بالله الخليفة الفاطمي، سموا بالحشاشين؛ لأن رئيسهم الحسن بن الصباح المعروف بشيخ الجبل، كان يأخذ الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين، فيقوم بتنشئتهم نشأة خاصة، ويخدرهم بمخدر يعرف بالحشيشة، ويدخلهم جنات وحدائق، ويزعم أن هذه جزء من جنة عدن، وأن تحقيقهم ما يرد منه كفيلاً بدخولهم الجنة، فيأمرهم باغتتيال من شاء.

انظر: حركات الغلو والتطرف في الإسلام (ص ٦٩)، د/ أحمد عبدالقادر الشاذلي، راجعه وقدم له أ.د/ محمد نور الدين عبدالمنعم، الدار المصرية للكتاب للنشر، أسرار الباطنية والفرق الخفية: حركة الحشاشين تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي، تأليف: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا بمصر، أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، تأليف إبراهيم الشيخ عيد، دار المعالي بعمان الأردن ١٤١٩هـ (ص ٤٥-٨٣).

(٣) المعطلة: هم الدهريون الذين عطلوا المصنوعات عن صانعها وهو اسم التعطيل يندرج تحته عدة معان منها تعطيل الصانع عن مصنوعات ومنها تعطيل الباري عن الصفات ومنها تعطيل ظواهر الكتاب والسنة انظر نهاية الأقدام (١٢٣) الشهرستاني ومجموع الفتاوى (٢٠/٥) (١٢/١١٩-٣٥١-٣٥١).

(٤) «دهري» ليست في م.

(٥) الدهرية: قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالُوا إِنَّا لَا حَيَاتًا أَلَدَيَّا نَمُوتُ وَمَا نَحْيَا لَكُمُ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ وهم فرقان: فرقة قالت لما خلق الله الأفلak مع سرعة حركتها أحرقتها، وفرقة قالت: إن الأشياء ليس لها أول وإنما تخرج من القوة إلى الفعل.

انظر إغثة اللهفان (٢/٢٧٤-٢٧٥) ومجموع الفتاوى (٢٠/٥)

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (١).

وقوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قل يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٢).

وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (٣)، والدلائل أكثر من أن تحصى (٤).

(١) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

(٢) سورة يس، الآية: ٧٨، ٧٩.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥١.

(٤) من قوله: «دليلنا... إلى قوله: أكثر من أن تحصى» ليست في م.

دراسة المسألة:

الإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان وهو الركن الخامس، لا يتم الإيمان إلا به قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾^(١)، وجاء في حديث جبريل الطويل: قال: «وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»^(٢).

والإيمان بالبعث دل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع المسلمين على أنه حق، والقرآن كله من أوله إلى آخره مملوء بذكر أحوال يوم الآخرة وتفاصيل ما فيه، والفطرة السليمة تدل عليه وتهدي إليه، والشرائع السماوية كلها تدعو إلى الإيمان به.

وقد نوع الله في كتابه الإخبار عنه ليكون أوقع في النفوس وأكد.

فقال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَالِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾^(٣).

وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٤).

وقال: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُيُوتِهِمْ وَلَئِنْ لَمْ يَأْتِ الْبُيُوتَ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُيُوتِهِمْ وَلَئِنْ لَمْ يَأْتِ الْبُيُوتَ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُيُوتِهِمْ وَلَئِنْ لَمْ يَأْتِ الْبُيُوتَ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُيُوتِهِمْ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب: سؤال جبريل (٥٠) مسلم في كتاب الإيمان باب: بيان والإيمان والإسلام (٩).

(٣) سورة طه، آية: ١٥.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٧.

(٥) سورة النبا، آية: ٧.

وقال: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۖ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۖ﴾ (١)، وقال: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (٢).

وضرب الأمثلة فقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۖ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْفَقُونَ ۖ﴾ (٣).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، غير مختونين فقلت يا رسول الله: الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: يا عائشة الأمر يومئذ أشد من ذلك» (٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول: لست بصاحب ذلك، ثم موسى فيقول كذلك، ثم بمحمد ﷺ فيشفع، فيقضي الله بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمد به أهل الجمع

(١) سورة هود، الآيتان ١٠٣، ١٠٤.

(٢) سورة لقمان، آية: ٢٨.

(٣) سورة يس، الآيات: ٧٨ - ٨٠.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب: كيف الحشر (٦٥٢٧) مسلم في كتاب الجنة باب فناء الدنيا (٢٨٥٩).

كلهم»^(١).

أنكر البعث وكذب به طوائف من الدهرية والزنادقة وقد ذكر الله في كتابه قول المكذبين وذمهم وتهدهم وتوعدهم فقال: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾.

وقال: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفًّا إِيَّاْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿٣﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٤﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٥﴾.

وقال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ﴿٦﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك، بياناً تاماً غاية التمام والكمال»^(٥).

-
- (١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب: ذرية من حملنا مع نوح (٤٧١٣) ومسلم في كتاب الإيمان باب: أدنى أهل الجنة منزلة (١٩٤).
- (٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٢٩، ٣٠.
- (٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٤٩، ٥١.
- (٤) سورة الجاثية: آية: ٢٤.
- (٥) الفتاوى (٣١٣/٤).

قال السفاريني - رحمه الله - : «واعلم أنه يجب الجزم شرعاً أن الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد إيجادهم بجميع أجزائهم الأصلية وهي التي من شأنها البقاء مع أول العمر إلى آخره، ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء، فإن هذا حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الشارع، وكل ما هو كذلك فهو ثابت والإخبار عنه مطابق»^(١).

* * *

يسأل: عن مسائل منكر ونكير وضغطة القبر فإن آمن به^(١)، فهو

حشي.

وإن أنكره،^(٢) فهو معتزلي، حشيشي،^(٣) كافر بالله^(٤).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾^(٥) إلى آخر الآية.

وقوله عليه السلام^(٦) لعمر رحمة الله عليه: «كيف بك يا عمر إذا أتاك فتانا القبر»^(٧) والخبر مشهور.

وقوله عليه السلام^(٨): «لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد بن معاذ، فإن عرش الله يهتز من موت سعد»^(٨).

٤

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب (بها).

(٢) هكذا في الأصل ولعل الصواب (أنكرها).

(٣) «حشيشي» ليست في م.

(٤) «كافر بالله» ليست في م.

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٦) كتب عليه السلام إختصار (صلح) وأثبت الصلاة كاملة.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٧٣٨) وبنحوه البيهقي في الاعتقاد ص ١٤٨

والأصبهاني في الحجة ص ٤٧٦ وفي سننه ضعف.

(٨) كتب في الهامش: «شوقا إليه».

من قوله: «دليلنا إلى قول: موت سعد» ليست في م.

والحديث أخرجه أحمد (٢٣٧٦٢) (٢٤١٤٢) الجزء الأول من الحديث: لو نجا أحد

من ضغطة القبر لنجا سعد بن معاذ» وفي سننه رجل مبهم.

أما اهتزاز عرش الرحمن لموت سعد» فأخرجه البخاري في كتاب المناقب باب مناقب

سعد (٣٨٠٣) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل سعد (٢٤٦٦) وابن

ماجه (١٥٨) والترمذي في المناقب (٣٨٤٨).

دراسة المسألة :

يعتقد أهل السنة والجماعة أن عذاب القبر ونعيمه حق، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كلفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كلفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول بل إن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا^(١).

قال الإمام أحمد: «وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه ويرى مقعده^٢ من النار والجنة، ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبور نسأل الله عز وجل الثبات»^(٢).

قال الإمام ابن قدامة المقدسي «وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق»^(٣).

قال ابن عبد البر: «والآثار في ذلك متواترة وأهل السنة والجماعة على الإيمان بذلك لا ينكره إلا أهل البدع»^(٤).

(١) انظر شرح الطحاوية (٤٥٠).

(٢) انظر شذرات اللاتين (٤٦ - ٤٧).

(٣) لمعة الاعتقاد (١٩١).

(٤) التمهيد (٢٢ / ٢٤٧).

والأدلة التي تدل على وقوع عذاب القبر ونعيمه كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۖ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ﴾ (١).

قال ابن كثير: هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور (٢).

وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۖ﴾ (٣).
قال الحسن البصري: «سنعذبهم مرتين: عذاب الدنيا وعذاب القبر» (٤).

وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ﴾ (٥).

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ﴾ (٦)، نزلت في عذاب القبر فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبي محمد ﷺ. فذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ﴾ (٦).

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤٥-٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٨١) ط مكتبة مصر.

(٣) التوبة، ١٠١.

(٤) فتح الباري (٣/٢٣٣).

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٦) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

الدنيا وفي الآخرة»^(١)(٢).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «دخلت عليّ عجوزان من عجز يهود المدينة فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال: ﷺ صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم قال: فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»^(٣).

وعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع خفق نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في محمد ﷺ فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله...»^(٤).

وقد جاء التصريح باسم الملكين منكر ونكير في حديث أبي هريرة مرفوعاً رواه الترمذي وقال: حسن غريب، وابن أبي عاصم في السنة، والآجري في الشريعة^(٥).

«قيل للإمام أحمد بن حنبل: تُقرُّ بمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر؟ قال: سبحان الله! نقر بذلك كله ونقوله، قيل له: هذه اللفظة

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة باب: عرض مقعد الميت (٢٨٧١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب: التعوذ من عذاب (٦٣٦٦) ومسلم في كتاب المساجد باب: استحباب التعوذ من عذاب القبر (٥٨٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب: الميت يسمع خفق النعال (١٣٣٨) ومسلم في كتاب الجنة باب: عرض مقعد الميت (٢٨٧٠).

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز (١٠٧١) وابن أبي عاصم (٤١٦/٢ - ٤١٧) والآجري (٨٥٨).

تقول: منكر ونكير هكذا أو تقول: ملكين؟ قال: منكر ونكير، قلت: يقولون: ليس فيه حديث منكر ونكير قال: هو هكذا يعني أنهما منكر ونكير»^(١).

أما ضغطة القبر فقد جاء فيها أحاديث منها:

ما جاء عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما انتهينا إلى القبر قعد على شفيره فجعل يردد بصره فيه ثم قال: يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قالت: «إن للقبر ضغطة لو كان أحد منها ناجياً نجا منها سعد بن معاذ»^(٣).

وجاء في حديث البراء بن عازب المشهور وفيه: «قال: ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه»^(٤).

ما نسبته المؤلف للمعتزلة من إنكار مسائل القبر وضغطته ليس على إطلاقه، بل بعضهم أنكروه، وبعضهم آمن به.

قال الأشعري: «واختلفوا في عذاب القبر؟ فمنهم من نفاه وهم

(١) انظر الروح لابن القيم (٨٠) ولوامع الأنوار (٢٣/٢) للسفاريني.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٩٤٧) وفيه محمد بن جابر بن سيار السحيمي الحنفي والأكثر على تضعيفه.

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٧٥.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز (١٠٧١) أبو داود في كتاب السنة (٤٧٥٣) وأحمد

(١١٨٦٢) بسند صحيح.

الخوارج والمعتزلة»^(١).

قال ابن القيم: «وأما أئمة أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل وبشر المريسي من خرج عن سنة الإيمان فإنه يعذب بين النفختين، قالوا: والمسألة في القبر إنما تقع في ذلك الوقت.

وأثبت الجبائي وابنه والبلخي عذاب القبر لكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم»^(٢).

قال ابن حجر: «وأنكر الخوارج وبعض المعتزلة عذاب القبر كضرار بن عمرو وبشر المريسي وخالفهم جميع أهل السنة وأكثر المعتزلة»^(٣).

قال التفتازاني: «وأنكر عذاب القبر بعض المعتزلة والروافض»^(٤).

قال العصام في حاشيته على شرح التفتازاني «قوله: وسؤال منكر ونكير وهما ملكان يدخلان القبر، وفيه رد على الجبائي وابنه البلخي، حيث أنكروا تسمية الملكين منكراً ونكيراً، وقالوا: إن المنكر ما يصدر عن الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكير إنما تقرع الملكين»^(٥).

قال القاضي عبد الجبار «فصل في عذاب القبر وجملة ذلك أنه

(١) المقالات (١١٦/٢).

(٢) الروح (٢٩٦/١ - ٢٩٧) ط مكتبة ابن تيمية.

(٣) الفتح (١٣٣/٣).

(٤) شرح العقائد السفية (٣٩٧) سعد الدين التفتازاني بحاشية العصام والحيالي طبع على نفقة محمود أفندي الكتبي ط ١ - مصر - ١٣٣١هـ.

(٥) حاشية العصام على العقائد (٣٩٤).

لاخلاف فيه بين الأمة إلا شيء يُحكى عن ضرار بن عمرو، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به»^(١).

إلا أنه لم يجزم بوقت العذاب فقال: «وأما الوقت الذي يثبت فيه التعذيب وتعيين ذلك فما لا طريق إليه، ومن الجائز أن يكون بين النفختين»^(٢).

وقد أقرّ وآمن بسؤال الملكين فقال: «السمع ورد بأنه يكل ذلك إلى ملكين أحدهما منكر والآخر نكير، ولا شيء في ذلك مما يدعونه علينا، لأن هذا بمنزلة غيره من الألقاب التي لاحظ لها في إفادة المدح والذم والعقاب وهو جار على طريقة العرب»^(٣).

* * *

(١) شرح الأصول الخمسة (٧٣٣ - ٧٣٤).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٧٣٣ - ٧٣٤).

(٣) شرح الأصول الخمسة (٧٣٣ - ٧٣٤).

يسأل: عن النبي ﷺ^(١) هل هو نبي في القبر^(٢) أم^(٣) بطلت نبوته بموته؟

فإن قال: هو نبي في قبره، فهو سني.

وإن قال: بطلت نبوته بموته^(٤)، فهو أشعري ملعون^(٥)(٦).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٧).

وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٨) الآية.

وقوله ﷺ: «الأنبياء أحياء في قبورهم»^(٩).

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي من أهل الكبائر»^(١٠).

(١) في م: (صلع) إختصاراً لـ ﷺ.

(٢) في م: «هل هو الآن في قبره نبي».

(٣) الصواب «أو».

(٤) «بموتهش ليست في م».

(٥) «ملعون» ليست في م.

(٦) انظر التعليق ص ٢١٥.

(٧) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٨) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٩) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٤٢٥) والديلمي في الفردوس (٤٠٣) وأبو نعيم في

أخبار أصبهان (٤٤/٢) وابن عدي في الكامل (٧٣٩/٢) كلهم من حديث أنس وقال

الهيثمي في المجمع (٢١١/٨) رواه أبو يعلى واليزار ورجال أبي يعلى ثقات وحسنه

السيوطي في الجامع الصغير (٣٠٨٩) وصححه الألباني في الصحيحة (١١٩/٢).

(١٠) قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٨٠) من حديث أبي سعيد =

وإذا خرج عن النبوة كما زعموا - لعنهم الله - فقد أبطلوا الشفاعة وردوا الآية ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٧٩).
والدليل على هذا أكثر من أن يحصى^(١).

* * *

= الخدري، والترمذي (٣١٤٨) وأحمد (١١٠٠٠) ومسلم (٢٢٧٨) وأبوداود (٤٦٧٣) من حديث أبي هريرة وابن حبان (٦٤٧٨) وأبوداود الطيالسي (٢٧١١) من حديث عبدالله بن سلام.
وأخرج قوله ﷺ «بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وإنني خبأت دعوت شفاعتي لأمتي من أهل الكباثر» أخرجه أحمد في المسند، (٢١٣٣٧)، (٢١٣٥٢)، (٢١٤٧٢) وابن حبان (٦٤٦٢) والطالبي (٤٧٢) من حديث أبي ذر، وفي المسند (١٩٧٥٠) من حديث أبي موسى الأشعري، والبخاري بنحوه (٣٢٨)، ومسلم (٥٢١)، والبيهقي (١٧٤٩٣) من حديث جابر والطبراني في الكبير (٦٦٧٤) من حديث السائب بن يزيد (٧٩٣١) ومن حديث أبي أمامة.
(١) من قوله: «دلينا». إلى قوله: أكثر من أن يحصى» ليست في م.

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة: أن النبي ﷺ لم تبطل نبوته بموته وأنه حي في قبره حياة برزخية.

قال الشيخ سليمان بن سحمان: «ومن المعلوم أنه لم يكن ﷺ حياً في قبره كالحياء الدنيوية المعهودة، التي تقوم فيها الروح بالبدن، وتدبره وتصرفه، ويحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس والنكاح، وغير ذلك بل حياته ﷺ حياة برزخية، وروحه في الرفيق الأعلى»^(١).

وعلى أن نبوته ﷺ باقية قد دلت النصوص وأجمع على ذلك أهل الإسلام^(٢).

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رُّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٣).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَايَهُمُ النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾^(٤).

والقول بأن نبوته بطلت بموته قول باطل يلزم عليه إبطال خصائصه ﷺ في الدنيا من الصلاة عليه، واحترامه، وتبجيله، وفي الآخرة من إبطال ما أخبر به أنه يقوم المقام المحمود الذي يحمده عليه الخلائق،

(١) الصواعق المرسلة الشهابية (٨٢).

(٢) انظر الفصل لابن حزم (١/٩١٦٢).

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

ويشفع في الخلق أن يقضي الله بين العباد إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة.

وقد نسب المؤلف القول ببطلان نبوته للأشاعرة، وقد وافقه على نسبة هذا المذهب للأشاعرة السَّجْزِي في رسالته إلى أهل زيد فقال: «فصل في ذكر شيء من أقوالهم - يعني الأشاعرة - ليقف العامة عليها فينفروا عنهم ولا يقعوا في شباكهم. ومنها: أن الإيمان والنبوة عَرْضَان يحلان الأجسام في حال الحياة ويزولان عنها بزول الحياة، فالمؤمن إذا مات يدخل قبره ولا إيمان معه، والنبى ﷺ إذا مات يدفن وليس بنبي وعلى هذا الأصل يقتضي أن يزول الإيمان عن الرجل إذا نام وهذا من أشنع الأقاويل»^(١).

وقال الموفق ابن قدامة المقدسي: «وحقيقة مذهب الأشاعرة أنه ليس في السماء ولا في الأرض قرآن ولا أن محمداً رسول الله»^(٢).

وممن نسب لهم هذا القول ابن حزم حيث قال في الفصل: «حَدَّثْتُ فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ليس هو الآن رسول الله ﷺ ولكنه كان رسول الله، وهذا قول ذهب إليه الأشعرية، وأخبرني سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم أن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني على هذه المسألة قتله بالسَّم محمود بن سبكتكين، صاحب ما دون النهر من

(١) رسالة السجزي إلى أهل زيد (١٩٦).

(٢) حكاية المناظرة في القرآن (٥١).

خراسان»^(١).

ثم ذكر ابن حزم السبب الذي حملهم على هذه المقالة قولهم: أن الروح عَرَض، والعَرَض يفنى أبداً ويحدث ولا يبقى وقتين، فروح النبي ﷺ عندهم قد فئت وبطلت ولا روح له الآن عند الله تعالى، وأما جسده ففي قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته»^(٢).

وقد نسب هذه المقالة لابن فورك الذهبي فقال: «ونقل أبو الوليد الباجي أن السلطان محموداً سأله عن رسول الله ﷺ فقال: كان رسول الله، وأما اليوم فلا، فأمر بقتله بالسم»^(٣).

وقد رد القشيري نسبة هذه المقالة للأشاعرة ويرى أنها كذب عليهم، وأن أصلها أن بعض الكرامية ألزم بعض الأشاعرة وقال: «إذا كان عندكم الميت في حال موته لا يحس ولا يعلم، فيجب أن يكون النبي ﷺ في قبره غير مؤمن، لأن الإيمان عندكم المعرفة والتصديق والموت ينافي ذلك، فإذا لم يكن له علم وتصديق لا يكون له إيمان، ومن لا يكون مؤمناً لا يكون نبياً ثم قال: واعلموا - رحمكم الله - أن ما يلزمه الخصم بدعواه فيقول هذا على أصلكم ومقتضى علتكم يلزمكم، فلا يجوز أن ينسب ذلك إلى صاحب المذهب فيقال هذا مذهب فلان»^(٤).

(١) الفصل ١٠/١٦١.

(٢) الفصل ١/١٦١.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/٢١٦).

(٤) شكاية أهل السنة للقشيري، (ضمن طبقات الشافعية (٢/٢٧٩ - ٢٨٢) ط دار المعرفة =

ونفى السبكي أن ابن فورك قال بذلك وقتله لأجله وذكر أن الكرامية دسوا عليه ذلك لدى السلطان وأن ابن فورك أنكر ذلك أمامه^(١).

إلا أن الموجود في كتب الأشاعرة اليوم التصريح ببقاء نبوته ﷺ.

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن نبوات الأنبياء - صلوات الله عليهم - لا تبطل ولا تنخرم بخروجهم عن الدنيا وانتقالهم إلى دار الآخرة، بل حكمهم في الدنيا كحكمهم في حالة نومهم وحالة اشتغالهم، إما بأكل أو شرب أو قضاء وطر...»

وقد غلط من نسب إلى مذهب المحققين من الموحدين إبطال نبوة الأنبياء عليهم السلام بخروجهم من دار الدنيا، وليس ذلك بصحيح، لأن مذهب المحققين: أن الرسول ما استحق شرف الرسالة بتأدية الرسالة، وإنما صار رسولاً واستحق شرف الرسالة والنبوة بقول مرسله: وهو الله - تعالى -: أنت رسولي ونبيي وقول القديم لا يزول ولا يتغير^(٢).

* * *

= بيروت.

(١) طبقات الشافعية (٥٤/٣).

(٢) الإنصاف (٦٣ - ٦٤) ط الخانجي.

يسأل: عن الله تعالى^(١) هل أراد المعصية من الخلق^(٢) أم^(٣) لا؟
فإن قال^(٤): الخير بقضاء الله وقدره ورضائه ومحبه وسعادة
للعبد، والشر بقضائه وقدره لا بأمره ورضائه ومحبه وشقاوة للعبد^(٥)،
فهو سني.

وإن قال غيره،^(٦) فهو معتزلي^(٧) قدري.

دليلنا: قوله تعالى لآدم وحواء - عليهما السلام -: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ﴾^(٨) وأراد أن يأكلا منها فأكلا.

وأمر اللعين إبليس فقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾^(٩)، ولم يرد
منه السجود فلم يسجد.

وقال لفرعون إخباراً عن موسى - عليه السلام -، ولنمرود عن
إبراهيم^(١٠)، فما آمنوا وهذا دليل على أن له إرادة بغير أمر وأمر بغير
إرادة.

(١) في م: «الباري جل جلاله».

(٢) في م: «خلقه».

(٣) الصواب: «أو».

(٤) في م: فإن قال: أرادها فهو سني.

(٥) من قوله: «الخير بقاء الله وقدره... إلى قوله وشقاوة للعبد «ليست في م».

(٦) في م: وإن قال. لم يردها.

(٧) في م «أو».

(٨) سورة الاعراف، آية: ١٩.

(٩) سورة ص، آية: ٧٥.

(١٠) لعل هنا سقط «آمنوا فما آمنوا» حتي يتم معنى الجملة.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾^(١).

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^{(٢)(٣)}.

* * *

(١) سورة يونس، آية: ٩٩.

(٢) سورة هود، آية: ١١٨.

(٣) من قوله: «دليلنا... إلى قوله... ولا يزالون مختلفين» ليست في م.

دراسة المسألة :

يعتقد أهل السنة والجماعة :

أن الله وإن كان يريد المعاصي إرادة كونية قدرية، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها وينهى عنها. فيفرقون بين إرادته الدينية الشرعية التي تتضمن محبته ورضاه، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١)، وبين إرادته ومشئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢).

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية هل إرادة الله تعالى المعصية من خلقه أم لا؟

فأجاب: لفظ «الإرادة» مجمل له معنيان: فيقصد به المشيئة لما خلقه، ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به.

فإن كان مقصود السائل: أنه أحب المعاصي، ورضيها، وأمر بها، فلم يردّها بهذا المعنى، فإن الله لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء، بل قال لما نهى عنه: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾^(٣)، وإن أراد أنها من جملة ما شاء وخلقها فالله

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٨.

خالق كل شيء، وما شاء كن وما لم يشاء لم يكن ولا يكون في الوجود إلا ما شاء.

وقد ذكر الله في موضع أنه يريد بها، وفي موضع أنه لا يريد بها، والمراد بالأول أنه شاءها خلقاً، وبالثاني أنه لا يحبها ولا يرضاها أمراً، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^(١).

وقال نوح: ﴿وَلَا تَفْعَلُوا نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾^(٢).

وقال في الثاني: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^{(٣)(٤)}.

قال الإمام الصابوني: «ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل يريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، ولم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يعصى لما خلق إبليس، فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين، بقضائه سبحانه وتعالى وقدره، وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية.

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢٥.

(٢) سورة هود، آية: ٣٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) انظر: الفتاوى (١٥٩/٨).

قال الله عز وجل: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (١) «(٢)».

وقالت المعتزلة القدرية: كل ما أراده الله وشاءه فقد أحبه ورضيه، فسووا بين إرادته ومشئته وبين محبته، وقالوا: الكفر والفسوق والمعاصي لا يحبها ولا يرضاها فلا يريد لها ولا يشاؤها، فجعلوا الإرادة والمشئة والمحبة من باب واحد.

قال القاضي عبد الجبار: «وأحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يكون مريداً للمعاصي، هو أنه لو كان مريداً لها لوجب أن يكون محباً لها وراضياً بها، لأن المحبة والرضا والإرادة من باب واحد، بدلالة أنه لا فرق بين أن يقول القائل أحببت أو رضيت وبين أن يقول: أردت» (٣).

قال أبو القاسم الرسي: «والله - جل ثناؤه - لا يقضي جوراً ولا باطلاً ولا فجوراً، لأن المعاصي كلها باطل وفجور وجور، والله - تعالى - منزّه أن يكون لها قاضياً أو مقدراً» (٤).

قال شيخ الإسلام في إبطال شبهة المعتزلة: «وفصل الخطاب أن الأمر ليس مستلزماً لمشئته أن يخلق الرب الأمر الفعل المأمور به، ولا

(١) سورة الزمر، آية: ٧.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٨٦).

(٣) شرح الأصول الخمسة (٤٦٤).

(٤) كتاب العدل والتوحيد ونفي التشبيه (١٣٩) ضمن رسائل العدل والتوحيد.

إرادة أن يفعله، بل قد يأمر بما لا يخلقه، وذلك مستلزم لمحبة الرب ورضاه من العبد أن يفعله، بمعنى أنه إذا فعل ذلك أحبه ورضيه، وهو يريد منه إرادة الأمر من المأمور بما أمره به لمصلحته، وإن لم يرد أن يخلق وأن يعينه عليه، لما له في ترك ذلك من الحكمة، فإن له حكمة بالغة فيما يخلقه وفيما لم يخلقه.

وفرق بين أن يريد أن يخلق هو الفعل ويجعل غيره فاعلاً يحسن إليه ويتفضل عليه بالإعانة له على مصلحته، وبين أن يأمر غيره بما يصلحه ويبين له ما ينفعه إذا فعله، وإن كان لا يريد هو نفسه أن يعينه لما في ترك إعانته من الحكمة، لكون الإعانة قد تستلزم ما يناقض حكمته، والمنهي عنه الذي خلقه هو يبغضه ويمقت، كما يمقت ما خلقه من الأعيان الخبيثة كالشياطين والخبائث، ولكنه خلقها لحكمة يحبها ويرضاها.

ونحن نعلم أن العبد يريد أن يفعل ما لا يحبه لإفضائه إلى ما يحبه، كما يشرب المريض الدواء الكريه لإفضائه إلى ما يحبه من العافية، ويفعل ما يكره من الأعمال لإفضائه إلى مطلوبه المحبوب له، ولا منافاة بين كون الشيء بغيضاً إليه مع كونه مخلوقاً له لحكمة يحبها، وكذلك لا منافاة بين أن يحبه إذا كان ولا يفعله، لأن فعله قد يستلزم تفويت ما هو أحب إليه منه، أو وجود ما هو أبغض إليه من عدمه^(١).

ومما تقدم نعلم أن ما يقع في هذا الكون كله بقضاء الله وقدره،

(١) الفتاوى (٤٧٧/٨ - ٤٧٨).

من الطاعات والمعاصي والإيمان والكفر، فالله أراد كفر الكافر كوناً وقدراً ولم يرده ديناً وشرعاً، مع كون الكفر مبغوضاً له، إذ المراد كما بين شيخ الإسلام نوعان مراد لنفسه، ومراد لغيره، فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته لما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد، والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً لما يريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، يجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما، وهذا كالدواء الكريه إذا علم المتناول له أن فيه شفاءً، وقطع العضو المتآكل، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده^(١).



(١) انظر شرح الطحاوية (٢٨٠-٢٨١).

يسأل: عن الباري جل جلاله^(١) هل يُضل ويهدي^(٢)؟

فإن قال: يُضل ويهدي، فهو سني.

وإن قال: يهدي ولا يُضل،^(٤) فهو بدعي قدري^(٥).

دليلنا: قوله تعالى إخباراً عن محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٦)، إنك يا محمد تريد عمك أبا طالب، ونحن نريد بلال الحبشي^(٧).

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾^{(٨)(٩)}.

* * *

(١) في م: «ذكره».

(٢) في م: زيادة «أم الضلالة إلى غيره».

(٣) في م: «وإن أنكر ذلك».

(٤) ليست في م: «يهدي ولا يضل».

(٥) «قدري» ليست في م.

(٦) سورة القصص، آية: ٥٦.

(٧) انظر تفسير ابن كثير (٤٠٨/٣).

(٨) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

(٩) من قوله: «دليلنا». إبي قوله: من تشاء» ليست في م.

دراسة المسألة :

يعتقد أهل السنة والجماعة أن كل ما في الوجود فهو مخلوق لله ، خلقه بمشيئته وقدرته ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن الله يُضِلُّ ويهدي ويسعد ويشقي لا معقب لحكمه سبحانه .

قال الإمام الصابوني : «ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء لدينه ، ويضل من يشاء عنه ، لا حجة لمن أضله الله عليه ، ولا عذر له لديه»^(١) .

وقال الإمام ابن القيم : «اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، وأنه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأن الهدى والإضلال فعله سبحانه وقدره ، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه»^(٢) .

وقال الإمام ابن بطة : «باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى في كتابه أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، وأنه لا يهدي بالمرسلين والكتب والآيات والبراهين ، إلا من سبق في علم الله أنه يهديه»^(٣) وقد دل على هذا الأصل الكتاب والسنة وإجماع السلف .

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٨٠) .

(٢) شفاء العليل (٦٥) مطبعة الحسينية المصرية الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ .

(٣) الإبانة (٢٥٩/١) ت الأثوبي .

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾^(١)، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢).

وقال: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣).

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

قال الإمام ابن بطه: «ففي كل هذه الآيات يعلم الله عز وجل عباده المؤمنين أنه هو الهادي المضل، وأن الرسل لا يهتدي بها إلا من هداه الله، ولا يأبى الهداية إلا من أضله الله، ولو كان من اهتدى بالرسل والأنبياء مهتدياً بغير هدايته، لكان كل من جاءهم المرسلون مهتدين لأن الرسل بعثوا رحمة للعالمين، ونصيحة لمن أطاعهم من الخليقة أجمعين، فلو كانت الهداية إليهم، لما ضل أحد جاؤه»^(٥).

وعن علي - رضي الله عنه - قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما انتهينا إلى بقيع الغرقد، قعد رسول الله ﷺ وقعدنا حوله، فأخذ عوداً فنكث به في الأرض، ثم رفع رأسه فقال: ما منكم من نفس منقوسة إلا قد علم مكانها من الجنة والنار وشقية أو سعيدة، فقال رجل

(١) سورة الإسراء، آية: ٩٧.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٦.

(٣) سورة المدثر، آية: ٣١.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٤.

(٥) الإبانة (١/٢٦٤) ت الأثيوبي.

من القوم: يا رسول الله ﷺ! ألا ندع العمل ونعمل على كتاب ربنا، فمن كان من أهل الجنة، صار إلى السعادة ومن كان من أهل الشقوة، صار إلى الشقوة؟ فقال رسول الله ﷺ: بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل الشقوة، يسر لعملها ومن كان من أهل السعادة يسر لعملها ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۖ﴾ (١)(٢).

وعن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين، فإذا شاء يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاعه» (٣).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة هو المشهور من مذهبهم، قال الأشعري في المقالات: «وامتنعت المعتزلة أن تقول: إن الله سبحانه أضلّ عن الدين أحداً من خلقه» (٤).

وقال أبو القاسم الرسي: في قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ (٥).

(١) سورة الليل، ٥، ٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب: قوله: فأما من أعطى واتقى (٤٩٤٥) ومسلم في كتاب القدر باب: كيفية خلق آدمي (٢٦٤٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه المقدمة (١٩٩) وأحمد (١٧١٧٨) (٢٦١٣٩) والترمذي في كتاب الدعوات (٣٠٢٢) وحسه.

(٤) المقالات (١/٣٢٦).

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

«وقد يجوز أيضاً أن يكون معنى ذلك أن سماهم ضلالاً وشهد عليهم بالضلالة، ووصفهم به من غير أن يدخلهم في الضلالة ويقسره عليها، فإن رجعوا عن الضلالة وتابوا وصاروا إلى الهدى سماهم مهتدين وأزال عنهم اسم الضلالة والفسق»^(١).

وقال: في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾^(٢): «فأمر نبيه ﷺ أن ينسب ضلاله، إن كان منه إلى نفسه، والهدى إلى ربه تبارك وتعالى وقد علم - جل ثناؤه - أن لا يكون من نبيه ضلالة أبداً، وأن لا يكون منه إلا الهدى، وإنما أمر بذلك تأديباً لخلقه، وأن نسبوا ضلالتهم إلى أنفسهم، وينزهوا منها ربهم، وأن ينسبوا هداهم إلى الذي به اهتدوا وبعونه وتوفيقه رشدوا»^(٣).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «والقدريّة ترد هذا كله إلى المتشابه وتجعله من متشابه القرآن وتتأوله على غير تأويله بل تتأوله بما يقطع ببطلانه وعدم إرادة المتكلم له، كقول بعضهم المراد من ذلك تسمية الله العبد مهتدياً وضالاً، فجعلوا هداه وإضلاله مجرد تسمية العبد بذلك، وهذا مما يعلم قطعاً أنه لا يصح حمل هذه الآيات عليه، وأنت إذا تأملت ما وجدتها لا تحتمل ما ذكره البتة، وليس في لغة أمة من

(١) كتاب العدل والتوحيد (١٤١٠) من رسائل العدل والترجيح.

(٢) سورة سبأ، آية: ٥٠.

(٣) العدل والتوحيد (٩١٤٢).

الإمام فضلاً عن أفصح اللغات وأكملها: هداه بمعنى سماه مهتدياً، وأضله سماه ضالاً وهل يصلح أن يقال علّمه إذا سماه عالماً . . .»^(١).

* * *

(١) شفاء العليل (٨٢) مطبعة الحسينية ١٣٢٣هـ.

يسأل: عن المقتول هل مات^(١) بأجله أم^(٢) قطع^(٣) لقاتل أجله؟

فإن قال: يموت بأجله، فهو سني.

وإن قال: قطع^(٤) عليه^(٥) أجله، فهو معتزلي وقدري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٦).

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾^(٧) الآية.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾^{(٨)(٩)} الآية^(١٠).

* * *

-
- (١) في م: «يموت».
 - (٢) الصواب «أو».
 - (٣) في م: «يقطع».
 - (٤) في م: «يقطع».
 - (٥) في م: «القاتل».
 - (٦) سورة الأعراف، آية: ٣٤.
 - (٧) سورة يونس، آية: ٤٩.
 - (٨) سورة الرعد، آية: ٤١.
 - (٩) قال ابن كثير (٥٣٥/٢): قال مجاهد: «نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض».
 - وقال الشعبي: «نقصان الأنفس والثمرات وقال مجرمة: لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تقعد فيه ولكن هو الموت».
 - (١٠) من قوله: «دليلنا... إلى قوله... الآية» ليست في م.

دراسة المسألة :

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن المقتول هل مات بأجله أو قطع
القاتل أجله؟

فأجاب : المقتول كغيره من الموتى لا يموت أحد قبل أجله ، ولا
يتأخر أحد عن أجله ، بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم
ولا تتأخر ، فإن أجل الشيء هو نهاية عمره ، وعمره مدة بقائه فالعمر
مدة البقاء ، والأجل نهاية العمر بالإنقضاء .

وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : «قدر الله
مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ،
وكان عرشه على الماء»^(١) .

وثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : «كان الله ولم يكن
شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء وخلق
السموات والأرض - وفي لفظ - ثم خلق السموات والأرض»^(٢) .

وقد قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى (٢٦٥٣) من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء (٧٤١٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٣٤ .

والله يعلم ما كان قبل أن يكون، وقد كتب ذلك، فهو يعلم أن هذا يموت مقتولاً: إما بالسم وإما بالحجر وإما بغير ذلك، من أسباب القتل.

وعلم الله بذلك وكتبته له، بل مشيئته لكل شيء، وخلق له لكل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب، بن القاتل: إن قتل قتيلاً أمر الله به ورسوله، كالسجاء في سبيل الله أثابه الله على ذلك، وإن قتل قتيلاً حرمه الله ورسوله كقتل القطاع والمعتدين عاقبه الله على ذلك، وإن قتل قتيلاً مباحاً - كقتل المقتص - لم يشب ولم يعاقب إلا أن يكون له نية حسنة، أو سيئة في إحداهما.

والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: «من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأله في أثره، فليصل رحمه»^(١).

فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً وقال: «إن وصل رحمه زدته كذا وكذا» والملك لا يعلم أيزداد أم لا؟، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر.

ولو لم يقتل المقتول، فقد قال بعض القدرية، إنه كان يعيش، وقال بعض نفاة الأسباب: إنه يموت، وكلاهما خطأ، فإن الله علم أنه

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب من أحب البسط في الرزق (٢٠٦٧) ومسلم في البر والصلة باب صلة الرحم (٢٥٥٧) وأبو داود من كتاب الزكاة (١٦٩٣)، وأحمد (١٣١٧٣).

يموت بالقتل، فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديراً لما لا يكون لو كان كيف يكون، وهذا قد يعلمه بعض الناس، وقد لا يعلمه، فلو فرضنا أن الله علم أنه لا يقتل أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت، وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر، فالحزم بأحد هذين على التقدير لا يكون إلا جهلاً^(١).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة من القول بأن المقتول قطع عليه أجله ليس على إطلاقه فليسوا كلهم على هذا القول:

قال الأشعري: «واختلف المعتزلة في الآجال على قولين:

فقال: أكثرهم: الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه، أو يقتل، فإذا قتل قتل بأجله، وإذا مات مات بأجله^٢.

وشدّ قوم من جهالهم فزعموا أن الوقت الذي في معلوم الله سبحانه، أن الإنسان لو لم يقتل لبقي إليه هو أجله، دون الوقت الذي قتل فيه»^(٢).

وقال القاضي عبد الجبار: «اعلم أن من مات حتف أنفه مات بأجله، وكذا من قتل فقد مات بأجله أيضاً، ولا خلاف في هذا.

والدليل عليه، أن الأجل ليس المراد بها هنا إلا وقت الموت،

(١) الفتاوى (٥١٦/٨ - ٥١٨).

(٢) المقالات (٣٢١/١).

وهما قد مات جميعاً في وقت موتهما، وإنما الخلاف في المقتول لو لم يقتل كيف يكون حاله في الحياة والموت؟ فعند شيخنا أبي الهذيل أنه كان يموت قطعاً لولاه، وإلا يكون القتل قاطعاً لأجله وهذا غير ممكن، وعند البغدادية أنه كان يعيش قطعاً والذي عندنا أنه كان يجوز أن يحيا ويجوز أن يموت ولا يقطع على واحد من الأمرين فليس إلا التجويز^(١).

* * *

(١) شرح الأصول الخمسة (٧٨٢).

يسأل: عن الغلاء والرخص هل هما من الله^(١) أم^(٢) من الخلق؟

فإن قال: هما^(٣) من الله، فهو سني.

وإن قال: من الخلق، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾^(٤) الآية.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُئُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا﴾^(٥). وأيضاً ما روي أن الصحابة رضي الله عنهم قالت يا رسول الله سعر لنا فقال: «إن الله هو المسعر والقابض والباسط»^{(٦)(٧)}.

F

(١) في م: زيادة «تعالى».

(٢) الصواب: «أو».

(٣) «هما» ليست في م.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٣٢.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٣٣.

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب البيع باب: التسعير ح (٣٤٥١) وابن ماجه في كتاب التجارات باب: من كره أن يستخرج (٢٢٠٠) والترمذي في كتاب البيوع باب: ما جاء في التسعير ح (١٣١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (١٣٦٤٣) (١٢١٨١) والدارمي في كتاب البيوع (٢٥٤٥) كلهم من حديث أنس بن مالك وإسناده صحيح.

(٧) من قوله: «دليلنا... إلى قوله... والباسط» ليست في م.

دراسة المسألة:

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الغلاء والرخص هل هما من الله

أو لا؟

فأجاب: «جميع ما سوى الله من الأعيان وصفاتها وأصولها مخلوقة لله، مملوكة، هو ربها وخالقها ومليكتها ومدبرها، لا رب لها غيره، ولا إله لها سواه، له الخلق والأمر لا شريك له في شيء من ذلك، ولا معين، بل هو كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُوكَ مِنْ ثِقَالِ ذَرْقٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (١) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» (١).

حتى قال: وحيث: فالغلاء بارتفاع الأسعار، والرخص بانخفاضها، هما من جملة الحوادث التي لا خالق لها إلا الله وحده، ولا يكون شيء منها إلا بمشيئته وقدرته لكن هو سبحانه قد جعل بعض أفعال العباد سبباً في بعض الحوادث.

كما جعل قتل القاتل سبباً في موت المقتول، وجعل ارتفاع الأسعار قد يكون بسبب ظلم العباد، وانخفاضها قد يكون بسبب إحسان بعض الناس، ولهذا أضاف من أضاف من القدرية والمعتزلة وغيرهم الغلاء والرخص إلى بعض الناس.

وبنوا على ذلك أصولاً فاسدة:

أحدها: أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله .

والثاني: أن ما يكون فعل العبد سبباً له يكون العبد هو الذي أحدثه .

والثالث: أن الغلاء والرخص إنما يكون بهذا السبب .

ثم قال في إبطال هذه الأصول: «وهذه الأصول باطلة فإنه قد ثبت أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، ودلت على ذلك الدلائل الكثيرة السمعية والعقلية، وهذا متفق عليه بين سلف الأمة وأئمتها، وهم مع ذلك يقولون: إن العباد لهم قدرة ومشية، وأنهم فاعلون لأفعالهم، ويثبتون ما خلقه الله من الأسباب وما خلق من الحكم حتى قال:

والأصل الثاني: وهو أن ما كان فعل العبد أحد أسبابه: كالشبع الذي يكون بسبب الأكل، وزهوق النفس الذي يكون بالقتل، فهذا جعله أكثر المعتزلة فعلاً للعبد.

والجبرية لم يجعلوا لفعل العبد فيه تأثيراً، بل ما تيقنوا أنه سبب، قالوا: إنه عنده لا به، وأما السلف والأئمة فلا يجعلون العبد فاعلاً لذلك، كفعله لما قام به من الحركات، ولا يمنعون أن يكون مشاركاً في أسبابه، وأن يكون الله جعل فعل العبد مع غيره أسباباً في حصول مثل ذلك .

وقد ذكر الله في كتابة النوعين بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ ۝١٢٠ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٢١﴾ (١).

والإنفاق والسير هو نفس أعمالهم القائمة، فقال فيها: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾، ولم يقل إلا كتب لهم به عمل صالح، فإنها نفسها عمل، فنفس كتابتها يحصل به المقصود، بخلاف الظمأ والنصب والجوع الحاصل بغير الجهاد، بخلاف غيظ الكفار بما نيل منهم، فإن هذه ليست نفس أفعالهم، وإنما هي حادثة عن أسباب منها أفعالهم فلهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ (٢).

فتبين أنما يحدث من الآثار عن أفعال العباد لهم بها عمل، لأن أفعالهم كانت سبباً فيها.

ثم قال: والأصل الثالث: أن الغلاء والرخص لا تنحصر أسبابه في ظلم بعض، بل قد يكون سببه قلة ما يخلق، أو يجلب من ذلك المال المطلوب، فإذا كثرت الرغبات في الشيء وقل المرغوب فيه: أرتفع سعره، فإذا كثرت قلت الرغبات فيه انخفض سعره، والقلة والكثرة قد لا تكون بسبب من العباد وقد تكون بسبب لا ظلم فيه، وقد تكون

(١) سورة التوبة، آيتان: ١٢٠، ١٢١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

بسبب فيه ظلم، والله تعالى يجعل الرغبات في القلوب فهو سبحانه كما جاء في الآثر: قد تغلوا الأسعار والأهواء غداء، وقد ترخص الأسعار والأهواء فقار^(١).

أما ما استدل به المؤلف على أن الغلاء والرخص من الله فقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾^(٢) أن يقال: إن في هذه الآية دليلاً على أن ما يحصل من رخاء العيش وسهولته وحصول الأرزاق، أن كل ذلك بيد الله فهو الذي يفعل ذلك كله، ومن ذلك الغلاء والرخص، فالغلاء والرخص إنما سببها قلة الشيء وكثرته، فإذا قل حصل الغلاء وإذا كثر حصل الرخص.

وقوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾^(٣) أن يقال إنه يحصل بكثرة هذه الأمور الرخص والله أعلم.

ما نسبة المؤلف إلى المعتزلة قال به بعضهم.

قال القاضي أبو يعلى الحنبلي: «والغلاء والرخص من قبل الله، لا من قبل الخلق، خلافاً لبعض المعتزلة وغيرهم من الملحدة في قولهم: إن ذلك من قبلنا، وخلافاً للمنجمين في قولهم: إن ذلك من آثار

(١) الفتاوى (١/٥١٩-٥٢٣).

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣٢.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٣٣.

الكواكب»^(١).

وقال الجويني: «والأسعار كلها جارية على حكم الله تعالى، وهي إثبات أقدار أبدال الأشياء إذ السعر يتعلق بما لا اختيار للعبد فيه، من عزة الوجود والرخاء، وصرف الهمم والدواعي وتكثير الرغبات وتقليلها، وما يتعلق فيها باختيار العباد، فهو أيضاً فعل الله تعالى، إذ لا مخترع سواه، وأطلقت المعتزلة القول بأن السعر من أفعال العباد»^(٢).

ومما يدل أن المعتزلة ليس كلهم على هذا القول قول القاضي عبد الجبار: «إن الغلاء والرخص ربما يكون من قبل الله تعالى، وربما يكون من قبل السلطان، ما يكون من قبل الله تعالى هو أن يقل ذلك الشيء وتكثر حاجة المحتاجين إليه، أو يكثر ذلك الشيء وتقل حاجة المحتاجين إليه.

وأما ما يكون من قبل السلطان فهو أن يسوم رعيته أن لا يبيعوا إلا بقدر معلوم.

وإذا عرفت ذلك وسُئلت عن الأسعار أهى بقضاء الله وقدره أم لا؟

قلت: نعم ولم تحتج فيه إلى التقييد الذي مرّ في نظائره»^(٣).

(١) المعتمد (١٥٢).

(٢) الإرشاد (٣٦٧).

(٣) شرح الأصول الخمسة (٧٨٨).

يسأل: عن المعراج^(١) هل عرج^(٢) بالنبي^(٣) ﷺ يقظة^(٤) أو^(٥) مناماً؟

فإن قال: يقظة، فهو سني.

وإن قال: مناماً^(٦)، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٧) الآية.

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٨).

وقوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(٩).

وقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾^(١٠) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى^(١١).

يعني: ما كذب بما رأى عيناه أعياناً^(١٢) بلا ترجمان ولا واسطة فكلمه وقربه وأدناه لقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(١٣) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا

(١) في م: «معراج».

(٢) «هل عرج» ليست في م.

(٣) في م: «النبي».

(٤) في م: «هل كان يقظة».

(٥) في م: «أم».

(٦) في م: «كان مناماً».

(٧) سورة الإسراء، آية: ١.

(٨) سورة النجم، آية: ٩.

(٩) سورة النجم، آية: ١١.

(١٠) سورة النجم، الآيتان: ١٧، ١٨.

(١١) الصواب: «أعياناً: أي رآه بعينه كما في مختار الصحاح مادة «عيا» (٢٢٣).

أَوْحَىٰ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ .

* * *

- (١) سورة النجم، آية: ٩، ١٠ .
(٢) من قوله: «دليلنا» . . إلى قوله: «ما أوحى» ليست في م .

دراسة المسألة :

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الإسراء والمعراج حق، وأنه أسري بالرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء بروحه وجسده يقظة لا مناماً.

قال الحافظ تقي الدين المقدسي: «وأجمع القائلون بالإخبار والمؤمنون بالآثار أن رسول الله ﷺ أُسْرِيَ به إلى فوق سبع سموات ثم إلى سدرة المنتهي، أُسْرِيَ به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم مسجد بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء بجسده وروحه جميعاً، ثم عاد من ليلته إلى مكة قبل الصبح»^(١).

وقال الطحاوي - رحمه الله -: «والمعراج حق، وقد أسري بالنبی ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلى، وأكرمه بما شاء، وأوحى ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه في الآخرة والأولى»^(٢).

قال الآجري: «ومما خص الله عز وجل به النبي ﷺ مما أكرمه به وعظم شأنه زيادة منه له في الكرامات، أنه أسرى بمحمد ﷺ بجسده وعقله حتى وصل إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السموات، فرأى

(١) عقيدة الحافظ تقي الدين عبد الغني المقدسي (٨٠) نشر دار الإفتاء.

(٢) شرح الطحاوية (٢٤٥).

من آيات ربه الكبرى، رأى ملائكة ربه - عز وجل - ورأى إخوانه من الأنبياء حتى وصل إلى مولاه الكريم، فأكرمه بأعظم الكرامات، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات، وذلك في ليلة واحدة ثم أصبح بمكة سرّ الله الكريم به أعين المؤمنين، وأسخر به أعين الكافرين وجميع الملحدين»^(١).

قال السفاريني: «والذي ذهب إليه أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين أنهما كانا يقظة بالروح والجسد جميعاً لا في المنام»^(٢).

ومن الأدلة الظاهرة في أن الإسراء والمعراج بالروح والجسد يقظة لا مناماً:

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣).

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: «قال بعض العلماء قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾».

سبحانها هنا للتعجب، فوجب أن يعمل على ما هو أعجب، ولو كان عرج بروحه هنا دون بدنه لم يكن فيه كبير عجب، لأن الرجل قد يرى في منامه عرج به إلى السماء، فإذا أخبر به لم يتعجب منه ولم

(١) الشريعة (٣٠٥/٢) ت الوليد بن محمد الناصر. ط قرطبة.

(٢) لوامع الأنوار (٢٨٨/٢).

(٣) سورة الإسراء، آية: ١

ينسب إلى الكذب.

وقال أبو حامد المقرئ: لو كان في النوم لما كان دلالة على النبوة إذ مثل ذلك جائز على غير الأنبياء أن يروها في النوم، ولا معنى لرد ما تظاهرت به الأخبار^(١).

قال الآجري: «أسري بمحمد ﷺ بجسده وعقله، لا أن الإسراء كان مناماً وذلك أن الإنسان لو قال وهو بالمشرق، رأيت البارحة في النوم كأني بالمغرب لم يرد عليه قوله ولم يعارض، وإذا قال: كنت ليلتي بالمغرب، لكان قوله كذباً، وكان قد تقول بعظيم إذا كان مثل ذلك البلد غير واصل إليه في ليلته لا خلاف في هذا، فالنبي ﷺ لو قال لأبي جهل ولسائر قومه: رأيت في المنام كأني ببیت المقدس على المنام لقبولوا منه ذلك ولم يتعجبوا من قوله، ولقالوا له صدقت، وذلك أن الإنسان قد يرى في النوم كأنه في أبعد مما أخبرتنا ولكنه لما قال لهم ﷺ: أسري بي الليلة إلي بيت المقدس، كان خلافاً للمنام عند القوم وكان هذا في اليقظة بجسده وعقله»^(٢).

لم أجد من نسب هذا القول إلى المعتزلة ولم أجد في كتبهم التصريح بوقوعه، ونسب أبو الخطاب بن دحية إلى المعتزلة القول بأن الإسراء بالروح فقط^(٣).

(١) الحجة في بيان المحجة (١/٥١١-٥١٢).

(٢) الشريعة (٢/٣١٢-٣١٣).

(٣) انظر الإبتهاج في أحاديث المعراج (١٤) ط الخانجي ت رفعة فوزي عبدالمطلب.

يسأل: عن حوض نبينا - عليه السلام - هل يكون في الساهرة^(١).

فإن قال يكون في عرصات القيامة، فهو سني.

وإن أنكره، فهو معتزلي شكاك طاع^(٢).

دليلنا: قوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣) وأيضاً قوله ﷺ: «حوضي ما بين عدن وعمان»^{(٤)(٥)}.

* * *

- (١) كتب في الهامش: «في الساهرة قبل جواز الصراط وقيل بعد جواز على الصراط».
- (٢) في م: «يسأل عن الحوض المكرم به نبينا ﷺ هل هو في الموقف أم لا؟ فإن آمن به، فهو سني. وإن أنكره فهو بدعي».
- (٣) سورة الأعراف، آية: ٥٠. وليس في الآية دليل على إثبات الحوض فهي ذكر حال أهل النار إذا دخلوها.
- (٤) أخرجه أحمد في المسند من حديث ثوبان (٢١٨٦٢) ومن حديث ابن عمر (٦١٢٧) بإسناد صحيح والطيالسي (٩٩٥) من حديث ثوبان والحاكم (٧٣٤٧) وصححه من حديث ثوبان وابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائي (٤٥٩) والطبراني في الأوسط (٣٩٨) والكبير (١٤٤٣) من حديث ثوبان وفي الكبير (٧٥٤٦) من حديث أبي أمامة
- (٥) من قوله: «دليلنا... إلى قوله: وعمان» ليست في م.

دراسة المسألة :

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن للنبي ﷺ حوضاً ترده أمته كما صحت الأحاديث بذلك، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظماً أبداً، وأنه يكون في عرصات يوم القيامة .

قال ابن حجر العسقلاني: «روى أحاديث الحوض عن النبي ﷺ من الصحابة ما ينيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما يزيد على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك»^(١).

وقال الزبيدي في «لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواتر»: «رواه من الصحابة خمسون نفساً ثم ذكرهم . .»^(٢).

وقال السيوطي: «ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً، منهم الخلفاء الأربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون - رضي الله عنهم -، ثم ذكر الأحاديث . .»^(٣).

منها: قوله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه

(١) الفتح (٧٤٥/١١).

(٢) لقط اللآلي المتناثرة (٢٥١).

(٣) البدور السافرة (١٦٤).

لا يظماً أبداً»^(١).

ومنها: ما روى مسلم في صحيحه عن أنس - رضي الله عنه - قال: «بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغفى إغفائه ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت علي آناً سورة، فقرأ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، يختلج العبد منهم، فأقول: يارب! إنه من أمتي، فيقال: أما تدري ما أحدثوا بعدك»^(٢).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة من إنكار الحوض في عرصات يوم القيامة، وافقه على هذه النسبة السفاريني في لوامع الأنوار فقال: «خالفت المعتزلة فلم تقل بإثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة فكل من خالف في إثباته فهو مبتدع»^(٣).

والإسفرائيني في التبصرة فقال: «فأنكروا - المعتزلة - من مفاخر رسول الله ﷺ ما كان مختصاً به زائداً على الأنبياء كوجود المعراج، وثبوت الشفاعة له يوم القيامة ووجود حوض الكوثر»^(٤).

ولم أجد في كتبهم التصريح بإنكاره أو إثباته.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض (٦٥٧٩)، ومسلم في كتاب

الفضائل، باب إثبات الحوض (٢٢٩٢) كلهم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية. (٤٠٠).

(٣) لوامع الأنوار (٢٠٢).

(٤) التبصرة في أصول الدين (٦٣) ط الخانجي ١٣٧٤هـ.

يسأل^(١) عن سنن النبي ﷺ هل هو^(٢) وحي من الله تعالى أم^(٣) قاله^(٤) من تلقاء نفسه؟؟

فإن قال: من الله فهو سني، وإن قال: غيره، فهو أشعري زنديق^(٥).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدٌ﴾^(٦).

وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا﴾^(٧).

وقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^{(٨)(٩)}.

(١) في م: يسأل عن سنة الرسول ﷺ هل هي مخلوقة أو منزلة [الأصح منزلة] غير مخلوقة؟ فإن قال: منزلة غير مخلوقة، فهو سني. وإن قال: مخلوقة فهو بدعي. وإن قال: لفظها مخلوق ومعناه قديم فهو أشعري.

(٢) هكذا في الأصل ولعل الصواب: «هي».

(٣) الصواب: لغة «أو».

(٤) هكذا في الأصل ولعل الصواب: (قالها).

(٥) نسبة الزندقة إلى الأشاعرة ليست من العدل فالزندقة: اسم يطلق على المجوس في أول الأمر ثم بعد ذلك صار يطلق على من ادعى الإسلام ظاهراً وأبطن غيره، قال الإمام أحمد: الزنادقة الذين ينتحلون الإسلام وهم على غير ذلك.

انظر أحكام الملل (٢٠٤) الخلال، وفتح الباري (١٢/ ٢٧٠).

(٦) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

(٧) سورة الحشر، آية: ٧.

(٨) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٩) من قوله: «دليلنا... إلى قوله: ... فقد أطاع الله» ليست في م.

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن أقوال النبي ﷺ وأفعاله وحي من الله - تعالى - كما أخبر الله بذلك فقال: ﴿وَمَا يَطُّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

وقوله ﷺ: «ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك أن يقعد الرجل متكئاً على أريكته، يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمنا، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ ۚ وَمَا تَنهَىٰ عَنْهُ فَأَنتهَىٰ﴾^(٣).
وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾^(٤).
وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

(٢) أخرجه أبو داود في كتب السنة (٦٤٠٤) والترمذي في كتاب العلم (٢٦٦٤) وابن ماجه في المقدمة (١٢) وأحمد (١٦٧٢٢) من حديث المقدم بن معدي كرب وإسناده صحيح.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٥.

الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢) .

وأهل العلم على أن الرد إلى الله في الآية هو إلى كتابه والرد إلى رسوله هو الرد إلى سنته ﷺ .

قال ابن حزم : «المراد بالرد المذكور في الآية : إنما هو إلى كلام الله - تعالى - وهو القرآن وإلى كلام نبيه ﷺ المنقول على مرور الدهر إلينا جيلاً بعد جيل» (٣) .

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (٥) .

قال ابن القيم : «أخبر سبحانه : أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله ، ومن تخير بعد ذلك ، فقد ضل ضلالاً مبيناً» (٦) .

(١) سورة النساء، آية : ٦١ .

(٢) سورة النساء، آية : ٥٩ .

(٣) الإحكام (٩٧/١) .

(٤) سورة الأحزاب، آية : ٢١ .

(٥) سورة الأحزاب، آية : ٣٦ .

(٦) إعلام الموقعين (٥٧/١) .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

وقد أجمع الصحابة ومن بعدهم من سلف هذه الأمة على العمل بسنة الرسول ﷺ، في وقائع كثيرة لا تحصى من غير خلاف بينهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً على وجوب اتباع الرسول، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله» (٢).

ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة ليس بصواب فيما يوجد في كتبهم من الاستدلال بسنة الرسول ﷺ القولية والعملية.

قال الباقلاني: «ومما يدل على جواز الغفران لعصاة أهل الملة ما ورد من الأخبار الثابتة المتظاهرة في إثبات شفاعة الرسول ﷺ في أهل الكبائر...» (٣).

وقال الجويني: «... وقد تواترت الأخبار باستعاذة الرسول ﷺ بربه من عذاب القبر ونقل آحاد من الأخبار في ذلك تكلف، ثم لم يزل ذلك مستفيضاً في السلف الصالحين قبل ظهور أهل

(١) سورة النحل، آية: ٤٤

(٢) رفع الملام عن الأئمة الأعلام (٢٢).

(٣) التمهيد (٣٦٥) ط مكارثي.

البدع»^(١).

فمن هذه النقول نعلم أن الأشاعرة يقولون بحجية السنة وأنها من الوحي.

وإنما فارق الأشاعرة السلف في أخبار الآحاد فقالوا إنها لا توجب العلم.

قال الجويني: «وكل خبر لم يبلغ مبلغ التواتر فلا يفيد علماً بنفسه إلا أن يقترن به ما يوجب تصديقه - مثل أن يوافق دليلاً عقلياً - أو تؤيده معجزة...»^(٢).

فيرى الأشاعرة أنه يوجب العمل ولا يوجب العلم قال الجويني: «خبر الآحاد هو الذي يوجب العمل، ولا يوجب العلم لاحتمال الخطأ فيه»^(٣).

وقال الباقلاني: «... إن الفقهاء والمتكلمين قد تواضعوا على تسمية كل خبر قصر عن إيجاب العلم بأنه خبر واحد، وسواء عندهم رواه الواحد أو الجماعة التي تزيد على الواحد، وهذا الخبر لا يوجب العلم على ما وصفناه أولاً ولكن يوجب العمل»^(٤).

ويترتب على قولهم بأن خبر الآحاد لا يفيد العلم بنفسه عدم قبول

(١) الإرشاد (٣٧٥) م الخانجي.

(٢) الإرشاد (٤١٦).

(٣) الورقات (١١) مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر.

(٤) التمهيد (٣٨٦) ط مكارثي.

الاحتجاج به في قضايا العقيدة، التي يزعمون أن أخبار الآحاد فيها تخالف العقل.

وعلى هذا الأصل الباطل قال الجويني:

«وأما الصفات التي يتمسكون بها فأحد لا تفضي إلى العلم، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغاً، لكننا نؤمىء إلى تأويل ما دون منها في الصحاح»^(١).

* * *

(١) الإرشاد (١٦١).

يسأل: عن [أسماء الله - تعالى - هل هي] ^(١)^(٢) قديمة ^(٣) أم محدثة؟

فإن قال: قديمة، فهو سني ^(٤).

وإن قال: محدثة، فهو معتزلي، ^(٥) وجهمي ^(٦).

وإن قال: أسماء الذات قديمة وأسماء الأفعال محدثة، ^(٧) فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ^(٨)، ﴿يَسِيحُ لَهُمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ^(٩).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ

(١) ما بين قوسين شطب من أصل المخطوطة، وأثبتته، لأن المعنى لا يتم إلا به.

(٢) في م: «أسماء البارئ جل جلاله».

(٣) في م: «هل هي قديمة».

(٤) «فإن قال: قديمة، فهو سني» ليست في م.

(٥) في م: «فهو بدعي».

(٦) «جهمي» ليست في م.

(٧) في الهامش: كتب «وأسماء الذات مثل الصمد... وأسماء الأفعال مثل الخالق

والرازق» وكتب «بن مندة» [يعني أن هذا مستفاد من كلام ابن مندة].

في المخطوطة م: كتب «كقوله أحد فرد صمد وغير ذلك وأسماء الأفعال كقولك خالق

ورازق ومحى ومميت وما كان في معناه» تبصره [يعني أن هذا من كلام المؤلف في

التبصرة].

(٨) سورة طه، آية: ٨.

(٩) سورة الحشر، آية: ٢٤.

الْحَقُّ (١).

والأسماء كلها قديمة وما (٢) فيها محدثة (٣).

* * *

(١) سورة الإسراء، آية: ١١٠.

(٢) كتب في أصل المخطوطة «جحد» ولم أتبين معناها.

(٣) من قوله: «دليلنا... إلى قوله... محدثة» ليست في م

دراسة المسألة :

ما قرره المؤلف من أن أسماء الله تعالى قديمة، يعني بذلك أنها غير مخلوقة وأن الله لم يزل مسمى به في الأزل.

ووصفها بالقدم في باب المقابلة لمن قال: إنها لم يكن مسمى بها حتى خلقها فسمى بها نفسه، الذي يظهر لي أنه لا شيء فيه.

قال شيخ الإسلام: «إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك، فقل في تحقيق الإثبات بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل ليس بشيء، فقل بل هو شيء، فهذا سائغ»^(١).

وقد أنكر السلف على من قال إن أسماء الله مخلوقة.

قال أبو داود السجستاني: «سمعت أحمد ذكر له رجل أن رجلاً قال: إن أسماء الله مخلوقة والقرآن مخلوق، قال: أحمد: كُفر بَيِّن»^(٢).

وقال الإمام الشافعي:

«من حلف باسم من أسماء الله فحنث، فعليه الكفارة، لأن اسم الله غير مخلوق»^(٣).

(١) الفتاوى (٣٠١/٩).

(٢) عقائد السلف ص ١٠٤ جمع النشار والطالبي.

(٣) مناقب الشافعي (٤٠٣/١ - ٤٠٤) دار التراث ١٣٩١ هـ.

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: «أرأيتم قولكم: إن أسماء الله مخلوقة، فمن خلقها؟ أو كيف خلقها؟ أجعلها أجساماً وصوراً تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء؟ أم موضعاً دونه من الهواء؟

فإن قلتم: لها أجسام دونه، فهذا مما تنقمه عقول العقلاء.

وإن قلتم: خلقها على السنة العباد، فدعوه بها، وأعاروه إياها، فهو ما ادعينا عليكم: أن الله كان بزعمكم مجهولاً لا اسم له حتى أحدث الخلق، وأحدثوا له اسماً من مخلوق كلامهم، فهذا هو الإلحاد بالله وأسمائه والتكذيب بها...»^(١).

والرد على الجهمية الذين يقولون الأسماء مخلوقة جر إلى البحث في مسألة الاسم هل هو عين المسمى أو غيره؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود هنا أن المعروف عن أئمة السنة إنكارهم على من قال أسماء الله مخلوقة، وكان الذين يطلقون القول بأن الاسم غير المسمى هذا مرادهم...، ولم يعرف أيضاً عن أحد من السلف أنه قال الاسم هو المسمى، بل هذا قاله كثير من المنتسبين إلى السنة بعد الأئمة وأنكره أكثر أهل السنة عليهم.

ثم منهم من أمسك عن القول في هذه المسألة نفياً وإثباتاً، إذ كل

(١) رد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد (١٠-١٢) دار الكتب العلمية.
ت/ محمد الفقي.

من الإطلاقين بدعة كما ذكره الخلال عن إبراهيم الحربي وغيره، وكما ذكره أبو جعفر الطبري...»^(١).

قال الإمام ابن جرير الطبري: «أما القول في الاسم أهو المسمى أم غير المسمى؟ فإنه من الحماقات الحادثة، التي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول من إمام فيستمع، فالخوض فيه شين، والصمت عنه زين»^(٢).

والتحقيق في هذه المسألة: ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وأما الذين يقولون: إن الاسم للمسمى كما يقوله أكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾»^(٣).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾»^(٤).

وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً»^(٥).

وقال النبي ﷺ: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأحمد، والناحي، والعاقب، والحاشر»^{(٦)(٧)}.

(١) مجموع الفتاوى (١٨٧/٦).

(٢) صريح السنة (٢٦) ت بدر المعنوق دار الخلفاء، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٠.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١١٠.

(٥) أخرجه البخاري باب ما يجوز من الاشتراط (٢٧٣٦) ومسلم في كتاب الذكر باب: في أسماء الله تعالى (٢٦٧٧).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب: في أسمائه (٢٣٥٤).

(٧) الفتاوى (٢٠٧/٦).

وهذا القول الذي قرره شيخ الإسلام يوافق منهج أهل السنة والجماعة في عدم إطلاق الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة وتحمل معنيين حقاً وباطلاً، فإذا سأل سائل: الاسم هو المسمى أم غيره؟ أجابوا.

أولاً: أن هذه المسألة حادثة لم ترد في الكتاب والسنة، ولم ترد عن السلف الصالح.

ثانياً: أن هذا السؤال فيه إجمال، فلا يجاب بإطلاق، وإنما يفصل في ذلك ويقال: «الاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله: اسم عربي، والرحمن: اسم عربي، والرحمن من أسماء الله - تعالى -، ونحو ذلك، فالاسم هنا للمسمى، ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال، فإذا أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى»: (١).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة والجهمية من القول بأن الأسماء مخلوقة وافقه على هذه النسبة جمع من أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والجهمية يقولون كلامه مخلوق

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١٣١) ومجموع الفتاوى (٢٠٧/٦).

وأسماءه مخلوقة»^(١).

قال الأشعري: «قال قائلون: أسماء الباري هي غيره وكذلك صفاته، وهذا قول المعتزلة والخوارج وكثير من المرجئة وكثير من الزيدية»^(٢).

وقال القاضي أبو يعلى: «.. خلافاً للمعتزلة في قولهم أسماء الله تعالى غيره وهي مخلوقة»^(٣).

وقال ابن القيم: «... وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون غيره وهي مخلوقة»^(٤).

ما نسب المؤلف إلى الأشاعرة اختلفت أقوال الأشاعرة فيه على قولين:

الأول قال به أبو الحسن الأشعري والجويني.

قال الجويني: «قسم شيخنا - رضي الله عنه -، أسماء الرب - سبحانه وتعالى - ثلاثة أقسام.

وقال من أسمائه ما نقول: إنه هو هو، وهو كل ما دلت التسمية به على وجوده، ومن أسمائه ما نقول إنه غيره، وهو كل ما دلت التسمية به على فعل كالخالق والرازق، ومن أسمائه ما لا يقال إنه هو ولا يقال

(١) الفتاوى (١٨٦/٦).

(٢) المقالات (٢٥٣/١).

(٣) المعتمد (٧٠).

(٤) بدائع الفوائد (١٤/١).

إنه غيره، وهو كل ما دلت التسمية به على صفة قديمة كالعالم والقادر.

وذكر بعض أئمتنا أن كل اسم هو المسمى بعينه، وصار إلى أن الرب - سبحانه وتعالى - إذا سمي خالقاً فالخالق هو الاسم، وهو الرب - تعالى -، وليس الخالق اسماً للخلق، ولا الخلق اسماً للخالق، وطرد ذلك في جميع الأقسام، والمرضى عندنا طريقة شيخنا^(١).

الثاني: قال به الباقلاني وابن فورك أن الاسم هو المسمى بذاته وعينه.

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن الاسم هو المسمى بعينه وذاته، والتسمية الدالة عليه تسمى اسماً على سبيل المجاز»^(٢).

وقال: «قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»^(٣) فالعدد في ذلك راجع إلى التسميات التي هي عبارات الاسم»^(٤).

قال ابن فورك: «والذي هو الحق عندنا قول من قال: اسم الشيء هو عينه وذاته، واسم الله هو الله، وتقدير قول القائل: بسم الله أفعل، أي بالله أفعل وأن اسم هو هو»^(٥).

(١) الإرشاد (١٤٣-١٤٤) م الخانجي.

(٢) الإنصاف (٦٠).

(٣) تقدم تخريجه ٣٣٠.

(٤) الإنصاف (٦١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى شيخ الإسلام (١٩٠/٦)، ولم أجد كلامه في كنه المطبوعة

وأنت ترى من هذه النقول أن منهم من يفرق بين أسماء الذات فيقول الاسم هو المسمى، وأسماء الفعل فيقول الاسم غير المسمى، إلا أنني لم أر منهم التصريح بأن أسماء الأفعال مخلوقة إلا البغدادي في كتابه أصول الدين، فقد قال كلاماً يفهم منه أن أسماء الفعل مخلوقة.

فقال «وجملة أسمائه قسمان مشتق وغير مشتق، فالمشتق منها نوعان: أحدهما مشتق من صفة له قائمة بذاته، وهذا النوع منه اسم له أزلي كالقادر والعالم والحي والسميع والبصير والمريد والمتكلم، والثاني مشتق له من فعله كالخالق والرازق والمنعم ونحو ذلك، والثاني مشتق له من فعل غيره كمعبود ومشكور ونحو ذلك، وكل ما كان مشتقاً من فعل فليس من أسمائه الأزلية»^(١).

* * *

(١) أصول الدين (١١٧-١١٨) ط التركية ١٣٤٦هـ.

يسأل: عن المبتدعة هل هم كفار أم^(١) فساق؟

فإن قال: كفار، فهو سني.

وإن قال: فساق، فهو أشعري، وبدعي، ومن شك أيضاً في كفرهم فهو أيضاً كافر^(٢).

دلينا: ما روى أبو سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لعن أربعة على لسان سبعين نبياً قلنا: من هم يا رسول الله؟ قال: القدريّة والمرجئة والجهمية والرافضة»^{(٣)(٤)(٥)}.

(١) في م: «أو».

(٢) «من شك في كفرهم فهو أيضاً كافر» ليست في م.

(٣) كتب في الهامش: «قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ قال... هم أهل البدع. «معالم» قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال ابن عباس هو تبيض وجه أهل السنة وتسويد وجه أهل البدع. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ قال بعضهم المبتدعة من هذه الأمة.

وقال أبو أمامة وعبدالله بن شداد هم الحرورية، كتب في الهامش: والجهمي منسوب إلي جهم بن صفوان، لعنه الله.؟

وقال أبو أمامة: كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، وقرأ ﴿... أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ كتب في الهامش: معالم التنزيل للبغوي. [انظر: معالم التنزيل (٣٣٩/١) ط دار المعرفة].

(٤) قال رسول الله ﷺ: كل الناس ناجون يوم القيامة غير آمن من سب أصحابي وأهل الموقف يلعنونه وقال ﷺ النجاة الصلاة على الميت فرض على الكفاية. الرد على المبتدعة من كتب [هكذا في المخطوطة].

(٥) أخرجه الطبراني (٢٣٢) (١١٧/٢٠) في المعجم الكبير وفي مسند الشاميين رقم (٤٠٠) (٢٢٤/١) والخطيب في الموضح (٦/٢) وابن أبي عاصم في السنة (٣٢٥) والبيهقي في الاعتقاد (٢٣٧) كلهم من حديث معاذ قال الهيثمي في المجموع (٢٠٤/٧) فيه بقية بن الوليد وهو لبن ويزيد بن الحصين لا أعرفه

وقال عليه السلام: «القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة»^(١).

وقال: «ستفترق أمتي بعدي على ثلاث وسبعين، فرقة منها ناجية، والباقون في النار لا يخرجون أبداً»^(٢).

= وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه الآجري في الشريعة (١٤٨) والبيهقي في الاعتقاد وهو ضعيف، وليس في طرقه ذكر للجهمية والرافضة.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١) وأحمد (٦٠٧٧) (٢٣٥٠٣) والحاكم (٢٨٦) والبيهقي في السنن (٢٠٦٥٨) كلهم من حديث عبدالله بن عمر، وأخرجه البيهقي في السنن (٢٠٦٥٩) من حديث حذيفة بن اليمان والطبراني في مسند الشاميين (٥٦٦) من حديث أبي هريرة وليس في طرقه ذكر للمرجئة؟ قال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٥٨/٧) «إسناده منقطع أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر وقد روي هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس فيها شيء يثبت».

(٢) حديث الافتراق روي من طرق عدة فقد أخرجه الآجري في الشريعة (٢٨/١) وابن بطه في الإبانة (٢٦٤) والحاكم (٢٩/أ) والتميمي في الحجة (١٠٦/١) واللالكائي في شرح السنة (١٤٦، ١٤٧) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وأخرجه أبو داود (٤٥٩٧) والبيهقي في الدلائل (٥٤٢/٦) والطبراني في الكبير (٣٧٦/١٩) وفي مسند الشاميين (١٠٠٥) والحاكم (١٢٨/١) من حديث معاوية.

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) (١٢٠٧٠) والخطيب في شرف أصحاب حديث (٤١) ص ٢٤ من حديث أنس وأخرجه أبوداود (٤٥٩٦) وابن ماجه (٣٩٩١) وأحمد (٢٧٥١٠) من حديث أبي هريرة.

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢) وابن أبي عاصم في السنة (٦٣) وابن بطه في الإبانة (٢٧٢) من حديث عوف بن مالك.

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٥٤/٧) وأبونعيم في أخبار أصفهان (٢٨٦/١) وأبو عمر الداني في الفتن (٢٨٥) من حديث أبي أمامة.

وأخرجه الدورقي في مسند سعد بن أبي وقاص (٨٦) وعبدس حميد في المنتخب (١٤٨)، والبخاري (١١٩٩) من حديث سعد بن أبي وقاص.

قال شيخ الإسلام في الفتاوى (٣٤٥/٣) حديث صحيح مشهور مستفيض.

أما زيادة «الباقون في النار لا يخرجون أبداً» فلم أحدها ولا شك أنها زيادة منكورة

تعارض قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وما =

والدليل على تكفيرهم أكثر من أن يحصى؛ لأنهم ردوا آيات الله،
وردوا أخبار الرسول ﷺ، وخرجوا عن الجماعة لعنهم الله^(١).

* * *

= عليه إجماع أهل السنة أن أهل التوحيد لا يخلدون في النار.
(١) من قوله: «دليلنا...»: إلى قوله... لعنهم الله» ليست في م.

دراسة المسألة:

أطلق المؤلف - رحمه الله - التكفير على المبتدعة وهذا يخالف ما عليه معتقد أهل السنة والجماعة: أنه لا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله أو بخطأ أخطأ فيه، والبدع داخل تحت هذا الأصل ما دامت هذه البدع لم تصل إلى حد الكفر.

فلا بد من التفصيل فلا يطلق التكفير على المبتدعة بل يقال: إن من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، وأقيمت عليه الحجة، ووضحت له المحجة، فهو كافر وإلا فلا يطلق عليه حكم الكفر.

قال شارح الطحاوية: «إن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول ﷺ أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر... وأما الشخص المعين، إذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوال بتكفير «الجهمية المحضة» الذين ينكرون الصفات، وحقيقة قولهم: أن الله لا يتكلم ولا يرى ولا يباين الخلق، ولا له علم ولا قدرة، ولا سمع ولا بصر ولا حياة، بل القرآن مخلوق، وأهل الجنة لا

(١) شرح الطحاوية (٣٥٧).

يرونه كما لا يراه أهل النار، وأمثال هذه المقالات .

وأما الخوارج والروافض ففي تكفيرهم نزاع وتردد عن أحمد وغيره .

وأما القدرية الذين ينفون الكتابة والعلم فكفروهم، ولم يكفروا من أثبت العلم ولم يثبت خلق الأفعال .
وفصل الخطاب بذكر أصليين :

أحدهما: أن يعلم أن الكافر في نفس الأمر من أهل الصلاة لا يكون إلا منافقاً فإن الله منذ بَعَثَ محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن وهاجر إلى المدينة صار الناس ثلاثة أصناف: مؤمن به، وكافر به مظهر الكفر، ومنافق مستحق بالكفر، ولهذا ذكر الله هذه الأصناف في أول سورة البقرة . . .

وإذا كان كذلك فأهل البدع فيهم المنافق والزنديق فهذا كافر . . .

ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطن وظاهر، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق، ثم قد لا يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقاً أو عاصياً، وقد يكون مخطئاً متأولاً مغفوراً له خطؤه، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، فهذا أحد الأصليين .

والأصل الثاني: أن المقالة تكون كفراً: كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات

المحارم، ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب وكذا لا يكفر به جاحده، كمن هو حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام، فهذا لا يحكم بكفره بجحد شيء مما أنزل على الرسول إذا لم يعلم أنه أنزله على الرسول، ومقالات الجهمية هي من هذا النوع، فإنها جحد لما هو للرب - تعالى - ولما أنزل الله على رسوله»^(١).

أما قول المؤلف ومن شك في كفرهم فهو كافر فيقال: من لم يكفر الكافر المعلوم كفره بنصوص الشرع من اليهود والنصارى والمشركين، فهو كافر ولذا عدَّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عدم تكفير الكافر من نواقض الإسلام فقال: «إعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض... الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كَفَر»^(٢).

أما المبتدعة فلا يقال أن من لم يكفرهم فهو كافر، لأن غلاة أهل البدع من الخوارج والروافض ذكر شيخ الإسلام أن في تكفيرهم نزاعاً كما تقدم.

وعليه فلا يطلق أن من لم يكفرهم أو شك في كفرهم أنه كافر، بل يقال من أنكر منهم معلوماً من الدين بالضرورة وانتفت عنه موانع التكفير من الجهل والتأويل وعدم قيام الحجة إليه فإنه يكفر ولهذا

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٥٢، ٣٥٤).

(٢) مجموعة التوحيد (٢٧١).

فالإمام أحمد - رحمه الله - مع أنه يقول: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر»، وكان الخليفة المعتصم وغيره ممن ضربه وحبسه وامتحن الناس بهذا القول، لم يكفره الإمام أحمد بل استغفر له وحلله، ولو كان مرتدًا لم يجز الاستغفار له.

وعلى هذا فيقال: إن إنكار ما جاء به الرسول ﷺ كفر على الإطلاق فنفي الصفات كفر، والتكذيب بأن الله يرى في الآخرة وأن القرآن كلامه كفر، فالتكفير العام كالوعيد العام يجب القول بإطلاقه وعمومه.

وأما الحكم على المعين بأنه كافر، أو مشهود له بالنار، فهذا يقف على الدليل المعين فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم، كنت كافراً، لأنني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون، لأنكم جهال»^(٢).

(١) الفتاوى (٥٠١/١٢).

(٢) الرد على البكري (٢٥٩).

ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة قال به بعضهم كما حكى ذلك عنهم القاضي أبو يعلى: «... خلافاً لعبيد الله بن الحسن العنبري في قوله: لا يكفر أحد من المتأولين، وقال: كل مجتهد مصيب، وخلافاً لبعض الأشعرية في قولهم: كل من اعتقد مذهباً يؤدي به إلى عدم العلم بالله - تعالى - ولا يلتزم الكفر ليس بكافر بل هو فاسق»^(١).

ولم أبجد لهم حسب مطالعتي لكتبهم الموجودة بين يدي التصريح بأن الخوارج والرافضة والجهمية والمرجئة فساق إلا كلاماً للبغدادى فيه تفصيل في الحكم عليهم فقد قال: «... وإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الإمامية، أو الزيدية، أو من بدع النجارية، أو الجهمية أو الضررية أو المجسمة فهو من الأمة في بعض الأحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين، وفي أن لا يمنع حظه من الفئء والغنيمة إن غزا مع المسلمين، وفي أن لا يمنع من الصلاة في المساجد، وليس من الأمة في أحكام سواها، وذلك أن لا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه، ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية، ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت علي اعتقادهم»^(٢).

* * *

(١) المعتمد (٦٧).

(٢) الفرق بين الفرق (١٤).

يسأل: عن الموت هل يؤتى به ويُذبح أم^(١) لا؟

فإن قال: يذبح بين الجنة والنار، فهو سني.

وإن أنكره فهو سالمي طاغ^(٢).

دليلنا: قوله ﷺ: «إذا أَسْتَقَرَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحٌ، فَيُوقَفُ بَيْنَهُمَا، فَيُنَادِي مُنَادٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيُجِيبُونَ جَمِيعاً، فَيَقَالُ لَهُمْ أَتَعْرِفُونَ هَذَا، هَذَا هُوَ الْمَوْتُ، يَا أَهْلَ النَّارِ فَيُجِيبُونَ جَمِيعاً، فَيَقَالُ لَهُمْ أَتَعْرِفُونَ هَذَا، هَذَا هُوَ الْمَوْتُ، فَيُذَبِّحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ نُوْدِي يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَبْشِرُوا بِخُلُودٍ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ فَوَيْلَ لَكُمْ خُلُودٌ بِلَا مَوْتَ، فَلَا يَكُونُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ كَلَامٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ، وَلَا عَلَى أَهْلِ النَّارِ كَلَامٌ أَغْلَظَ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذَا النِّدَاءِ، لِأَنَّهُمْ أَيْسَرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمِنْ الْخُرُوجِ وَالْمَوْتِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (٣)(٤)(٥).

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) في م: يسأل عن قوله ﷺ: سيؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، وينادي مناد من قبل الله عز وجل يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت» فإن آمن بذلك، فهو سني، وإن أنكر ذلك فهو بدعي.

(٣) سورة الأعلى، آية: ١٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ (٤٧٣٠)

مسلم في كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون (٢٨٤٩٩) والترمذي في كتاب صفة الجنة (٢٥٥٨) وأحمد (١٠٦٨٢) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥) من قوله: «دليلك... إلى قوله: ... ولا يحيى» ليست في م.

دراسة المسألة :

أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الموت يذبح بين الجنة والنار كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك قال ابن القيم : « وهذا الكبش ، والإضجاع ، والذبح ، ومعينة الفريقين ، ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً ، وقال : الموت عرض ، والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح ، وهذا لا يصح ، فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح ، كما ينشئ من الأعمال صوراً معينة يثاب بها ويعاقب ، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها ، وينشئ من الأجسام أعراضاً ، ومن الأجسام أجساماً فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تبارك وتعالى ، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ، ولا حاجة إلى تكلف من قال : إن الذبح لملك الموت ، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله ، والتأويل الباطل الذي لا يوجهه عقل ولا نقل ، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث دل على أن نفس العرض يذبح ، وظن غلط آخر أن العرض يعدم ويزول ، ويصير مكانه جسم يذبح ، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه ، وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه ﷺ «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان . . » .

. . فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص ، فورود النص به من باب

تطابق السمع والعقل»^(١).

ما نسبته المؤلف إلى السالمية من إنكار هذا الحديث لم أجد من وافقه على نسبة هذا المذهب لهم.

* * *

(١) حادي الأرواح (٢٨٨-٢٩٠) ط الثانية ١٣٥٧هـ تصحيح محمود حسن ربيع - مكتبة الأزهر مصر.

يسأل: عن كرامات الأولياء وعن معجزات الأنبياء^(١)؟

فإن أقرَّ بها، فهو سني.

وإن أنكر ذلك، فهو مبتدع^(٢) ضال^(٣).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّكُمْ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾^(٤) وقوله لأصحاب

الكهف: ﴿وَزَيَّدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٦).

وعصى لموسى، وإحياء الموتى لعيسى وأشياء يطول الكتاب

بذكرها والدلائل أكثر من أن تحصي^(٧).

* * *

(١) في م: «يسأل عن كرامات الصالحين والأولياء؟».

(٢) في م: «بدعي».

(٣) «ضال» ليست في م.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٥) سورة الكهف، آية: ١٣.

(٦) سورة القمر آية: ١.

(٧) من قوله: «دليلنا... إلى قوله: ... من أن تحصي» ليست في م.

دراسة المسألة:

يؤمن أهل السنة والجماعة بمعجزات الأنبياء: فاسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة في عرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها: الآيات، لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما: فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة: للولي^(١).

فالمعجزات علامات من الله - تبارك وتعالى - يعلم بها عباده أنه أرسل إليهم هذا الرسول المؤيد بتلك المعجزات وأمرهم بطاعته، ومن لوازمها أن تكون خارقة لعادة جميع الثقلين الإنس والجن، ولا يستطيع أحد أن يعارضها إلا أن يأتي بمثلها^(٢).

والمعجزة وإن كانت دليلاً صحيحاً على إثبات النبوة، لكن الدليل غير محصور فيها، إذ المقصود معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه، فمن قال: إني رسول، فهذا خبر: إما أن يكون مطابقاً للمخبر به وإما أن يكون مخالفاً له.

والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثير فيما هو دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟^(٣).

استدل المؤلف على وقوع المعجزات للأنبياء.

(١) انظر: مجموع الرسائل والمسائل (٢/٥) لابن تيمية.

(٢) انظر: النبوات (١٠٦-١٠٧) ط المنيرية.

(٣) انظر شرح الأصفهانية (٨٨-٨٩) وشرح الطحاوية (١٥٨).

بقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١).

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال لنا النبي ﷺ: «اشهدوا» (٢).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين» (٣).

أما عصى موسى فقد جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى﴾ (٤) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتُمُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ (٥) قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىٰ (٦) فَالْقَلَمُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٧) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٨) ﴿(٤)﴾

قال تعالى: ﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (٥).

وقال: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ (٦) قَالَ بَلَىٰ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٧) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَىٰ (٨) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ (٩) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَىٰ (١٠) ﴿(٦)﴾

(١) سورة القمر، آية: ١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية (٣٦٣٦).

(٣) أخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر (٢٨٠٢).

(٤) سورة طه، الآيات: ١٧، ٢١.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٠٧.

(٦) سورة طه، الآيات: ٦٥، ٦٩.

أما إحياء الموتى فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١).

وقد خالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة المعتزلة والأشاعرة.

فقال المعتزلة: المعجزة تكون من فعل الله تعالى، ويحدث عند ادعاء النبي النبوة، وتكون خارقة للعادة، فيعلم أنه تعالى فعله على سبيل التصديق للنبي فيما ادعاه من النبوة (٢).

وقد اشترطوا له شروطاً: فقال القاضي عبد الجبار «واعلم أن من حق المعجز أن يكون واقعاً من الله تعالى حقيقة وتقديراً، وأن يكون ما تنتقض به العادة المختصة بمن أظهر المعجز فيه، وأن يتعذر على العباد فعل مثله في جنسه أو صفته، وأن يكون مختصاً بمن يدعي النبوة على طريقة التصديق له، فما اختص بهذه الصفات وصفناه بأنه معجز من جهة الإصطلاح» (٣).

(١) سورة آل عمران، آية: ٤٩.

(٢) انظر المختصر في أصول الدين (٢٦٥/١) القاضي عبد الجبار، رسائل العدا والتوحيد.

(٣) المغني (١٩٩/١٥) ط/ الدار المصرية.

فالمعتزلة جعلوا الخوارق خاصة بالأنبياء، وهذا الذي دعاهم إلى إنكار كرامات الأولياء وحوارق السحرة والكهان .

قال شيخ الإسلام: «وهؤلاء كذبوا بما تواتر من الخوارق لغير الأنبياء، والمنازع لهم يقول: هي موجودة مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء، وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء فكيف يكذبون بما شهدوه، ويصدقون بما غاب عنهم، ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره»^(١).

وقد صح في كتاب الله ذكر خوارق العادات لغير الأنبياء فهذه مريم تجد فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَئِذَا هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

وأما الأشاعرة فقالوا:

المعجزات: هي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المستمرة المقرونة بدعوى النبوة التي يتحدى ويعجز عن الإتيان بأمثالها^(٣).

وهذا التعريف منتقض، ولا يصلح حداً مطابقاً للمعجزة؛ فإن من

(١) النبوات (٢) ط/ المنيرية.

(٢) سورة آل عمران: آية: ٣٧.

(٣) انظر لمع الأدلة للجويني (١٢٤)، والإنصاف للباقلاني (١٦).

ادعى النبوة كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي وغيرهم أتوا بخوارق للعبادات ولم يعارضهم أحد، فهل يسمى ما أتوا به معجزات وآيات .

ثم إن من آيات الأنبياء ما كان قبل مولدهم، وما كان قبل بعثتهم وما يكون بعد وفاتهم كأشراط الساعة .

وكذلك آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي بها ولا تحديه بالإتيان بمثلها بل هي دليل على نبوته وإن خلت من هذين القيدتين، فنبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ وتكثير الطعام، إنما ظهرت لحاجة المسلمين في ذلك الوقت^(١) .

كرامات الأولياء :

إعتقاد أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العبادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة - وهي موجود فيها إلى يوم القيامة^(٢) .

قال شيخ الإسلام: «فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم، وكرامات الصالحين تدل على صحة

(١) انظر النبوات (١٠٦) .

(٢) العقيدة الواسطية بشرح ابن فوزان (٢٠٧) .

الذي جاء به الرسول لا تدل على أن الولي معصوم ولا على أنه يجب طاعته»^(١).

وقد استدل المؤلف - رحمه الله - على وقوع الكرامات بقوله تعالى: ﴿فلنحينه حياة طيبة﴾ ووجه الاستدلال: أن من أعظم الكرامات الحياة الطيبة في الدنيا.

وبقصة أصحاب الكهف وقد جاءت في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَالِثُوهُمْ أَمدًا ﴿١٢﴾.

وقد أنكر المعتزلة كرامات الأولياء لأن خوارق العادات لا تظهر إلا على يد الأنبياء^(٣).

قال شيخ الإسلام: «والمعتزلة ظنوا أن مجرد كون العقل خارقاً للعادة هو الآية على صدق الرسول، فلا يجوز ظهور خارق إلا طرد هذا فأنكروا أن للسحر تأثيراً خارجاً عن العادة، وأنكروا الكهانة وأن تكون الجن تخبر ببعض المغيبات، وأنكروا كرامات الأولياء»^(٤).

(١) النبوات (٤) (٥).

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٩ - ١٢.

(٣) انظر المغني (١٥/٢٤١).

(٤) النبوات (١٠٢).

ولا شك في بطلان مذهبهم هذا فقد صحت النصوص بوقوع الكرامات وتواتر وقوعها للصالحين من عباده .

أما الأشاعرة فيوافقون أهل السنة والجماعة في الاعتقاد بوقوع كرامات الأولياء إلا أنهم يقولون: إن الكرامة وخوارق السحرة من جنس واحد^(١).

ولهذا قال شيخ الإسلام في بيان هذا القول وإبطاله: فأتى هؤلاء - يعني الأشاعرة - فأثبتوا ما أثبته الفقهاء وأهل الحديث من السحر والكهانة والكرامات، لكن قيل لهم فميزوا بين هذ وبين المعجزات فقالوا لا فرق في نفس الجنس، وليس في جنس مقدورات الرب ما يختص بالأنبياء، لكن جنس خرق العادة واحد^(٢).

وقال في موضع آخر: «والمقصود هنا الكلام على الفرق بين آيات الأنبياء وغيرهم، وأن من قال: إن آيات الأنبياء والسحر والكهانة والكرامات وغير ذلك من جنس واحد فقد غلط»^(٣).



(١) انظر حاشية الأمير على شرح الجوهرة (١٥٤) وانظر أصول الدين (١٧٠ - ١٧٥) عبد القاهر البغدادي .

(٢) النبوات (١٠٢) .

(٣) النبوات (٢٧٥) .

يسأل: عن^(١) هل يجوز أن يقول الله يا قديم الإحسان؟

فإن قال: بلى^(٢) يجوز، فهو سني.

وإن أنكره^(٣)، فهو أشعري وبدعي.

دليلنا: قوله تعالى في الذرّ إذ نادى الأرواح حيث قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٤)، وقوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾^(٥).

والهداية والإيمان رأس كل نعمة وغاية كل نعمة^(٦).

* * *

F

(١) هذه الكلمة ليست مناسبة في هذا الموضع ولا يقتضيها سياق الكلام. وفي م: «عن» وصححت فكتب: «عنهم» وأعلاها صح. يعنى بعد التصحيح.

(٢) «بلى» ليست في م.

(٣) في م: «وإن قال: لا يجوز».

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٧٢.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٨٤. الصواب ما أثبتته فقد كتب آية: ﴿وكلا هدينا من قبل﴾ وهذا غلط.

(٦) من قوله: «دليلنا». حتى قوله: كل نعمة» ليست في م.

دراسة المسألة:

وصف الله تعالى بأنه قديم الإحسان لا شيء في ذلك، فقد جاء في النصوص أن من أسمائه تعالى «المحسن».

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكمتهم فاعدلوا، وإذا قلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب الإحسان»^(١).

وعن شداد بن أوس قال حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين أنه قال: «إن الله - عز وجل - محسن يحب الإحسان، فإذا قلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، ثم ليرح ذبيحته»^(٢).

فالمحسن يتضمن إثبات المحسن اسماً لله تعالى، وإثبات الإحسان صفة له وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو أن الله أحسن خلق كل شيء وأنه قديم الإحسان على خلقه قال تعالى: ﴿هَذَا أَقَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الْدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾^{(٣)(٤)}.

قال القاضي أبو يعلى: «ويجوز وصفه بأنه قديم الإحسان وقد ذكر

(١) ابن أبي عاصم في الديات (٥٦) وابن عدي في الكامل (٦/٢١٤٥) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/٢١٣) وذكره الألباني - رحمه الله - في الصحيحة (٤٧٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٦٠٣) والطبراني في الكبير (٧/٧١٢١).

(٣) سورة الإنسان، آية: ١.

(٤) انظر: القواعد المثلى (١٠) لفصيلة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -.

أبو إسحاق هذا ونص عليه في أثناء مسألة عملها، ذكر فيها أنه موصوف بالخلق والرزق في القدم، فهذا مبني على ذلك الأصل وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(١) فوصف إحسانه إليهم بالسبق في القدم فدل على قدمه... ولأن هذا مستفيض على السنة المسلمين في دعائهم عصراً بعد عصر، ولا يجوز أن يجمعوا على منكر^(٢).

أما ما استدل به المؤلف وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(٣).

لعل وجه الدلالة: أن الله تعالى أحسن في القدم إلى الخلق حينما أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنه هو ربهم سبحانه، وأخذ عليهم هذا الميثاق حتى تقوم عليهم الحجة وهذا من إحسانه القديم والله أعلم.

أما قوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾^(٤) فلا يظهر لي وجه استدلاله بها والمعنى في الآية كما قال ابن جرير: نوحاً هدينا من قبل؛ أي هديناه لمثل الذي هدينا إليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب من

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠١.

(٢) المعتمد (١٨).

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٨٤.

الحق والصواب فوفقناه له نوحاً من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب^(١).
أما ما نسبته إلى الأشاعرة فلم أقف على كلام للأشاعرة في منع
وصف الله بأنه قديم الإحسان.

* * *

(١) انظر تفسير ابن جرير (٢٦٠/٥) ط دار الفكر

يسأل^(١) عن المسح على الخفين؟

فإن قال: يجوز^(٢)، فهو سني.

وإن أنكر ذلك^(٣)، فهو رافضي.

دليلنا: ما روى المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ مسح على الخفين فقالت: «يا رسول الله أنسيت؟ فقال: بل أنت نسيت هذا أمر ربي»^{(٤)(٥)}.

* * *

(١) بحث هذه المسألة مع التي تليها في دراسة واحدة انظر ص ٣٣١.

(٢) في م: «فإن أجازته».

(٣) في م: «وإن أنكره».

(٤) أخرجه أبوداود (١٥٦) وأحمد في المند (١٨٢٤٥) والحاكم في المستدرک (٦٠٦)

والطبراني في الكبير (٨٧٢) (١٠٠١) (١٠٠٢) قال الحاكم: «قد اتفق الشيخان على

إخراج طرق حديث المغيرة بن شعبة في المسح ولم يخرجوا قوله ﷺ بهذا أمرني ربي

وإسناده صحيح» انظر المستدرک (٢٧٦/١).

(٥) من قوله: دليلنا... إلى قوله: أمر ربي» ليست في م.

يسأل: عن المسح على القدمين هل يقوم مقام الغسل أم^(١) لا؟
فإن قال: لا، فهو سني^(٢).

وإن قال: غيره، فهو رافضي^(٣).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٤) أي مع
الكعبين^(٥).

* * *

(١) انصواب لغة «أو».

(٢) في م: «وإن فإن قال: يقوم مقامه، فهو رافضي».

(٣) في م: «وإن قال: لا يقوم مقامه، فهو سني».

(٤) سورة المائدة، آية: ٦.

(٥) من قوله: «دليلنا إلي قوله: مع لكعبين» ليست في م.

دراسة المسألة :

تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين، وقد اشتهر جواز المسح على الخفين عند أهل السنة والجماعة حتى عُدَّ شعاراً لأهل السنة، وعُدَّ إنكاره شعاراً لأهل البدع، وأوردوا هذه المسألة الفقهية في كتب العقائد كما فعل المصنف والطحاوي في عقيدته وغيرهم من العلماء.

قال الإمام إسحاق بن راهوية: «مضت السنة من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من التابعين في المسح على الجوربين، لا اختلاف بينهم في ذلك»^(١).

قال ألحافظ ابن حجر: «وقد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر، وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين ومنهم العشرة»^(٢).

قال ابن القيم: «صح عنه ﷺ أنه مسح في الحضر والسفر، ولم ينسخ ذلك حتى توفي»^(٣).

قال النووي: «أجمع من يعتد به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر، سواء كان لحاجة أو لغيرها، حتى

(١) انظر: المحلى (١١٨/٢) لابن حزم.

(٢) فتح الباري (٣٦٦/١) ط/ دارالريان.

(٣) زاد المعاد (٥٠/١).

يجوز للمرأة الملازمة بيتهما والزمن الذي لا يمشي، وإنما أنكرته الشيعة والخوارج ولا يعتد بخلافهم»^(١).

ومن تلك النصوص التي تدل على جواز المسح على الخفين.

ما روى البخاري عن المغيرة بن شعبة قال: «ذهب النبي ﷺ لبعض حاجته فقامت أسكب عليه الماء - قال عروة بن المغيرة - لا أعلمه إلا قال: في غزوة تبوك - فغسل وجهه، وذهب يغسل ذراعيه، فضايق عليه كُمًا الجبة، فأخرجهما من تحت جبهته فغسلهما، ثم مسح على الخفين»^(٢).

قال الإمام ابن نصر المروزي: «وقد أنكرت طوائف من أهل الأهواء والبدع من الخوارج والروافض المسح على الخفين، وزعموا أن ذلك خلاف لكتاب الله، ومن أنكر ذلك لزمه إنكار جميع ما ذكرنا من السنن وغير ذلك ما لم نذكر، وهذا خروج من جماعة أهل الإسلام»^(٣).

وعن همام بن الحارث قال: «رأيت جرير بن عبد الله بال، ثم توضأ ومسح على خفيه ثم قام فصلي، فسئل فقال: رأيت النبي ﷺ صنع مثل هذا فكان يعجبهم لأن جريراً كان آخر من أسلم»^(٤).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦٤/٣) ط دار الريان.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب نزول النبي ﷺ الحجر ح (٤٤٢١).

(٣) السنة (١٠٦) دار الثقافة الإسلامية.

(٤) أخرجه البخاري كتاب أبواب الصلاة في الثياب باب الصلاة في الخفاف ح (٣٨٧) ومسلم كتاب الطهارة باب المسح على الخفين ح (٢٧٢).

وعن عمرو بن أمية الضمري، قال: «رأيت رسول الله ﷺ يمسح على عمامته وخفيه»^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٢).

استدل بهذه الآية الرافضة بقراءة الجر على أن فرض الرجل هو المسح عليها قال ابن المطهر الحلي: «كمسح الرجلين الذي نص الله تعالى عليه في كتابه العزيز فقال: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾»^(٣).

وقال ابن عباس: «عضوان مغسولان، وعضوان ممسوحان فغيروه وأوجبوا الغسل»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذه الآية فيها قراءتان مشهورتان: الخفض والنصب فالذين قرؤوا بالنصب، قال غير واحد منهم: أعاد الأمر إلى الغسل، أي: وامسحوا برؤوسكم، واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، والقراءتان كالآيتين، ومن قال: إنه عطف على محل الجار والمجرور، يكون المعنى، وامسحوا برؤوسكم، وامسحوا أرجلكم

(١) أخرجه البخاري كتاب الوضوء، باب: المسح على الخفين، ح (٢٠٥).

(٢) سورة المائدة، آية ٦.

(٣) سورة المائدة، آية ٦.

(٤) نقلاً عن منهاج السنة النبوية (١٧٠/٣).

إلى الكعبيين، وقولهم: مسحت الرجل، ليس مرادفاً لقوله: مسحت بالرجل، فإنه إذا عُدِّي بالباء أريد به معنى الإلصاق، أي ألصقت به شيئاً وإذا قيل: مسحته لم يقتض ذلك أن يكون ألصقت به شيئاً، وإنما يقتضي مجرد المسح، وهو لم يرد مجرد المسح باليد بالإجماع، فتعين أنه إذا مسحه بالماء، وهو مجمل، فسرته السنة كما في قراءة الجر.

وفي الجملة فالقرآن ليس فيه نفي إيجاب الغسل، بل فيه إيجاب المسح، فلو قدّر أن السنة أوجبت قدراً زائداً على ما أوجبه القرآن لم يكن في هذا رفع لموجب القرآن، فكيف إذا فسرتة وبينت معناه؟^(١).

وقد بينت فيما سبق أن ما نسبته المؤلف إلى الرافضة من إنكار سنة المسح على الخفين والقول بأن فرض الرجل هو الغسل صواب.



يسأل: عن خلافة الصحابة^(١) هل ثبتت بقول^(٢) الرسول ﷺ أم^(٣) لا؟

فإن قال: ثبتت بنص النبي ﷺ^(٤)، - أي بنص خفي -^(٥)، فهو سني.

وإن أنكره^(٦)، فهو رافضي^(٧) ملعون على لسان سبعين نبياً^(٨).

دليلنا: قوله عليه السلام: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة حقاً وعدلاً، ثم من بعدي خَلْفٌ ومُلْكٌ وملوكٌ».

سنتين لأبي بكر حقاً، وعشر سنين لعمر حقاً، واثنى عشرة^(٩) سنة لعثمان حقاً، وست سنين لعلي حقاً، ثم من بعد ذلك ملك وملوك^(١٠)، والأخبار على هذا أكثر من أن تحصى^(١١).

(١) في م: «أبي بكر».

(٢) في م: «بنص رسول ﷺ أي بنص خفي».

(٣) الصواب لغة: «أو».

(٤) في م: «رسول الله ﷺ».

(٥) «أي بنص خفي» ليست في م.

(٦) في م: «وإن أنكر ذلك».

(٧) في م: «فهو بدعي».

(٨) «ملعون على لسان سبعين نبياً» ليست في م.

(٩) لعل الصواب (اثنتي عشرة) وهو الذي في صحيح ابن حبان (٦٦٥٧).

(١٠) أخرجه ابن حبان في صحيحه «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم بعد ذلك ملكاً»

(٦٦٥٧) وأبو داود (٤٦٤٦) وأحمد (٢١٩٦٩) والطبراني في المعجم (٦٤٤٣) أما

تسمية سنوات الخلفاء فهذا من قول سفينة رواي الحديث فقد أخرجه ابن حبان

(٦٦٥٧) وأبو داود (٤٦٤٦) وأحمد (٢١٩٦٩) والطبراني في المعجم الكبير (١٣) وابن

الجعد في مسنده (٣٣٢٣) موقوفاً عليه.

(١١) من قوله: «دليلاً». إلى قوله أكثر من أن تحصى» ليست في م.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة فهم يرون أن خير الناس في هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق وهو أولاهم بالخلافة، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم -.

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً فهو مبتدع رافضي.

حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآرائهم فضيلة.

وخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ: أبو بكر، وخيرهم بعد أبي بكر عمر، وخيرهم بعد عمر عثمان، وخيرهم بعد عثمان علي رضوان الله عليهم، خلفاء راشدون مهديون»^(١).

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين

(١) السنة للإمام أحمد (٣٨) ضمن مجموع مع كتاب الرد على الجهمية، مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر.

وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»^(١).

والأدلة تدل على قول السلف وهي متكاثرة في الدلالة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، منها:

ما جاء عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فتخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان - رضي الله عنهم»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «خلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسول الله ﷺ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختياراً استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله بها، وأنها حق، وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها، وكان أبلغ من مجرد العهد بها، لأنه حينئذ يكون طريق ثبوتها العهد، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلاً على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بانَتْ بها عن غيره ما علم المسلمون أنه أحقهم بالخلافة، فإن ذلك لا يحتاج إلى عهد خاص»^(٣).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ح (٣٦٥٥).

(٣) منهاج السنة (١/١٤٠ - ١٤١).

ومن الأدلة على خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ما روى البخاري من حديث جبير بن مطعم قال: «أنت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرايت إن جئت فلم أجذك؟ كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر»^(١).

أما خلافة عمر فثبتت بتفويض أبي بكر الصديق الخلافة إليه واتفاق الأمة بعده عليه، أما عثمان فثبتت له الخلافة باتفاق أهل الشورى من الصحابة الذين أقامهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ليختاروا خليفة للمسلمين لما أصيب، فاتفقوا على عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف^(٢).

وأما علي - رضي الله عنه - فثبتت له الخلافة بعد قتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فبايع الناس علياً فصار إماماً حقاً واجب الطاعة وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة.

كما دل عليه حديث سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك» قال سفينة: ^(٣) أمسك خلافة

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الأحكام التي تعرف بالدلائل ح (٧٣٦١).

(٢) انظر صحيح البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ح (٣٥٥٣).

(٣) سفينة مولى رسول الله ﷺ كان اسمه مهران وقيل: سحران وقيل: رومان قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول اشتراه النبي ﷺ فأعتقه روى عن النبي ﷺ.

أبي بكر الصديق وخلافة عمر، وخلافة عثمان ثم أمسك خلافة علي قال، سعيد بن جهمان: فوجدناها ثلاثين سنة فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم قال: كذبوا بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شر الملوك^(١).

أما الرافضة فهم يقدحون في صحابة الرسول ﷺ إلا نفرًا قليلًا من الصحابة ويغلون في علي - رضي الله عنه - ويزعمون أنه هو الإمام بعد الرسول ﷺ وأن أبا بكر وعمر وعثمان اغتصبوه حقه. قال أحد الروافض: «... أبا بكر كان جاهلاً بأكثر أحكام الدين...»^(٢).

«وأما عمر فكان يعطي من بيت المال ما لا يجوز...»^(٣).

وأما عثمان فقال فيه: «وأما مثالب عثمان فهي لا تحصى ولا تستقصى...»^(٤).

قال السكسكي: «وقالوا: الرافضة بتفضيل علي على سائر الصحابة وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ وتبرؤوا من أبي بكر وعمر وكثير

= انظر. تهذيب التهذيب (١٢٥/٤).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة ح (٢٢٢٦) وقال حديث صحيح، وأبوداود في كتاب السنة باب في الحلفاء (٤٦٤٦).

(٢) حق اليقين في معرفة أصول الدين (٣١٥/١) عبدالله شبر، ط الأولى ١٤٠٤ هـ نشر دار الأضواء بيروت.

(٣) المصدر نفسه (٣٢٣/١).

(٤) المصدر نفسه (٣٢٥/١).

من الصحابة - رضي الله عنهم - إلا فرقة الزيدية»^(١).

بل نصوا في كتبهم على كفر الصحابة وارتدادهم بعد رسول الله ﷺ سوى نفر منهم وعدوهم، كما جاء في كتبهم المعظم عندهم (الكافي):

«كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي»^(٢).

وقول المؤلف: إنها ثبتت بالنص أي النص الخفي، فقد اختلف أهل السنة في خلافة الصديق - رضي الله عنه -: هل كانت بالنص أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة ومنهم من قال بالنص الجلي.

وذهب جماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالاختيار^(٣).

وقد استدل من قال بشبوتها بالنص بقصة المرأة التي جاءت النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه فقالت: إن لم أجذك قال ائتي أبا بكر^(٤).

وما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل علي رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدى فيه، فقال: ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب

(١) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٦٥).

(٢) الروضة من الكافي (٢٤٥/٨) الكليني الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ نشر محمد الأخوندي طهران.

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٥٣٣)

(٤) سبق تخريجه ص ٣٦٧.

لأبي بكر كتاباً ثم قال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر^(١)، وغير ذلك من النصوص.

أما من قال: إنها ثبتت بالاختيار فاستدل بما جاء عن عبدالله بن عمر عن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن لا استخلف فلم يستخلف من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ قال عبدالله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف^(٢).

قال القاضي أبو يعلى: «... ثبتت بالاختيار لا بالنص الخفي، وقد حكينا عن أحمد - رضي الله عنه - في ذلك روايتين أحدهما بالاختيار والثانية بالنص»^(٣).

قال شارح الطحاوية: «والظاهر والله أعلم أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه وقال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٤) فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمر متعدد، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن

(١) أخرجه مسلم فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق (٢٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب الاستخلاف ح (٧٢١٨)، مسلم كتاب الإمامة، باب الاستخلاف (١٨٢٣).

(٣) المعتمد (٢٢٦).

(٤) تقدم تخريجه.

المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك . .»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والتحقيق في خلافة أبي بكر وهو الذي يدل عليه كلام أحمد أنها انعقدت باختيار الصحابة ومبايعتهم له، وأن النبي ﷺ أخبر بوقوعها على سبيل الحمد لها والرضى بها، وأنه أمر بطاعته وتفويض الأمر إليه، وأنه دل الأمة وأرشدهم إلى بيعته، فهذه الأوجه الثلاثة: الخبر والأمر، والإرشاد ثابت من النبي ﷺ»^(٢).

* * *

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٨/٥٣).

يسأل^(١) : عن العالم هل هو قديم أم^(٢) محدث أم كان شيئاً ثم زاده فيه .

والعالم عبارة عن كل شيء دون الله من العرش إلى الثرى .

فإن قال : محدث ، فو سني .

وإن قال : غيره ، فهو كافر .

وفي هذه المسألة رد على عشرة أصناف من أهل البدع ؛
الكفار^(٣) ، والفجار^(٤) ، والباطني^(٥) ، والقرمطي^(٦) ،

(١) هذه المسألة ليست في م .

(٢) الصواب لغة : «أو» .

(٣) أصل الكفر لغة الستر والتغطية ، والكفر في الشرع : ينقسم إلى أصغر وأكبر ، فلا أكبر يخرج من الملة ، والأصغر لا يخرج من الملة . فلا أكبر كجحد ما أنزل الله على رسوله ، والأصغر ما جاء في النصوص تسميته كفراً ولا يخرج من الملة باتفاق أهل السنة ، كالطعن في الأنساب ، والنياحة على الميت . انظر الصلاة (٢٥) لابن القيم ومجموعة التوحيد (٣٤٨) رسالة أنواع التوحيد .

(٤) الفجور كالكفر ، والفسوق ، والظلم قسمان : أكبر ، يخرج من الملة ، منافي لأصل الدين ، وأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله ، لا يخرج صاحبه من الملة ، انظر معارج القبول (٤١٩/٢) .

(٥) الباطنية : اسم عام يجمع كل من يدعي أن للنصوص ظاهراً وباطناً ، وهذا الاسم يدخل تحته طوائف كثيرة كغلاة الصوفية وغلاة الرافضة ، وغلاة الفلاسفة وكلهم زنادقة . انظر : بيان تليس الجهمية لابن تيمية (١/٢٥٩ - ٢٦٠) والتبصير في الدين للإسفرائيني (٨٣) واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٧٦) .

(٦) القرامطة : طائفة من طوائف الباطنية تنسب إلى حمدان قرمط خرجوا عام ٢٨١ هـ أيام المعتضد فاستولوا على بعض الممالك الإسلامية ، واستفحل أمرهم حتى استحلوا البيت العتيق ، وقتلوا فيه خلقاً كثيراً ، وراموا نقض الكعبة ، واقتلعوا الحجر الأسود ، لهم بدع كثيرة : استحلال المحارم ، وجحد الشرائع ، وإنكار ما علم من الدين =

والجرهّهي^(١)، والمزدكي^(٢)، والبابكي^(٣)، والفلسفي^(٤)،
والتطبايعي^(٥)، وأصناف المجوس^(٦) كلهم يزعمون بقديم العالم، فمن
زعم أن العالم كله محدث والمحدث هو أن لم يكن شيئاً قط، ثم كونه
بقدرته القديمة، فهو سني.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي

= بالضرورة انظر التنبيه (٢٠) للملطي، والتبصير في الدين (٨٣) للإسفرائيني الفرق بين
الفرق (٢٦٦) للبغدادي.

(١) لم أجد فرقة تسمى بهذا المسمى.

(٢) المزدكية أصحاب مزدك من فرق الثنوية القائلين بأن الكون له مدبران النور والظلمة
أزليان، يقولون بالإباحية المطلقة واشتراك الناس في النساء والأموال. انظر الملل
والنحل (٢٩٤/١) للشهرستاني.

(٣) البابكية: أتبع بابك الخرمي: ظهر في أذربيجان وكثر أتباعه واستباحوا المحرمات،
صلب في أيام المعتصم في سُرٍّ من رأي وهم من المجوس. انظر الفرق بين الفرق
(٢٣٩) للبغدادي.

(٤) أصل كلمة الفلاسفة مكون من كلمتين «فيلا» «سوف» ومعناه محب الحكمة، ثم
أصبحت علماً على طوائف تنكر وجود الله وتنكر المعاد والرسول والملائكة والكتب،
وهم طوائف شني، وأصل الفلسفة نشأت في بلاد اليونان. انظر إغاثة اللهفان
(٢٧٥/٢) لابن القيم.

(٥) فرقة من فرق الدهرية لا يؤمنون بالبعث، ولا عالم وراء هذا المحسوس، وينكرون
وجود الخالق انظر الملل والنحل (٣٠٥/١) للشهرستاني.

(٦) المجوسية: إحدى الحل الوثنية القديمة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، وتنسب إلى
رجل يقال له: مجوس، ويقولون بخالقين: خالق الخير وهو النور، وخالق الشر وهو
الظلمة، كانوا يعبدون النار، عدهم بعض العلماء من أهل الكتاب، والصحيح أنهم
ليسوا أهل كتاب. انظر الملل والنحل الشهرستاني (٣٢٠/١) تلبس إبليس (٥٤) لابن
الجوزي.

سِتَّةَ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾^(١) ، وقوله : ﴿إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٢) الآية .

* * *

(١) سورة ق، آية : ٣٨ .

(٢) سورة فصلت، آية : ٩ .

دراسة المسألة:

هذه المسألة متفق عليها عند أهل الإسلام أن العالم محدث، وأن الله خالق كل شيء بقدرته ومشيئته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الخالق وحده، وهذا الذي تدل عليه جميع الكتب المنزلة، وأخبرت به جميع الرسل، وعليه سلف الأمة وأئمتها، بل وعليه جماهير العقلاء من جميع الطوائف.

قال الشهرستاني: «مذهب أهل الحق من أهل الملل كلها أن العالم محدث ومخلوق أحدثه الباري تعالى وأبدع، وكان الله تعالى ولم يكن معه شيء»^(١).

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢). وقال ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»^(٣).

قال ابن القيم - رحمه الله -: «أول من عرف عنه القول بقديم العالم أرسطو وكان ضالاً مشركاً يعبد الأصنام»^(٤).

ثم إن طوائف أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، لما

(١) نهاية الإقدام على الكلام (٥) مكتبة المثنى بغداد، حرره وصححه الفرد جيوم رقم الصفحة.

(٢) سورة الحديد، آية: ٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى ح (٦٦٩٤).

(٤) إغائة اللهفان (٢/٢٥٩) ط البابي الحلبي.

قالوا بحدوث العالم استدلووا على حدوثه بدليل مبتدع وهو: أنه لا يعرف صدق الرسول حتى يعرف إثبات الصانع، ولا يعرف إثبات الصانع، حتى يعرف حدوث العالم، ولا يعلم حدوث العالم إلا بما يعلم به حدوث الأجسام، ثم استدلووا على حدوث الأجسام، بأنها لا تخلو من الحوادث، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، ثم منهم من علم أن هذا لا يكفي في إثبات الصانع فقال بإبطال حوادث لا أول لها^(١).

وهذا الدليل أدى بهم إلى نفي صفات الله تعالى، وأن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام يقوم به، بل كلامه مخلوق منفصل عنه، وأن الله لا يرى في الآخرة، أما الأشاعرة: فقد التزموا نفي الصفات الفعلية عن الله تعالى فبناء على أنها حوادث، وما حلت به الحوادث فهو حادث.

قال شيخ الإسلام: «ولأجل هذه الطريق أنكرت الجهمية والمعتزلة الصفات والرؤية، وقالوا: القرآن مخلوق، ولأجلها قالت الجهمية بقاء الجنة والنار، ولأجلها قال العلّاف بقاء حركاتهم، ولأجلها فرّع كثير من أهل الكلام.

فقال لهم الناس: أما قولكم إن هذه الطريق هي الأصل في معرفة دين الإسلام ونبوة الرسول ﷺ، فهذا مما يعلم فساد بالاضطرار من دين الإسلام، فإنه من المعلوم لكل من علم حال الرسول ﷺ

(١) انظر درء التعارض (١/٣٠٢-٣٠٣).

وأصحابه، وجاء به من الإيمان والقرآن، أنه لم يدعُ الناس بهذا الطريق أبداً، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، فكيف تكون هي أصل الإيمان؟ والذي جاء بالإيمان وأفضل الناس إيماناً لم يتكلموا بهذا البتة ولا سلكها منهم أحد»^(١).

قال شيخ الإسلام مبيناً أن الفلاسفة القائلين بقديم العالم ليس معهم دليل على قولهم وأن جملة ما استدلووا إنما يدل على مذهب السلف.

«... وهذه مسألة حدوث العالم وقدمه، لا يقدر أحد من بني آدم أن يقيم دليلاً على قدم الأفلاك أصلاً، وجميع ما ذكره ليس فيه ما يدل على قدم شيء بعينه من العالم أصلاً، وإنما غايتهم أن يدلوا على قدم نوع الفعل، وأن الفاعل لم يزل فاعلاً، وأن الحوادث لا أول لها، ونحو ذلك مما لا يدل على قدم شيء بعينه من العالم، وهذا لا يخالف شيئاً من نصوص الأنبياء، بل يوافقها، وأما النصوص المتواترة عن الأنبياء بأن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأن الله خالق كل شيء، فكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن، فلا يمكن أحداً أن يذكر دليلاً عقلياً يناقض هذا...»^(٢).

* * *

(١) الفتاوى (٥٤٢-٥٤٣/٥).

(٢) درء التعارض (٢٧٩/٨-٢٨٠).

يسأل: عن الله تعالى هل كان عالماً بالأشياء قبل كونها في أوصافها وأجناسها وذاتها وألوانها وأعدادها، فجاءت بعد كونها على ما سبق في علمه بلا زيادة ولا نقصان؟

فإن قال: عِلِمَ بها قبل كونها فجاءت على ما علم، فهو سني.
وإن أنكر ذلك، فهو معتزلي^(١).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٢)، إلى قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وأيضاً قوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾^(٤)، الآية إلى قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٥)، ودلائلنا^(٦) أكثر من أن تحصى^(٧).

(١) في م: «يسأل عن الباري جل جلاله هل علم بالأشياء قبل كونها أم علم بها بعد كونها؟»

فإن قال: علم قبل كونها، فهو سني، وإن قال: لم يعلم بها إلا بعد كونها، فهو معتزلي.

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٧.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٢٨.

(٦) كتب أهلها «على هذا» [صح] مما يشعر إلى أن الصواب «دلائلنا على هذا أكثر من أن تحصى».

(٧) من قوله: «دلائلنا إلى قوله أكثر من أن تحصى» ليست في م.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف - رحمه الله - هو معتقد السلف الصالح، فالله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها، على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم، فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١). وقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢).

وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (٣).

وقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٤) وعلم الله تعالى بالأشياء قبل كونها هو المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر.

قال شارح الطحاوية: «والقدر الذي هو التقدير المطابق للعلم يتضمن أصولاً عظيمة:

أحدها: أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، فيثبت علمه القديم وفي ذلك الرد على من ينكر علمه القديم.

الثاني: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، ومقاديرها هي

(١) سورة الملك، آية: ١٤.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٠.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

(٤) سورة لطلاق، آية: ١٢.

صفاتها المعينة المختصة بها، فإن الله قد جعل لكل شيء قدراً قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (١).

فالخلق يتضمن التقدير، تقدير الشيء في نفسه، بأن يجعل له قدراً، وتقديره قبل وجوده، فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته، كان ذلك أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المعينة، خلافاً لمن أنكر ذلك، وقال: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات، فالقدر يتضمن العلم القديم والعلم بالجزئيات.

الثالث: أن يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخباراً مفصلاً، فيقضي أنه يمكن أن يعلم العباد الأمور قبل وجودها علماً مفصلاً، فيدل ذلك بطريق التنبيه على أن الخالق أولى بهذا العلم، فإنه إذا كان يعلم عباده بذلك فكيف لا يعلم هو؟

الرابع: أن يتضمن أنه مختار لما يفعله، محدث له بمشيئته وإرادته، ليس لازماً لذاته.

الخامس: أنه يدل على حدوث هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره ثم يخلقه (٢).

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: «إن الله عز وجل لم يزل عالماً بالخلق وأعمالهم، قبل أن يخلقهم، ولا يزال عالماً بهم، ولم

(١) سورة الفرقان، آية: ٢.

(٢) شرح الطحاوية (٣٠٦).

يزدد في علمه بكيونة الخلق خردلة واحدة»^(١).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة قال به غلاة القدرية الأوائل فقد روى مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر قال: انطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتفتته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه وأحدن عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر^(٢).

وقد كفر السلف من ينكر علم الله تعالى القديم من القدرية.

قال الشافعي: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا^(٣).

سئل الإمام أحمد: عمن جحد العلم قال يستتاب فإن تاب وإلا

(١) الرد علي الجهمية (١١٢) ط/ دار السنية.

(٢) صحيح مسلم في كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ح (٨).

(٣) شرح الطحاوية (٣٠٢).

ضربت عنقه^(١).

وقال الإمام أحمد: القدرى الذي يقول: إن الله لم يعلم الشيء حتى يكون، هذا كافر^(٢).

وغلاة القدرية الأوائى انقرض مذهبهم والمتأخرون منهم يثبتون علم الله سبحانه بالأشياء قبل وقوعها.

قال القاضى عبدالجبار المعتزلى: «وهو عالم، لأن فى الشاهد العلم المحكم لا يصح إلا من عالم، كالكتابة والبناء والصياغة، وما خلقه الله - تعالى - أبلغ فى الأحكام من قبل ذلك...» وقال: وهو عالم لذاته لا بتعلم، ولا بأن جعله غيره عالماً وهو لم يزل ولا يزال بكل معلوم، كما أنه كان موجوداً لذاته لا يحتاج إلى فاعل كان موجوداً فيما لم يزل ولا يزال^(٣).

قال القرطبى: «قد انقرض هذا المذهب ولا نعرف أحداً ينسب إليه من المتأخرين، والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها. وإنما خالفوا السلف فى زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهباً باطلاً أخف من الأول^(٤).

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (١/١٤٤).

(٢) المصدر نفسه (١/١٤٢).

(٣) المختصر فى أصول الدين (٢١٠) ضمن رسائل العدل والتوحيد.

(٤) فتح البارى (١/١١٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد، صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق»^(١).

* * *

يسأل: عن الباري جل جلاله هل كان ناظراً إلى أشخاص المخلوقات قبل كونها أم^(١) علمها قبل كونها؟
فإن قال^(٢): علمها قبل كونها، فهو سني.

وإن قال: نظر^(٣) إليها قبل كونها، فهو سالمي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٤).

وقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾^(٥).

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾^(٦).

وإذا ثبت أن المعدوم ليس بشيء لا يجوز أن يقال: إنه نظر إليها، لأن النظر لا يقع إلا على الشيء، ولأن هذا يؤدي إلى القول بقدم العالم، ومن قال بقدم العالم، فهو كافر لا شك في كفره^(٧).

* * *

(١) الصواب لغة: «أو».

(٢) في م: «وإن قال».

(٣) في م: «كان ناظراً».

(٤) سورة الإنسان، آية: ١.

(٥) سورة مريم، آية: ٦٧.

(٦) سورة مريم، آية: ٩.

(٧) من قوله: «دليلنا إلى قوله: لا شك في كفره» ليست في م.

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن علم الله سابق لخلق الموجودات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۚ﴾^(١)، فعلم الله منهم عدم الإيمان قبل مجيء الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَأَمْرِ بَعَادَى لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ۚ﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ۚ﴾^(٢)، فأخبر الله باتباعهم وإغراقهم قبل أن يكون.

وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفينَ ۚ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾^(٣) فأخبر باختلافهم قبل أن يختلفوا.

فكل هذه النصوص تدل على أن الله سبق علمه على وجود الموجودات.

قال ابن حزم: «لما أخبر الله عز وجل بأن أهل النار لو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه، وأخبر الله عز وجل بأنه يعلم متى تقوم الساعة... وسائر ما في القرآن من الأخبار الصادقة عما لم يكن بعد، علمنا بذلك أن علمه تعالى بالأشياء كلها يتقدم على وجودها...»^(٤).

(١) سورة يونس، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة الدخان، آية: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.

(٤) الفصل (٢/١٣٠).

قال الإمام الدارمي - رحمه الله - : «لقد علمت الملائكة - بما علمهم الله - ما هو كائن من بني آدم من الفساد وسفك الدماء قبل أن يخلقوا فكيف خالقهم الذي علمهم ذلك فقالوا: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ .

فقال : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) (٢) .

وما نسبه المؤلف إلى السالمية وافقه على نسبة هذا القول لهم القاضي أبو يعلى فقال : «والباري - سبحانه - فيما لم يزل لم يكن رائياً للعالم وجوداً له عدماً في ذاته، بل كان رائياً لذاته وسائر صفاته الذاتية فقط، خلافاً لابن سالم البصري في قوله : إن الباري فيما لم يزل كان رائياً للعالم وجوداً له عدماً في ذاته، والدلالة على فساد قولهم قوله تعالى في قصة زكريا : ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسَيْرِ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ (٤) .

فأخبر أنه يرى أعمالهم بعد فعلها، ولأن العالم لا يخلو فيما لم يزل من أن يكون موجوداً أو معدوماً، فإن كان معدوماً والباري يراه موجوداً له، أدى إلى أن يكون الباري عز وجل يرى المرئي على خلاف ما هو عليه، وهذه صورة الجاهل، والله يتعالى عن ذلك، فإن كان

(١) سورة البقرة، آية : ٣٠ .

(٢) الرد على الجهمية (١٣٥ - ١٣٦) دار السلفية .

(٣) سورة مريم، آية : ٩ .

(٤) سورة التوبة، آية : ١٠٥ .

العالم موجوداً فيما لم يزل، أدى إلى قدم العالم لأن كل شيء موجود فيما لم يزل وجب أن يكون قديماً، وقد دلت الأدلة على حداث العالم، وإذا كان كذلك بطل كون العالم مرئياً للباري وجوداً له عدماً في ذاته»^(١).

* * *

يسأل: عن سلوك الجن في بني آدم^(١)؟

فإن قال^(٢): يسلكون^(٣)، فهو سني.

وإن قال^(٤): لا يسلكون^(٥)، فهو معتزلي^(٦).

لقول النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من أحدكم كمجرى الدم، فضيقوا مسالكه بالجوع والعطش»^{(٧)(٨)}.

* * *

(١) في م: «في بدن ابن آدم».

(٢) في م: «فإن أقرَّ به».

(٣) «يسلكون» ليست في م.

(٤) في م: «وإن أنكره».

(٥) «لا يسلكون» ليست في م.

(٦) كتب في الهامش: «عن ابن عمر إن الشيطان يجري من بني الإنسان مجرى الدم والروح» تفسير هشام وروي أن امرأة أتت بابل لها إلى النبي ﷺ وبه جنة فأخذ النبي ﷺ بمنخره، ثم قال: أخرج فإني محمد رسول الله» شرح السنة.

(٧) من قول: «لقول النبي ﷺ إلى قوله: بالجوع والعطش» ليست في م

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه (٢٠٣٨)

ومسلم في كتاب السلام (٢١٧٤) والترمذي في كتاب الرضاع (١١٧٣) وأبو داود في

كتاب الصوم (٢٤٧٠) وأحمد (٢٦٣٢٢) وابن ماجه في كتاب الأيام (١٧٧٩) من

حديث صفية بن حيي رضي الله عنها دون زيادة (فضيقوا مسالكه بالجوع والعطش).

دراسة المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ ^(١) .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » ^(٢) .

وقال عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل : قلت لأبي : إن أقواماً يقولون : إن الجن لا يدخل في بدن المصروع فقال : يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه .

حتى قال - رحمه الله - : وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع غيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك ^(٣) .

قال القاضي أبو يعلى : « وقد يتوصل من الشيطان وسواس، والوسواس يحتمل أن يفعل كلاماً خفياً يدركه القلب، ويمكن أن يكون هو الذي يقع عند الفكر، ويكون منه مس وسلوك، ودخول في أجزاء

(١) سورة البقرة، آية : ٢٧٥ .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٨٨ .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٧٦) .

الإنسان ويتخطفه خلافاً للبعض في إنكارهم سلوك الشياطين في أجسام الإنس. وزعموا أنه لا يجوز وجود روحين في جسد، والدلالة عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبَطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^(٢).

وقال النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم»^(٣).

ولأنه لا يمتنع أن يدخل الشيطان في أجسامنا سواء كانت رقيقة أو كثيفة كالطعام والشراب»^(٤).

وقد جاءت الأخبار الصحيحة الصريحة في إثبات دخول الجن في الإنسان فعن عثمان بن أبي العاص قال: «لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي، حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فلم يرع رسول الله ﷺ إلا وأنا بين يديه فقال: ابن أبي العاص قلت: نعم يارسول الله، فقال: ما جاء بك؟ قلت: يارسول الله عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، قال: ذاك الشيطان، ادنه، قال: فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي، قال: أفغرفاك ففغرت فاي، قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي، وقال: أخرج عدو الله من صدره، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: الحق بعملك، فقال عثمان: فلعمري ما

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٢) سورة الناس، آية: ٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف باب زيارة المرأة زوجها (٢٠٣٨).

(٤) المعتمد (١٧٤).

أحسبه خالطني بعد»^(١).

ومن الأدلة: حديث يعلى بن مرة - رضي الله عنه -، قال: لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثاً، ما رآها أحد قبلي، ولا يراها أحد بعدي، خرجت معه في سفر حتى إذا كنا في بعض الطريق، مررنا بامرأة جالسة، معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء، وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة؟

قال: ناولنيه، فرفعته إليه، فجعلته بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغره فاه، فنث فيه ثلاثاً، وقال: بسم الله، أنا عبدالله، أخساً عدو الله، ثم ناولها إياه، فقال: القينا في الرجعة في هذا المكان، فأخبرينا ما فعل.

قال: فذهبنا، ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث، فقال ﷺ: ما فعل صبيك؟ فقالت: والذي بعثك بالحق، ما حسنا منه شيئاً حتى الساعة، فاجترز هذه الغنم، قال: انزل فخذ منها واحدة ورد البقية^(٢).

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٤٨) وابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائي (١٥٣١) (١٥٣٢) وصححه الوصيري في مصباح الزجاجة (٣٦/٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٠٩٧) (١٧٠٩٨) (١٧١١٥) (١٧١١٣) وابن أبي شيبة (٤٨٨/١١) ولحاكم وصححه (٦١٧/٢، ٦١٨) وجود إسناده المندري في لترعيب والترهيب (١٥٨/٣).

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٤٠/٦) «فهذه طرق جيدة متعددة، تميد غلبة الظن أو القطع عند المتحريين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة في الحملة».

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة قال به طائفة منهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وقد أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع»^(١) .

وقال الفخر الرازي : «قال : الجبائي : الناس يقولون : المصروع إنما حدثت به تلك الحالة ؛ لأن الشيطان يمسه ويصرعه ، وهذا باطل ، لأن الشيطان ضعيف لا يقدر على صرع الناس وقتلهم»^(٢) .

وقال السيوطي : «أنكر طائفة من المعتزلة دخول الجن في بدن المصروع»^(٣) .

وقال الشبلي : «أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي محمد بن زكريا الطيب وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع»^(٤) .

وقال الألوسي : «وقال المعتزلة والقفال من الشافعية : أن كون الصرع والجنون من الشيطان باطل لأنه لا يقدر على ذلك»^(٥) .

إلا أن بعض المعتزلة يقول بدخول الجن في بدن الإنسان فقد نقل الشبلي كلاماً طويلاً للقاضي عبد الجبار وفيه «أن عمرو بن عبيد قال :

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص ٦ ت منبر آغا ، م الرياض الحديثة - الرياض - السعودية .

(٢) التفسير الكبير (٩٨/٧) ط ٢ الطبعة البهية - القاهرة - الناشر دار الكتب العلمية .

(٣) لقط المرحان في أحكام الجان (١٣٤) دار الكتب العلمية .

(٤) آكام المرجان في أحكام الجان ١٠٦ ط محمد علي صبيح ١٣٧٦ هـ .

(٥) روح المعاني (٤٩/٣) دار إحياء التراث بيروت لبنان .

إن المنكر لدخول الجن في أبدان الإنس دهري أو يجيء منه دهري . .
قال القاضي عبد الجبار: وإنما قال ذلك لأنها قد صارت من الشهرة
والظهور كشهرة الأخبار في الصلاة والصيام والحج والزكاة، ومن أنكر
هذه الأخبار التي ذكرناها كان راداً، والرادُّ على الرسول ﷺ ما لا سبيل
إلى علمه إلا من جهته كافر . .»^(١).

* * *

(١) آكام المرجان (١٠٩).

يسأل عن من اعتقد الإيمان بقلبه ولم يقرّ بلسانه، هل يصير مؤمناً أم ^(١) لا؟

فإن قال: لا يصير مؤمناً، فهو سني.

وإن قال: يصير مؤمناً، فهو مرجيء وأشعري ^(٢).

دليلنا: قوله ﷺ: «الإيمان قول وعمل ونية وموافقة السنة منوط بعضها ببعض، لا يقبل الله واحد ^(٣) دون أخرى» ^(٤) ^(٥).

* * *

(١) الصواب لغة: «أو».

(٢) في م: «يسأل عن الكافر إذا اعتقد الإسلام ولم يتلفظ بلسانه؟ هل يكون ذلك مؤمناً أم لا؟ فإن قال: لا يكون مؤمناً، فهو سني، وإن قال: يكون مؤمناً، فهو أشعري».

(٣) هكذا في الأصل والصواب (واحدة).

(٤) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ج (٦٥) من حديث علي وقال أبو الصلت لو قرىء هذا الإسناد على مجنون لبرأ. وفيه علي بن موسى بن جعفر أبو الحسن الرضا قال ابن حبان: يروي عن أبيه العجائب كأنه كان بهم يخطو. انظر التهذيب (١٧٣٢٩).

وقال السيوطي في اللآلي المصنوعة (١/٣٥): موضوع فيه أبو الصلت عبدالسلام ابن صالح متهم لا يجوز الاحتجاج به.

(٥) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: دون أخرى» ليست في م.

دراسة المسألة :

ماقرر المؤلف عن أهل السنة : صواب ، فمن شرط الإيمان النطق باللسان وعلى هذا تدل النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَلَا نَسْمِعُ لِمَنْ يُشْرِكُ وَنَعْتُوبُ وَلَا نَسْتَبِطُ وَمَا أُوْنِي مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوْنِي النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢) ، وقال ﷺ : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير » (٣) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : إن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله ﷺ أمرهم بالإيمان بالله عز وجل قال : أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ،

(١) سورة البقرة ، آية : ١٣٦ .

(٢) سورة الأحقاف ، آية : ١٣ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى : « لما خلقت بيدي » (٧٤١٠) ومسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلاً (١٩٣) .

وأن تعطوا الخمس من المغنم»^(١).

وفي حديث جبريل الطويل . . قال يا محمد! أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال: صدقت، قال: عجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره . .»^(٢).

وعلى هذا أجمع السلف رحمهم الله.

قال عبدالرازق الصنعاني: «سمعت من أدركنا من شيوخنا وأصحابنا . . يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»^(٣).

قال البخاري: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان: قول وعمل ويزيد وينقص»^(٤).

قال الآجري: «الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان وعمل بالجوارح،

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب قوله: (منيبين إليه وائقوه) (٥٢٣) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب، الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله (٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل (٥٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان ح (٨).

(٣) شرح صحيح مسلم (١/١٤٦).

(٤) شرح أصول الاعتقاد (١/١٧٣-١٧٤) اللالكائي.

ثم اعلّموا: أنه لا تجزىء المعرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معهما الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزىء معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين . . .»^(١).

أما ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة فقد قدمنا أن الإيمان عند الأشاعرة هو التصديق بالقلب، ولا يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان . . . وما نسبته المؤلف هو الظاهر من قولهم.

قال الآمدي: «فعلى هذا مهما كان مصداقاً بالجنان على الوجه الذي ذكرنا وإن أخل بشيء من الأركان فهو مؤمن حقاً، وانتفاء الكفر عنه واجب، وإن صح تسميته فاسقاً»^(٢).

قال الجويني: «فحقيقة الإيمان عندنا التصديق قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾»^(٣) وما أنت بمصدق لنا، والمؤمن على التحقيق من انطوى عقداً على المعرفة بصدق من أخبر عن صانع العالم وصفاته وأنبيائه، فإن اعترف بلسانه ما عرف بجنانه فهو مؤمن ظاهراً وباطناً، وإن لم يعترف بلسانه معانداً لم ينفعه علم قلبه، وكان في حكم الله من الكافرين كفر جحود وعناد»^(٤).

(١) الشريعة (١١٩).

(٢) العقيدة النظامية (٦٢) مطبعة الأنوار (١٣٦٧) هـ ت الكوثري.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٧.

(٤) غاية المرام (٣١٩).

يسأل: عن الاغتسال من الجنابة؟

فإن قال: هو فرض، فهو مسلم^(١).

وإن قال: غيره، فهو كافر^(٢).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾^(٣).

وقوله ﷺ^(٤): «بلوا الشعر، وأنقوا البشر، فإن تحت كل شعرة جنابة»^(٥).

والجنب يحرم عليه مس المصحف، وحمله، لقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٦).

ويحرم على الجنب سبعة أشياء فدل على أن الغسل واجب عليه^(٧).

(١) في م: «فإن قال به فهو سني».

(٢) في م: «وإن أنكره، فهو خارجي».

(٣) سورة المائدة، آية: ٦.

(٤) اختصر المؤلف الصلاة على النبي وأثبتها كاملة.

(٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة باب تحت كل شعرة جنابة (٥٩٧) والترمذي في كتاب الطهارة (١٠٨) وأبوداود في كتاب الطهارة (٢٤٨) من حديث أبي هريرة وفيه الحارث بن وجبه قال أحمد: لا أعرفه وقال ابن معين ليس بشيء، وقال أبوداود: حديثه منكر وهو ضعيف، وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي أيوب الأنصاري (٥٩٨) بسند حسن.

(٦) سورة الواقعة، آية: ٧٩.

(٧) من قوله: «دليلنا... إلى قوله: واجب عليه» ليست في م.

دراسة المسألة:

أجمع العلماء على أن الغسل من الجنابة فرض وعلى هذا تدل الأدلة من الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾^(١).

وقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا﴾^(٢).

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ومس الختان الختان فقد وجب الغسل»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الطهارة من الجنابة فرض، ليس لأحد أن يصلي جنباً ولا محدثاً حتى يتطهر، ومن صلى بغير طهارة شرعية مستحلاً لذلك فهو كافر، إن كان قادراً على الاغتسال بالماء اغتسل، وإن كان عادماً للماء، ويخاف الضرر باستعماله بمرض أو خوف برد تيمم وصلى»^(٤).

وقد حكى إجماع المسلمين على أن غسل الجنابة فرض ابن هبيرة

(١) سورة النساء، آية: ٤٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العسل باب إذا التقى الختانان (٢٩١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض باب نسخ الماء من الماء (٣٤٨).

(٤) الفتاوى (٢٩٥/٢١).

في الإفصاح^(١).

والغسل بضم الغين هو الاغتسال، وهو استعمال الماء في جميع البدن على وجه مخصوص وبالفتح الماء الذي يغتسل به^(٢).

ويوجب الغسل ستة أشياء:

- ١ - خروج المني دفقاً بلذة.
- ٢ - تغييب حشفة أصلية في فرج أصلي قبلاً كان أو دبر.
- ٣ - إسلام الكافر.
- ٤ - الموت.
- ٥ - الحيض.
- ٦ - النفاس^(٣).

وقد ذكر المؤلف أن الجنب يحرم عليه سبعة أشياء والذي في كتب الفقهاء أنه يحرم عليه خمسة أشياء وهي الصلاة، والطواف، ومس المصحف، وقراءة القرآن، واللبث في المسجد^(٤).

والواجب في الغسل: أن يعم بالماء جميع بدنه، وداخل فمه

(١) انظر الإفصاح (٨٣/١).

(٢) انظر المصباح المينر (١٧٠ ص) ومختار الصحاح (ص ٢٦٠).

(٣) انظر الروض المربع (١/٢٧٠ - ٢٧٧) والتلخيص (١٢/٥١) لعبد الوهاب بن نصر المالكي وتحفة الملوك (١/٣١) لمحمد أبي بكر الرازي والتذكرة (١/٤٧) لابن الملقن.

(٤) انظر الروض المربع (١/٧٤) وكشف المخدرات (١/٣٣) والتلخيص (١/٤٧) لابن الملقن.

وأنفه^(١) والأكمل أن يتوضأ، ثم يغتسل كما كان ﷺ يفعل، فعن ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ أنها قالت: «وضعت لرسول الله ﷺ وضوء الجنابة، فأكفأ بيمينه على يساره مرتين أو ثلاثاً، ثم غسل فرجه، ثم ضرب يده بالأرض أو الحائط مرتين أو ثلاثاً ثم تمضمض واستنشق، وغسل وجهه وذراعيه ثم أفاض على رأسه الماء، ثم غسل سائر جسده، ثم تنحى فغسل رجله قالت: فأتيته بخرقه فلم يردّها، فجعل ينفض الماء بيديه»^(٢) وقالت عائشة - رضي الله عنها -: «كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة، غسل يديه، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم يغتسل ثم يخلل بيديه شعره، حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته، أفاض الماء عليه ثلاث مرات، ثم غسل سائر جسده»^(٣).

* * *

(١) انظر دليل الطالب (٢٠) لمربي بن يوسف الكرمي الحنبلي المطبعة الفصليّة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ مكة المكرمة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الغسل باب تحليل الشعر (٢٧٤) ومسلم الطهارة باب صفة غسل الجنابة (٣١٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الغسل باب تحليل الشعر (٢٧٣) ومسلم الطهارة باب صفة غسل الجنابة (٣١٦).

يسأل: عن حروف المعجم هل هي مخلوقة أم^(١) لا؟

فإن قال: غير مخلوقة، فهو سني.

وإن قال: مخلوقة، فهو جهمي.

وإن وقف فيها، فهو أشعري^(٢).

حروف المعجم: أ، ب، ت، ث، إلى آخره ثلاثون حرفاً^(٣).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿صَوَّرْنَا الْقُرْآنَ ذِي الْذِكْرِ﴾^(٤).

وقوله: ﴿تَنْزِيلَ الْقَلَمِ﴾^(٥).

وقوله: وحواميم السبع^(٦).

وقوله: ﴿كَهَيْعَ صَعَصَعٍ﴾^(٧).

F

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) في م: «يسأل عن حروف المعجم في كلام الآدميين، هل هي مخلوقة أو موقوفة فيها فن قال: غير مخلوقة، فهو سني، وإن قال: مخلوقة أو موقوفة فيها فهو أشعري».

(٣) اختلف في عددها منهم من قال تسعة وعشرون، ومنهم من جعلها باعتبار آخر تزيد على السبعين والذي عليه الجمهور أنها ثمانية وعشرون حرفاً.

انظر: مقدمة لسان العرب (١٣/١) ط/ دار صادر بيروت، وتهذيب اللغة (٤٩/١) الأزهر ط/ الدار المصرية.

(٤) سورة ص، آية: ١.

(٥) سورة القلم، آية: ١.

(٦) آية: (١) من سورة: غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.

(٧) سورة مريم، آية: ١.

و ﴿طه﴾^(١)، و ﴿طس﴾^(٢)، و ﴿يس﴾^(٣)، و ﴿الم﴾^(٤) تِلْكَ
 ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٤﴾، والدلائل على هذا أكثر من أن
 تحصى^(٥).

* * *

(١) سورة طه، آية: ١.

(٢) سورة النمل، آية: ١.

(٣) سورة يس، آية: ١.

(٤) سورة لقمان، الآيتان: ١، ٢.

(٥) من قوله: «دللنا إلى قوله: أكثر من أن تحصى» ليست في م

دراسة المسألة:

تنازع المنتسبون إلى السنة في هذه المسألة على قولين فقالت طائفة منهم كابن حامد، والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، وأبي نصر السجزي، إلى أن حروف المعجم مخلوقة والحروف حرفان: هذا قديم، وهذا مخلوق.

وقالت طائفة منهم: كالقاضي يعقوب البرزيني والشريف أبي الفضائل الزيدي الحراني وقول القاضي أبي الحسين وحكاه عن أبيه في آخر قوليه وابن الزاغوني وهو قول المصنف: الحرف حرف واحد، وحروف المعجم كلها غير مخلوقة حيث تصرفت؛ لأنها من كلام الله، وحقيقة الحرف واحدة لا تختلف^(١).

فالطائفة الأولى: تعلقت بقول الإمام أحمد - رحمه الله -: كل شيء من المخلوقين على لسان المخلوقين فهو مخلوق.

وبقوله: لو كان كذلك لما تمت صلاة بالقرآن كما لا تتم بغيره من كلام الناس^(٢).

وبقوله: لأحمد بن الحسن الترمذي: أأنت مخلوقاً؟ قال: بلى، قال أليس كل شيء منك مخلوقاً؟ قال: بلى، قال: فكلامك منك وهو

(١) انظر الفتاوى (١٢/٨٥ - ٨٦، ٤٤١ - ٤٤٢).

(٢) انظر الفتاوى (١٢/٤٤٢).

مخلوق^(١).

والطائفة الثانية: تعلقت بقول الإمام أحمد لما قيل له: إن سريا السقطي قال: لما خلق الله الأحرف، سجدت له إلا الألف، فقالت: لا أسجد حتى أمر فقال أحمد: هذ كفر^(٢).

والطائفة الأولى: لا تنازع الطائفة الثانية في أن الحروف من كلام الله غير مخلوقة وتنكر على من يقول: إن الحروف مخلوقة، فإنه إذا قال ذلك دخل فيه حروف كلام الله - تعالى - من القرآن وغيره وهم يخصون الكلام في الحروف الموجودة في كلام الله^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أن حقيقة الخلاف بين الطائفتين لفظياً: «وبالجملة فمن نظر إلى أن حقيقة الحرف التي لا تختلف موجودة في كلام الله وكلام الله غير مخلوق، قال: إنها [غير]^(٤) مخلوقة إشارة إلى نفس حقيقة الحرف، لا إلى عين جزء اللفظ الذي ينطق به الكفار والمشركون، فإن ذلك الحرف الذي هو صوت لمقدر أو تقدير صوت قائم بالكافر والمشرک لا يقول عاقل: إنه غير مخلوق، مع أنه ليس مضافاً إلى الله بوجه من الوجوه، وإنما يضاف إلى الله ما شاركه في اسمه مما كان متعلقاً بالمعنى المضاف

(١) انظر الفتاوى (١٢/٤٤٢).

(٢) انظر الفتاوى (١٢/٨٥).

(٣) انظر الفتاوى (١٢/٤٤٢).

(٤) سقطت هناك كلمة [غير] من المطبوع من الفتاوى وأضفتها لأن المعنى لا يستقيم إلا بها.

إلى الله .

وهذا بخلاف التي في كلام الله، فإن تلك كلام الله كيف ما تصرفت، ونحن لما يسر الله كلامه بألسنتنا أمكننا أن نتكلم بكلامه، لكن بأدواتنا وأصواتنا وليس تكلمنا به وسمعه منا كتكلم الله به وسمعه منه، كما أن الله ليس كمثله شيء فكذلك سائر ما يضاف إليه، لكن لما أنطقنا الله بأدواتنا وحركتنا وأصواتنا صار بين بعض لفظنا به ولفظنا بغيره نوع من الشبه، فإذا تكلمنا بكلام آخر فهو يشبه من بعض الوجوه لفظنا، وصوتنا بالقرآن لا يشبه تكلم الله به وقراءته إياه فإذا كان وجود هذه الحروف في كلام الآدميين ليس بمنزلة تكلم الله بالقرآن، وإنما يشبه من بعض الوجوه تكلمنا به من جهة ما يضاف إلينا لا من جهة ما يضاف إلى الله، امتنع حينئذ أن يقال: عين الحرف الذي هو جاء لفظه من الاسم الذي ينطق به الناس هو عين الحرف الذي هو جزء لفظ من لفظ من كلام الله - تعالى - .

وإنما يشبهه ويقاربه، فهو باعتبار النوع، وليس هو باعتبار العين والشخص، بخلاف حروف كلام الله القرآن، فإنها كلام الله حيث تصرفت، فمن قال: إن الحروف حرفان أراد به أنهما عينان وشخصان وهذا حق، ومن قال: الحرف حرف واحد أراد به أن الحقيقة النوعية واحد في الوضعين وهذا حق.

ومن قال: إن حروف الهجاء من كلام الآدميين غير مخلوقة فقد صدق باعتبار الحقيقة النوعية.

ومن قال: إنها مخلوقة باعتبار العين فقد صدق.

ونظير هذا كثير يوجد في كلام أهل العلم وأهل السنة من النفي والإثبات، ويكون النزاع في معنيين متنوعين نزاعاً لفظياً اعتبارياً^(١).

ما نسبته المؤلف إلى الجهمية لم أجد لهم تصريحاً بذلك ولا شك أنهم بمثل هذا قائلون فإن من أشهر ما خالف فيه الجهمية القول بخلق القرآن وعنهم تلفاه المعتزلة.

قال الأشعري: وكان جهم يقول بخلق القرآن^(٢).

أما ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة من القول بالتوقف فيه نظر، فهم يصرحون بأن الحروف مخلوقة.

قال الغزالي: «فنقول كلام الله - تعالى - مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، مقروء بالألسنة، وأما الكاغد، والحبر، والكتابة، والحروف، والأصوات كلها حادثة، لأنها أجسام، وأعراض في أجسام، وكل ذلك حادث»^(٣).

قال الجويني: «والكتابة: أحرف منظومة، وأشكال مرفوعة وهي حوادث والمفهوم منها كلام الله - تعالى»^(٤).

قال الباقلاني: «دليل آخر على حدث الحرف، وهو أن الأمة

(١) الفتاوى (١٢/٤٥١-٤٥٢).

(٢) المقالات (١/٣٣٨).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (١٢٤) ط كلية الإلهيات أنقره.

(٤) لمع الأدلة (١٠٦) علم الكتب

مجمعة على أن من قرأ كلام الله - تعالى - في صلاته لم تبطل صلاته، ولا خلاف أن من قرأ حروف التهجي في صلاته بطلت صلاته، فعلم بذلك أنها ليست بكلام الله - تعالى -^(١).

قال الأيجي: «... إذا عرفت هذا فاعلم أن ما يقوله المعتزلة وهو خلق الأصوات والحروف وكونها حادثة قائمة، فنحن نقول به ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك»^(٢).

والمؤلف في مختصر المسائل نسب إلى الأشاعرة القول بالتوقف، والقول بخلق الحروف إلى الأشاعرة، كما أنه في التبصرة نسب إليهم القول بخلق الحروف^(٣).



(١) الإنصاف (١٠١) ط / عالم الكتب.

(٢) شرح المواقف (٢٩٤) ط / عالم الكتب.

(٣) انظر التبصرة (١٧٦).

يُسأل: عن أوامر الله ومناهيه، هل له صيغة أم ^(١) لا؟
والصيغة: السماع، كقول العرب: أصغ إلي أي استمع.
فإن قال: له صيغة، فهو سني.

وإن قال: لا، فهو أشعري، وجهمي ^(٢).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ^(٣).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ ^(٤)، الآية. ومثل هذا في القرآن كثير ^(٥).

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) في م: «يسأل عن الأمر هل له صيغة أم لا صيغة له؟
فإن قال: له صيغة، فهو سني، والصيغة من الأمر الذي تحاسه أذنك، كقوله: أقيموا الصلاة، فعند الأشعري لا صيغة له، أي ليس له أمر يسمعه، وإنما أمره قائم في نفسه لم يسمعه، وإنما أمره قائم في نفسه لم يسمعه أحد من الخلق، فإن قال: لا صيغة له، فهو أشعري.

(٣) جزء من آية: (٤٣) و(١١٠) سورة البقرة وآية (٧٧) و(٥٦) النور و(٢٠) المزمّل، وفي الأصل كتب (أقيموا) وما أثبتها هو الصواب.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٥) من قوله: «دليلنا إلى قوله: في القرآن كثير» ليست في م.

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن أوامر الله ونواهيه لها صيغة يعلم به الأمر والنهي قال الإمام الموفق ابن قدامة: «وللأمر صيغة مبنية تدل بمجردا على كونها أمر إذا تعرت عن القرائن وهي: افعل للحاضر، وليفعل للغائب، هذا قول الجمهور، وزعمت فرقة من المبتدعة أنه لا صيغة للأمر بناء على خيالهم أن الكلام معنى قائم بالنفس فخالفوا الكتاب والسنة وأهل اللغة والعرف.

أما الكتاب: فإن الله - تعالى - قال: لذكرى: ﴿ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ۝ فَنَجَّ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝^(١)، فلم يسم إشارته إليهم كلاماً.

وقال لمريم: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ۝^(٢) فالحجة فيه مثل الحجة في الأول.

وأما السنة: فإن النبي ﷺ قال: «إن الله عفا لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به»^(٣).

وقال لمعاذ - رضي الله عنه - : «أمسك عليك لسانك» قال: وإنا

(١) سورة مريم، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) سورة مريم، آية: ٢٦.

(٣) أخرجه البخاري في الطلاق باب الطلاق في الإغلاق (٥٢٦٩) ومسلم في كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس (١٢٧).

لمؤاخذون بما نقول؟ قال: ثكلتك أمك، وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»^(١).

وقال: «إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين»^(٢) ولم يرد بذلك ما في النفس.

وأما أهل اللسان: فإنهم اتفقوا على أن الكلام اسم وفعل وحرف. واتفق الفقهاء بأجمعهم على أن من حلف لا يتكلم فحدث نفسه بشيء دون أن ينطق بلسانه لم يحنث ولو نطق حنث.

وأهل العرف كلهم يسمون الناطق متكلماً، ومن عداه ساكتاً أو أخرس، ومن خالف كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ وإجماع الناس كلهم على اختلاف طبقاتهم فلا يعتد بخلافه»^(٣).

قال مجد الدين ابن تيمية: «إذا وردت صيغة «أفعل» من الأعلى إلى من هو دونه متجردة عن القرائن فهي أمر، وقالت المعتزلة: لا يكون أمراً إلا بإرادته الفعل، وقالت الأشعرية: ليست للأمر صيغة، وصيغة «أفعل» لا تدل عليه إلا بقرينة، وإنما الأمر معنى قائم بالنفس»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٦١٦) وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه في كتاب الفتن (٣٩٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب التسميع والتأمين (٤١٠).

(٣) روضة الناظر مع شرحها نزهة الخاطر لابن بدران الحنبلي (٦٢/٢ - ٦٥) ط / دار الكتب العلمية.

(٤) المسودة (٤) ط / المدني القاهرة.

والقول في الأمر هو القول في النهي وأن كلا منهما له صيغة يعرف بها .

قال ابن قدامة: «اعلم أن ما ذكرناه من الأوامر تتضح به أحكام النواهي إذ أن لكل مسألة من الأوامر وزان من النواهي على العكس، فلا حاجة إلى التكرار إلا في اليسير»^(١).

قال ابن بدران في بيان هذا: «قوله: «لكل مسألة من الأوامر وزان من النواهي». أي حكم موازنة على العكس، مثاله في أحدهما: أن الأمر اقتضاء فعل، والنهي اقتضاء كف عن فعل، والأمر ظاهر في الوجوب واحتمال الندب، والنهي ظاهر في التحريم مع احتمال الكراهة، وصيغة الأمر افعل، وصيغة النهي لا تفعل»^(٢).

قال أبو حامد الإسفراييني: «ذهب أئمة الفقهاء إلى أن الأمر له صيغة تدل بمجردا على كونه أمراً وإذا عريت عن القرائن كان أمراً، ولا يحتاج في كونه أمراً إلى قرينة، هذا مذهب الشافعي - رحمه الله - ومالك وأبي حنيفة والأوزاعي وجماعة من أهل العلم»^(٣).

ما نسبته المؤلف إلى الجهمية لم أقف على من نسبته إليهم غيره .

أما ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة فصواب .

(١) روضة الناظر (١١١/٢).

(٢) المصدر نفسه (١١١/٢).

(٣) الرهان في أصول الفقه (١٥٧/١) دار الوفاء للنشر والتوزيع ط ١٤١٢ هـ ت عبد العظيم الديب .

قال السجزي: «وعند الأشعري: أن الأمر لا صيغة له، إذا قال الله - سبحانه -: افعلوا كذا لا يفهم منه وجوب ولا ندب ولا غير ذلك، ولا يفيد بمجرد شئاً حتى يقتضيه دليل على المراد به»^(١).

وقال الجويني: «فالمنقول عن الشيخ أبي الحسن - رضي الله عنه - ومتبعيه من الواقفية: أن العرب ما صاغت للأمر الحق القائم بالنفس عبارة فردة، وقول القائل: (افعل) متردد بين الأمر والنهي...»^(٢).

وقال السبكي: «وقد نقل عن الشيخ أبي الحسن، أنه لا صيغة للأمر تخص به، وأن قول القائل: «أفعل» متردد بين الأمر والنهي، وإن فرض حمله على غير النهي، فهو متردد بين جميع احتمالاته، ثم اختلف أصحابه في تنزيل مذهبه فقال قائلون: اللفظ صالح لجميع المحامل صلاح اللفظ المشترك للمعاني التي هيئت اللفظة لها، وقال آخرون: ليس المعنى بتوقف أبي الحسن في المسألة، إلا أن لا ندري على أي وضع جرى قول القائل: «افعل» في اللسان فهو مشكوك فيه على هذا الرأي، ثم نقل عن أبي الحسن ناقلون: أن يستمر على القول بالوقف مع فرض القرائن»^(٣).

وليس كل الأشاعرة على القول بهذا فقد قال بخلافه أبو إسحاق الشيرازي.

(١) رسالة السجزي (١٩٦).

(٢) درء التعارض (١٠٦/٢) لابن تيمية.

(٣) الإبهاج شرح المنهاج (١٦/٢) ط/ دار لكتب العلمية بيروت ١٤٠٤ هـ.

فقال: «لأمر صيغة موضوعة في اللغة وهو قول الرجل لمن دونه «افعل» وقالت الأشعرية: ليس للأمر صيغة، وقوله: «افعل» لا يدل على الأمر إلا بقرينة»^(١).

وقال الآمدي: «هل للأمر النفساني صورة تدل عليه؟ نقل عن الأشعري نفيها وعن الغير إثباتها، والحق الإثبات فإن صيغة «افعل» تدل على الأمر لكنها غير خاصة به...»^(٢).

* * *

(١) التبصرة في أصول الفقه (٢٢) دار الفكر ١٤٠١هـ ت محمد حسن هيتو .
(٢) منتهى السؤل في علم الأصول (٤/٢) مطبعة محمد علي صبيح غير مؤرخة .

يُسأل: عن العقل هل هو مخلوق أم^(١) غير مخلوق^(٢)؟

فإن قال مخلوق، فهو سني.

وإن قال: غير مخلوق، فهو معتزلي كافر^(٣).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٤)، وأيضاً ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تعالى العقل، قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحسن منك لك الثواب وعليك العقاب»^(٥).

ومن قال: غير مخلوق، فقد جعل لله شريكاً، وجعل الثاني اثنين، ورد وحدانية الله تعالى، وفردانيته، لأن العقل عطية من الله وإلهاماً^(٦) للعبد^(٧).

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) في م: «أم لا».

(٣) «كافر» ليست في م.

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٢.

(٥) أخرجه ابن عدي كما في الموضوعات لابن الجوزي (١٧٤/١) وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كذب، موضوع عند أهل العلم بالحديث ليس هو في شيء من كتب الإسلام المعتمدة. الفتاوى (٣٣٦/١٨).

وقال ابن القيم: في المنار المنيف (٦٦) أحاديث العقل كلها مكذوبة كقوله لما خلق الله العقل . . .

(٦) الصواب لغة (إلهام) بالرفع.

(٧) من قوله: دليلنا إلى قوله وإلهاماً للعبد» ليست في م.

دراسة المسألة :

ما قرره المؤلف قد دلت عليه الأدلة وأجمع عليه سلف الأمة أن كل ما سوى الخالق فهو مخلوق مربوب قال سبحانه: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾»^(٢).

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^(٣).

وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤)، ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم، ولهذا قال أهل النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٥).

(١) سورة الزمر، آية: ٦٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٧٣.

(٣) سورة الحج، آية: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٨.

(٥) سورة الملك، آية: ١٠.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^{(١)(٢)}.

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة لم أجد في كتبهم إلا ما يشعر بخلافه.

قال القاضي عبد الجبار: «إن قيل قد ينتم أن القرب والبعد والحركة والسكون حوادث وأن الجسم محدث، فما الدليل على أن سائرهما في الأجسام من الأعراض محدث؟ قيل له: لأن الجسم إذا ثبت حدوثة فالألوان والطعوم والروائح لا توجد إلا في الأجسام، فيجب أيضاً أن تكون محدثة، ولأننا نعلم أن بعضها يبطل ويعدم بعضاً، فهي كالحركات والسكنات في هذا الباب»^(٣).

وقد نسب شيخ الإسلام ابن تيمية القول بأن العقل غير مخلوق، وأنه هو الرب، وهو العقل الفعال، الذي صدرت منه الخلائق نسبة إلى فلاسفة اليونان فقال: «والعقل في لغة فلاسفة اليونان جوهر قائم بنفسه... وهم يزعمون أن أول ما صدر عن رب العالمين جوهر قائم بنفسه، وأنه رب جميع العالم، وأن العقل العاشر هو رب كل ما تحت فلك القمر ومنه تنزلت الكتب على الأنبياء»^(٤).

قال شيخ الإسلام: «وأبو حامد يفرق بين عالم الخلق وعالم الأمر

(١) سورة الحج، آية: ٤٦.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨٧/٩).

(٣) المختصر في أصول الدين (٢٦٠) ضمن رسائل العدل والتوحيد.

(٤) الرد على المنطقيين (٢٧٦) ط/ معارف لاهور.

فيجعل الأجسام عالم الخلق والنفوس والعقول عالم الأمر، وهذا أيضاً ليس من دين الإسلام، بل كل ما سوى الله مخلوق عند المسلمين، والله تعالى خالق كل شيء.

وإذا ادعوا أن العقول التي أثبتوها هي الملائكة في كلام الأنبياء فقد ثبت بالنص والإجماع أن الله خلق الملائكة^(١).

* * *

(١) الرد على المنطقيين (١٩٧).

يسأل: عن العقل هل يُحلّل ويحرّم ويبيح ويحظر ويُحسن ويُقبح؟
فإن قال: العقل لا يحسن شيئاً ولا يقبحه ولا يحلّل ولا يحرم ولا
مدخل له في ذلك ألبتة، بل الشرع يحسنه ويقبحه ويحلّله ويحرّمه
ويأمره وينهاه لا غير، فهو سني.

وإن قال: يحسن ويقبح ويعمل، فهو معتزلي طاع^(١).
دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٢) ولو كان كما
يزعمون لعنهم^(٣) ما نزل القرآن، وما جاءت الرسل، وما نزل الوحي.
وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^{(٤)(٥)}.

* * *

٢

(١) من قوله: «فإن قال: العقل... إلى قوله: فهو معتزلي طاعي» ليست في م والذي في م: «فإن قال: له مدخل في ذلك، فهو معتزلي. وإن قال: لا مدخل له في ذلك، فهو سني».

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٣) لعل هنا سقط لفظ الجلالة (لعنهم الله).

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٥) من قوله: «دليلنا... إلى قوله... نبعث رسولاً» ليس في م.

دراسة المسألة :

ما نسبته المؤلف إلى أهل السنة عامة السلف على خلافه^(١).

بل يفصلون في ذلك ويقولون: إن إطلاق التحسين والتقبيح على كل فعل من جهة العقل وحده دون الشرع أو نفي دور العقل في تحسين الأفعال أو تقبيحها غير صحيح.

قال شيخ الإسلام: «والفقهاء وجمهور المسلمين يقولون: الله حرم المحرمات فحرمت، وأوجب الواجبات فوجبت، فمعنا شيان: إيجاب وتحريم، وذلك كلام الله وخطابه، والثاني وجوبٌ وحرمة، وذلك صفة للفعل، والله تعالى عليم حكيم، علم بما تتضمنه الأحكام من المصالح، فأمر ونهى لعلمه بما في الأمر والنهي، والمأمور والمحظور من مصالح العباد ومفاسدهم، وهو أثبت حكم الفعل، وأما صفته فقد تكون ثابتة بدون خطاب.

وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع:

أحدها: أن يكون مشتملاً على مصلحة أو مفسدة، ولو لم يرد الشرع بذلك، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهذا النوع هو حسن وقبح، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن، لكن لا يلزم من

(١) انظر الفتاوى (٦٧٧/١١).

حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخر، إذا لم يرد شرع بذلك وهذا مما غلط فيه القائلون بالتحسين والتقبيح العقلي، فإنهم قالوا: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيح ولو لم يبعث رسول وهذا خلاف النص قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٢).

النوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

النوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أو يعصيه؟ ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح، وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى، لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة، فلما أجاب الأعمى، قال الملك: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم، فرضي عنك وسخط على صاحبيك (٣).

فالحكمة منشؤها من نفس الأمر، لا من نفس المأمور به، وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة، وزعمت أن الحسن والقبح لا

(١) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٣) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث أبرص وأقرع وأعمى (٣٤٦٤) ومسلم في كتاب الزهد باب (٢٩٦٤).

يكون إلا لما هو متصف بذلك، بدون أمر الشارع، والأشعرية ادعوا: أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشارع ولا بالشرع.

وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب^(١).

وعلى هذا فالعقل قد يدرك حسن الأشياء وقبحها قبل ورود الشرع في بعض الشرائع، وفي بعض الشرائع إنما يكتسبه بخطاب الشارع، وفي بعضها يكون المراد فعل المأمور به لا نفس الأمر فلا يتوجه الحسن والقبح له، أما الأدلة التي تدل على أن العقل يدرك الحسن والقبح قبل ورود الشرع وأنه لا يترتب على ذلك ثواب ولا عقاب حتى يرد الشرع:

ما جاء عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: «يارسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»^(٢).

ما أخبر الله عنه من قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول كقوله لموسى: ﴿وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾^(٣).

وكذلك أمر الله الناس أن يتوبوا ويستغفروه مما فعلوه، فلو كان

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٣٤-٤٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المآقب باب: علامات النبوة (٣٦٠٦) ومسلم في كتاب الإمامة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٨٤٧).

(٣) سورة النازعات، آية: ١٩.

كالمباح المستوي الطرفين والمعفو عنه، وكفعل الصبيان والمجانين ما أمر الله بالاستغفار والتوبة، فعلم أنه كان من السيئات القبيحة، لكن الله لا يعاقب إلا بعد إقامة الحجة فقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمِغِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (١).

وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢) قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ (٣). فدل على أنها كانت ذنوباً قبل إنذاره إياهم.

وكذلك قال لوط لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٤). فدل على أنها كانت فاحشة عندهم قبل أن ينهاهم (٤).

أما ما نسبته المؤلف إلى أهل السنة فقد قال به الأشاعرة، قال شيخ الإسلام: «وقيل لا قبح ولا حسن ولا شر قبل الخطاب، وإنما القبيح ما قيل فيه «لا تفعل»، والحسن ما قيل فيه «افعل»، أو ما أذن في فعله كما تقوله الأشعرية» (٥).

قال الجويني: «العقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه في حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب

(١) هود، آية: ٣.

(٢) سورة نوح، الآيات: ١ - ٤.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٨٠.

(٤) انظر الفتاوى (١١/٦٧٨/٦٨٢).

(٥) المصدر نفسه (١١/٦٧٧).

السمع»^(١).

وقال المكلاتي: «اعلموا - وفقكم الله -، وأن لعقل عند الأشعرية لا يدل على حسن شيء، ولا على قبحه في حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع، وأن أفعال العباد ليست على صفات نفسية حسناً ولا قبحاً، بحيث لو أقدم عليها مقدم، أو أحجم عنها محجم لاستوجب على الله ثواباً أو عقاباً، وهو المختار عندنا»^(٢).

وقال الأيجي: «القيح ما نهى عنه شرعاً والحسن بخلافه، ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها، وليس ذلك عائداً إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه الشرع، بل الشرع هو المثبت له والمبين، ولو عكس القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعاً،^٤ وانقلب الأمر»^(٣).

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة صواب، قال القاضي عبد الجبار: «إن العلم بأصول المقبحات، والواجبات، والمحسنات، ضروري وهو من جملة كمال العقل، ولو لم يكن ذلك معلوماً بالعقل، لصار غير معلوم أبداً، لأن النظر والاستدلال لا يتأتى إلا ممن هو كامل العقل، ولا يكون كذلك إلا وهو عالم ضرورة بهذه الأشياء ليتوجه عليه

(١) الإرشاد (٢٥٨).

(٢) لباب العقول (٣٠٢) دار الأنصار القاهرة.

(٣) المواقف في علم الكلام (٣٢٣).

التكليف»^(١).

وقال: «كل عاقل يعلم بكمال عقله قبح كثير من الآلام كالظلم الصريح وغيره، وحسن كثير منها كدم مستحق للدم، وما يجرى مجراه»^(٢).

* * *

(١) المحيط بالتكليف (٢٣٤).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٤٨٤).

يسأل^(١) : عن صفات الذات هي معاني زائدة أم هي نفس الذات؟

فإن قال : هي معاني زائدة على صفات الذات ، فهو سني

وإن أنكر ذلك ، فهو معتزلي .

دليلنا : قوله تعالى : ﴿ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾^(٢) .

فوجه الدليل أنه أضاف الوجه إلى ذاته ، والشيء لا يضاف إلى نفسه .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾^(٣) ، وعند المعتزلي ليس لله قدرة ، وعند الأشعري لله قدرة واحدة ، فدل على أن المراد به يدُ صفة ، وأيضاً قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾^(٦) .

وغير ذلك بما وصف نفسه ، فهي معاني زائدة على الذات ، نؤمن بها ، ونُمرها كما جاءت^(٧) .

(١) هذه المسألة ليست في «م» .

(٢) سورة الرحمن ، آية : ٢٧ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٦٤ .

(٤) سورة المجادلة ، آية : ١ .

(٥) سورة الحج ، آية : ٧٥ .

(٦) سورة النساء ، آية : ١٦٦ .

(٧) من قوله : ... دليلنا إلى قوله : ... نمرها كما جاءت» ليست في م .

دراسة المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة أهل السنة في هذه المسألة:

«وإذا قيل: هل صفاته زائدة على الذات أم لا؟ قيل: إن أريد بالذات المجردة التي يقربها نفاة الصفات، فالصفات زائدة عليها، وإن أريد بالذات الذات الموجودة في الخارج فتلك لا تكون موجودة إلا بصفاتها اللازمة، والصفات ليست زائدة على الذات المتصفة بالصفات، وإن كانت زائدة على الذات التي يقدر تجردها عن الصفات»^(١).

وقال: «وإذا قال: من قال من أهل الإثبات للصفات: أنا أثبت صفات الله زائدة على ذاته: فحقيقة ذلك أن ثبتها زائدة على ما أثبتها النفاة من الذات فإن النفاة اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات، فقال أهل الإثبات: نحن نقول بإثبات صفات زائدة على ما أثبتته هؤلاء».

وأما الذات نفسها الموجودة فتلك لا يتصور أن تتحقق بلا صفة أصلاً، بل هذا بمنزلة من قال: أثبت إنساناً لا حيواناً ولا ناطقاً ولا قائماً بنفسه، ولا بغيره ولا له قدرة ولا حياة ولا حركة ولا سكون أو نحو ذلك، أو قال: أثبت نخلة ليس لها ساق ولا جذع ولا ليف ولا

(١) مجموع الفتاوى (٩٧/٦).

غير ذلك، فإن هذا يثبت ما لا حقيقة له في الخارج ولا يعقل»^(١).

وقال: «وهذا يشبه نزاع الناس في أن الصفات هل هي زائدة على الذات أم لا؟»

فمن أراد بالذات «الذات المجردة» فالصفات زائدة عليها، ومن أراد بالذات «الذات الموصوفة» فليست الصفات مباينة للذات الموصوفة بصفاتهما اللازمة لها»^(٢).

قال شارح الطحاوية: «... وكذلك مسألة الصفة: هل هي زائدة على الذات أم لا؟»

لفظها مجمل، وكذلك لفظ الغير فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقتة له.

ولهذا كان أئمة السنة - رحمهم الله تعالى - لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره ولا أنه ليس غيره، لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو، وإذا كان لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل: فإن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتاً وصفة، كلاً

(١) مجموع الفتاوى (٥/٣٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٣٣٨).

وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال...»^(١).

قال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: ... ولهذا كان الصواب على قول أهل السنة أن لا يقال في الصفات إنها زائدة على اسم الله، بل من قال ذلك فقد غلط عليهم، وإذا قيل: هل هي زائدة على الذات أم لا؟ كان الجواب أن الذات الموجودة في نفس الأمر مستلزمة للصفات فلا يمكن وجود الذات مجردة عن الصفات بل ولا يوجد شيء من الذوات مجرداً عن جميع الصفات بل لفظ الذات تأنيث (ذو) ولفظ (ذو) مستلزم للإضافة وهذا اللفظ مولّد وأصله أن يقال: ذات علم وذات قدرة وذات سمع كما قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ﴾^(٢)، ويقال: فلانة ذات مال وجمال، ثم لما علموا أن نفس الرب ذات علم وقدرة وسمع وبصر ردوا على من نفى صفاتها - وعرفوا لفظ الذات - وصار التعريف يقوم مقام الإضافة بحيث إذا قيل: لفظ الذات فهو ذات كذا، فالذات لا يكون إلا ذات علم وقدرة ونحوه من الصفات لفظاً ومعنى.

وإنما يريد محققو أهل السنة بقولهم الصفات زائدة على الذات أنها زائدة على ما أثبتته نفاة الصفات من الذات، فإنهم أثبتوا ذاتاً مجردة لا صفات لها، فأثبت أهل السنة الصفات زائدة على ما أثبتته هؤلاء،

(١) شرح الطحاوية (١٢٩-١٣٠) لابن أبي العز الحنفى طه المكتب الإسلامى .

(٢) سورة الأنفال، آية: ١ .

فهي زائدة في العلم والاعتقاد والخبر، لا زيادة على نفس الله - جل جلاله - بل نفسه المقدسة متصفة بهذه الصفات، لا يمكن أن تفارقها، ولا توجد الصفات بدون الذات، ولا الذات بدون الصفات»^(١).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة صواب.

قال ابن المرتضي: فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لا لمعانٍ...»^(٢).

قال أبو الحسن الخياط: «إن الله - تعالى - لو كان عالماً بعلم، فيما أن يكون ذلك العلم قديماً أو يكون محدثاً، ولا يمكن أن يكون قديماً، لأن هذا يوجب وجود اثنين قديمين، وهو تعدد، وهو قول فاسد، ولا يمكن أن يكون علماً محدثاً لأنه لو كان كذلك، يكون قد أحدثه إما في نفسه أو في غيره أو لا في محل، فإن كان أحدثه الله في نفسه، أصبح محلاً للحوادث، وما كان محلاً للحوادث فهو حادث، وهذا محال، وإذا أحدثه في غيره كان ذلك الغير عالماً بما حله منه دونه، كما أن من حله اللون فهو المتلون به دون غيره، ولا يعقل أن يكون أحدثه لا في محل، لأن العلم عرض لا يقوم إلا في جسم، فلا يبقى إلا حال واحد، وهو أنه عالم بذاته»^(٣).

(١) حاشية لوامع الأنوار (١/٤٤).

(٢) المنية والأمل (١٣) جمع ابن المرتضي دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٥ هـ ت عصام الدين محمد علي.

(٣) الانتصار (٨٣) دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ.

قال القاضي عبد الجبار: «فإن قيل: الواحد منا إذا كان عالماً قادراً كما يجب أن يكون حياً يجب أن يكون جسماً، فقولوا مثله في القديم تعالى: قلنا: هذا الذي ذكرتم إنما وجب في الواحد منا لعله، تلك العلة مفقودة في القديم تعالى، وهي أن أحداً عالم بعلم، وقادر بقدرة، والعلم والقدرة يحتاجان إلى محل مخصوص، والمحل المخصوص لا بد أن يكون جسماً، وليس كذلك القديم تعالى، لأنه تعالى قادر لذاته، فلا يجب إذا كان عالماً قادراً أن يكون جسماً، وإن وجب كونه حياً»^(١).

وقال: «فإن قال: أتقولون إنه عز وجل عالم بعلم وقادر بقدرة، على ما يحكى عن الكلاية وهشام بن الحكم في العلم المحدث؟ قيل له: لا، بل نقول، عالم، قادر، حي، سميع بصير، قديم لذاته، لا يحتاج إلى أمر سوى ذاته يصح لأجله أن يستحق هذه الصفات، ولو كان لا يعلم إلا بعلم لكان محتاجاً في كونه عالماً إلى ذلك كالواحد منا...»^(٢).

قول المؤلف «وعند المعتزلي ليس لله قدرة».

هذا يبطل به المؤلف تأويل من تأول اليد بالقدرة، فلو كان كذلك لكان له قدرتان وعند المعتزلة الله قادر بلا قدرة.

قال أبو رشيد النيسابوري: «وإذا وجب أن يكون قادراً وجب أن

(١) شرح الأصول الخمسة (١٦٢).

(٢) المختصر في أصول الدين (٢١٢) رسائل العدل والتوحيد.

يكون قادراً لا بقدرة، لأن كونه قادراً بقدرة يقدح في كونه قادراً أصلاً، فيكون كونه قادراً لما هو عليه»^(١).

قال القاضي عبد الجبار: «... القديم لو كان قادراً بقدرة محدثة، والمحدث لا بد له من محدث، لكان محدثها لا يخلو، إما أن يكون نفس القديم تعالى، أو غيره من القادرين بالقدرة، ولا يجوز أن يكون غير من القادرين بالقدرة، لأن القادر بالقدرة لا يصح منه إيجاد القدرة، على أن وجود القادرين بالقدرة، يترتب على قدرة القديم تعالى، فلو ترتب قدرة القديم تعالى على قدرتنا لوقف كل من الأمرين على صاحبه، فلا يحصلان ولا واحد منهما، ولو كان محدثها نفس القديم تعالى، لوجب أن يكون قادراً قبل وجود هذه القدرة حتى يصح منه إيجادها، ولا تصح قدرته إلا بعد هذه القدرة، فيترتب كل واحد منهما على الآخر»^(٢).

وقد تأول المعتزلة هذه الآية: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٣) بالنعمة.

قال أبو القاسم الرسي: «تأويل ذلك عند أهل العلم: بل نعمتان مبسوطتان»^(٤).

(١) التوحيد (٤٩٤) وزارة الثقافة المصرية ت/ محمد أبورية، ١٩٦٩ م.

(٢) شرح الأصول الخمسة (١٨٦-١٨٧).

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٤.

(٤) العدل والتوحيد ونفي التشبيه عن الله الوحيد الحميد (١٣٥) ضمن رسائل العدل والتوحيد.

وتأولوا قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾^(١) بالقوة.

قال القاضي عبد الجبار: «والجواب عنه أن اليد ههنا بمعنى القوة، وذلك ظاهر في اللغة، يقال مالي على هذا الأمر يد، أي قوة»^(٢).

قال ابن القيم: «إنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾»^(٣).

وكقوله: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٤)، وقد يجمع النعم كقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾^(٥)، وأما أن يقول: خلقتك بقدرتين أو بنعمتين فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله»^(٦).

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة من تأويل اليد بالقدرة صواب.

قال الأيجي: في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾^(٧).

«وقال الأكثر أنهما مجاز عن القدرة فإنه شائع، وخلقته بيدي أي بقدرة كاملة...»^(٨).

(١) سورة ص، آية: ٧٥.

(٢) شرح الأصول الخمسة (٢٢٨).

(٣) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٤) سورة النحل، آية: ١٨.

(٥) سورة لقمان، آية: ٢٠.

(٦) مختصر الصواعق (٣٢٤) للموصلي ط/ دار الكتب العلمية.

(٧) سورة ص، آية: ٧٥.

(٨) المواقف (٢٩٨) ط/ عالم الكتب.

قال الجويني: «... والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة»^(١).

وما ألزمهم المؤلف فهو لازم لهم وفي تأويلهم هذا مخالفة لأئمتهم المتقدمين كالباقلاني الذي أثبت صفة اليدين ورد على من تأولها بالقدرة على نحو ما ذكر المؤلف قال الباقلاني: «... يقال لهم: هذا باطل لأن قوله «بيدي» يقتضي يدين هما صفة له، فلو كان المراد بهما القدرة، لوجب أن يكون له قدرتان، وأنتم تزعمون أن للباري - سبحانه - قدرة واحدة، فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين! وقد أجمع المسلمون من مثبتي الصفات والنافين لها، على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان، فبطل ما قلتم»^(٢).

* * *

(١) الإرشاد (١٥٥) ط/ الخانجي.

(٢) التمهيد (٢٥٩٠) ط/ مكارثي.

يسأل عن حد المتكلم؟

فإن قال: حد المتكلم من فعل الكلام، أي من خلق الكلام، فهو معتزلي.

وإن قال: من قام^(١) الكلام بذاته، فهو أشعري، فإن عندهم كلام الباري قائم بذاته في نفسه، وكذلك قالوا: حد المتكلم من قام الكلام بذاته^(٢).

وإن قال من وجدت منه - الحروف والأصوات -، فهو سني.
دليلنا: قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾^(٣).

وقوله: ﴿فَأَجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٥).

ومعلوم أن بالكلام خلق الخلق، وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٦)، فكيف يكون كلاماً بلا حرف ولا صوت ولا سماع، ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾^(٧)، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا

(١) في م: «أقام».

(٢) من قوله: «فإن عندهم إلى قوله: قام الكلام بذاته» ليست في م.

(٣) سورة البقرة، آية: ٧٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ٦.

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٤.

(٦) سورة النحل، آية: ٤٠.

(٧) سورة محمد، آية: ٢٣.

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُصِيرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَلَّا تَتْلَمِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ (١).

إذ شبهوا الله بالجمادات والأوثان والأصنام المصنعات وقوله:
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (٢)، الآية (٣).

* * *

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٨.

(٣) من قوله: «دليلنا إلى قوله: الآية» ليست في م.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف من حد المتكلم موافق لقول السلف:

قال الإمام أبو نصر السجزي: «اعلموا - أرشدنا الله وإياكم - أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي والصالحي والأشعري، وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم، بل أحسن حالاً منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق، وإن اختلفت به اللغات.

وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقلية، وقالوا: الكلام حروف متسقة وأصوات مقطعة.

وقالت العرب: الكلام: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فالاسم مثل: زيد، وعمر، وحامد والفعل: مثل: جاء، وذهب، وقام، وقعد، والحرف الذي يجيء لمعنى مثل: هل، وبلى وما شاكل ذلك.

فالإجماع منعقد بين العقلاء على الكلام حرفاً وصوتاً^(١).

وقال: «... ولا خلاف بين العقلاء في أن الطفل الرضيع أول ما يولد غير متكلم، وأن الأخرس والساكت ليسا بمتكلمين، وكذلك النائم في الغالب.

(١) رسالة السجزي إلى أهل زيد ص ٨١.

وقد دل القرآن على أن القرآن هو النطق وذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١)، والإنصات عند العرب ترك النطق.

فعلم بذلك أن السكوت والكلام لا يجتمعان في الوقت الواحد، في محل واحد.

ولا خلاف بين صدور علماء المسلمين في أن من قال في نفسه: عبدي حر من غير أن ينطق بذلك، لم يعتق عبده، ولو قال: عبدي حر نطقاً ثم قال: لم أنو بما قلت عتقه، حكم بعتق العبد ولم يلتفت إلى نيته.

فلما وجدنا أحكام الشريعة المتعلقة بالكلام منوطة بالنطق الذي هو حرف وصوت دون ما في النفس، علمنا أن حقيقة الكلام هي الحرف والصوت» (٢).

قال أبو القاسم الأصبهاني: «أجمع المسلمون على أن القرآن كلام الله، وإذا صح أنه كلام الله صح أنه صفة لله - تعالى -، وأنه موصوف به، وهذه الصفة لازمة لذاته.

تقول العرب: «زيد متكلم» فالكلام صفة له لا نعرف إلا أن حقيقة هذه الصفة الكلام، وإذا كان كذلك، كان القرآن كلام الله، وكانت هذه

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

(٢) رسالة السجزي (١٤٧).

الصفة لازمة له أزلية، والدليل على أن الكلام لا يفارق المتكلم أنه لو كان يفارقه لم يكن للمتكلم إلا كلمة واحدة، فإذا تكلم بها لم يبق له كلام، فلما كان المتكلم قادراً على كلمات كثيرة، كلمة بعد كلمة، دل على أن تلك الكلمات فروع لكلامه الذي هو صفة له ملازمة»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعامة ما يوجد في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ الكلام والقول، وهذا كلام فلان، أو كلام فلان، فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً لشموله لها، ليس حقيقة في اللفظ فقط كما يقوله قوم، ولا في المعنى فقط، كما يقوله قوم، ولا مشترك بينهما كما يقوله قوم، ولا مشترك في كلام الأدميين وحقيقة في المعنى في كلام الله كما يقوله قوم»^(٢).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة صواب.

قال القاضي عبد الجبار: «... وقد دل بعد هذه الجملة على أن المتكلم هو فاعل الكلام.. والذي يدل على صحة ذلك، هو أن أهل اللغة لما اعتقدوا تعلق الكلام بفاعله سموه متكلماً، ومتى لم يعتقدوا ذلك فيه لم يسموه به، وعلى هذا فإنهم أضافوا كلام المصروع إلى الجنى، لما رأوا أن ذلك الكلام لا يتعلق به تعلق الفعل بفاعله فلوا جاز أن يقال في المتكلم: إنه ليس هو فاعل الكلام، لجواز مثله في

(١) الحجة في بيان المحجة (١/١٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى ١٢٠/٤٥٦-٤٥٧.

الشاتم، والضارب، والكاسر، وغير ذلك، فالطريقة في الجميع واحدة، وإن كان البعض أظهر من البعض، وقد عرف خلافه»^(١).

ما نسبته المؤلف إلى لأشاعرة صواب، قال الغزالي: «... ولكننا نقول الإنسان يسمى متكلماً باعتبارين أحدهما بالصوت والحرف، والآخر بكلام النفس الذي ليس بصوت وحرف، وذلك كمال وهو في حق الله - تعالى - غير محال...»^(٢).

قال المكلاتي: «ذهب أهل الحق إلى أن المتكلم من قام به الكلام»^(٣).

قال الجويني: «الكلام الحقيقي، شاهداً، حديث النفس»^(٤).

قال الآمدي: «قد بينا فيما سلف، أن الكلام قضية واحدة، ومعلوم واحد قائم بالنفس وإن اختلفت العبارات والتعبيرات عنه، إنما هو بسبب اختلاف المتعلقات والنسب والإضافات، كما حققناه، فما يقع به التضاد أو الاختلاف أو التعدد فليس إلا في المتعلقات والتعلقات لا في نفس المتعلق»^(٥).

قال الجويني في الإرشاد: «المتكلم عند أهل الحق من قام به

(١) شرح الأصول الخمسة (٥٣٥-٥٣٦)

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (١١٦).

(٣) لباب العقول (٢٦٦).

(٤) لمع الأدلة (١٠٣) عالم الكتب بيروت.

(٥) غاية المرام (١١٥-١١٦).

الكلام...»^(١).

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن الكلام الحقيقي هو المعنى
الموجود في النفس...»^(٢).

* * *

(١) الإرشاد (١٠٩).

(٢) الإنصاف (١٠٦).

يسأل: عن الخليفة إذا كان عدلاً^(١) ثم فسق في الثاني^(٢)، هل يُوجبُ خلعه من الإمامة أم^(٣) لا؟

فإن قال: يُوجب خلعه، فهو معتزلي.

وإن قال: لا يوجب، فهو سني.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤).

وقوله ﷺ: «أطع من تولى عليك وإن كان عبداً حبشياً»^{(٥)(٦)}.

* * *

(١) في م «واعتمدت له الخلافة».

(٢) هكذا في الأصل وفي م: ولعل الصواب (الباقي).

(٣) الصواب لغة: «أو».

(٤) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٥) أخرجه مسلم بنحوه في كتاب الإمامة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية تحريهما في المعصية ح (١٨٣٧).

وابن ماجه في كتاب الجهاد (٢٨٦٠) (١١٧١٦) (١٢٣٤١) من حديث أنس بن مالك ومسلم في كتاب الإمامة (١٨٣٨) والترمذي في كتاب الجهاد (١٧٠٦) والنسائي في كتاب البيعة (٤١٩٢).

وابن ماجه في كتاب الجهاد (٢٨٦١) وأحمد (١٦٢١٠) (١٦٢١٣) (٢٦٧٢٣) (٢٦٧١٥) من حديث أم الحصين بن إسحاق الأحمسية، ومسلم في كتاب الإمامة باب وجوب طاعة الأمراء (١٨٣٧) وأحمد (٢٠٩١٨) (٢٠٩٩٠) من حديث أبي در.

(٦) من قوله: «دلينا إلى قوله: عبداً حبشياً» ليست في م.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة قال الإمام أحمد: «الجهاد ماض قائم مع الإمام برأ أو فاجراً، ولا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل»^(١).

وقال الإمام أحمد: «من خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق»^(٢).

قال الإمام ابن بطة: «وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنسك والعباد والزهاد منذ أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات والغزو والحج والهدي مع كل أمير برّ وفاجر. . والسمع والطاعة لمن ولوه وإن كان عبداً حبشياً إلا في معصية الله - عز وجل - فليس لمخلوق فيها طاعة»^(٣) وقال: «. . ولا تخرج بالسيف على الأئمة وإن ظلموا. .»^(٤).

(١) السنة ضمن شذرات البلاتين (٤٦).

(٢) طبقات الحابلة (١/٢٤٤).

(٣) الإبانة الصغرى (٦٧-٦٨) ت هنري لوست ١٩٥٨ م.

(٤) الإبانة الصغرى (٦٧).

قال الإمام الآجري: «باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين، والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة»^(١).

قال الإمام الصابوني: «ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم، برأ كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفار معهم، وإن كانوا جوراً فجراً».

ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيث»^(٢).

قال الإمام الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله - عز وجل - فريضة، ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة»^(٣).

قال الإمام الموفق ابن قدامة: «ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، برهم وفاجرهم، ما لم يأمرُوا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة؛ لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله

(١) الشريعة (١٥٨/١) ط/ قرطبة.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٩٤).

(٣) شرح الطحاوية (٤٢٨).

(٤) لمعة الاعتقاد (١٩٨) ط/ دار الأثير.

ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم، فماله في الآخر من خلاق»^(١).

وقال: «ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ»^(٢).

قال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»^(٣).

وقال ﷺ: «على المرأ السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»^(٤).

وقال ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، فقلنا: يا رسول الله أفلا نناذبهم بالسيف عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وآل فرآه يأتي شيئاً من

(١) قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ وولاة الأمور، ص ٦.

(٢) منهاج السنة (٣/٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ح (٧١٤٢) ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ح (١٨٣٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ح (٧١٤٢)، ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ح (١٨٣٩).

معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعة»^(١).
ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة صواب.

قال القاضي عبد الجبار: «فأما الأحداث التي يخرج بها من كونه إماماً فظهور الفسق، سواء بلغ حد الكفر أو لم يبلغ؛ لأن ذلك يقدر في عدالته»^(٢).

وقال: «... لا فرق بين الفسق بالتأويل وبين الفسق بأفعال الجوارح في هذا الباب عند مشايخنا.
وهذا مما لا خلاف فيه؛ لأنهم أجمعوا أنه يهتك بالفجور وغيره، وكذا أنه لا يبقى على إمامته»^(٣).

قال الأشعري في المقالات: «واختلف الناس في السيف، فقالت المعتزلة والزيدية والخوارج وكثير من المرجئة ذلك واجب إذا أمكننا أن نزيل بالسيف أهل البغي ونقيم الحق»^(٤).

قال البلخي: «وأجمعوا أن على المسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجبان بأي جهة استطاعوا هما، بالسيف فما دونه»^(٥).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم ح (١٨٥٥).

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل (١٧٠/٢٠).

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل (١٧٠/٢٠).

(٤) المقالات (١٤٠/٢).

(٥) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (٦٤) لابن القاسم البلخي - والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي، الدار التونسية للنشر ١٣٩٣ هـ ت فؤاد سيد.

يسأل: عن الأمر المطلق^(١)، هل هو على الوجوب أم^(٢) لا؟

فإن قال: على^(٣) الوجوب، فهو سني.

وأن قال: لا^(٤)، فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٥).

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٦)، ومثل هذا في

القرآن كثير، وفي أخبار رسول الله ﷺ أكثر من يحصى^(٧).

* * *

(١) في م: «من الله تعالى».

(٢) الصواب: «أو».

(٣) في م: «هو على».

(٤) في م: «على الوقف».

(٥) جزء من آية رقم (٤٣) و(٨٣)، و(١١٠) سورة البقرة و(٧٧) و(١٠٣) سورة النساء

و(٥٦) سورة النور و(٢٠) المزمّل، وقد كتب في الأصل (أقيموا) بدون الواو، والصواب ما أثبتّه.

(٦) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٧) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: أكثر من أن يحصى» ليست في م

دراسة المسألة:

ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الأمر المطلق يدل على الوجوب:

قال الخطيب البغدادي: «فإذا تجردت صيغة الأمر اقتضت الوجوب، والدليل عليه قول الله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

وقول النبي ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»^(٢)، فدل على أنه لو أمر لوجب وشق^(٣).

قال ابن النجار الحنبلي: «الأمر في حالة كونه مجرداً عن قرينة حقيقة في الوجوب عند جمهور العلماء من أرباب المذاهب الأربعة»^(٤).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي «والحق أن الأمر للوجوب إلا بدليل صارف عنه لقيام الأدلة كقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾»^(٥).

فالتحذير من الفتنة والعذاب الأليم في مخالفة الأمر يدل على أنه

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة (٨٨٧) ومسلم في كتاب الطهارة باب السواك (٢٥٢).

(٣) الفقيه والمتفقه: (٦٧-٦٨) ط / الإفتاء ١٣٨٩ هـ ت إساعيل الأصاري.

(٤) شرح الكوكب المنير (٣٩/٣) ط جامعة أم القرى ١٤٠٢ هـ.

(٥) سورة النور، آية: ٦٣.

للوجوب، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١).

فإنه جعل أمر الله ورسوله مانعاً من الاختيار وذلك دليل الوجوب، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّكِعُوا لَا يَزْكُمُوا﴾^(٢)، فهو ذم على ترك امتثال الأمر بالركوع، ودليل الوجوب، وقوله: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾^(٣)، فقرّعه على مخالفة الأمر، وهو دليل الوجوب، وقوله: ﴿أَفَعْصَيْتَ أَمْرِي﴾^(٤) فهو دليل على أن مخالفة الأمر معصية، وذلك دليل الوجوب^(٥).

قال مجد الدين أبو البركات ابن تيمية: «الأصل في الأمر الوجوب، نص عليه في مواضع، وبه قال عامة المالكية وجمهور الفقهاء والشافعي وغيره»^(٦).

ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة فقد اختلفت أقوال العلماء في نسبة هذا المذهب للأشعري.

فقال أبو إسحاق الشيرازي: «وأما مذهب الأشعرية فإن أبا الحسن الأشعري - أملى على أصحاب أبي إسحاق المروزي ببغداد أن الأمر

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٢) سورة المرسلات، آية: ٤٨.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٢.

(٤) سورة طه، آية: ٩٣.

(٥) مذكرة في أصول الفقه (٢٢٩-٢٣٠) ط/ مكتبة ابن تيمية لاقاهرة ١٤٠٩هـ.

(٦) المسودة (٥) مطبعة المدني.

يقتضي الوجوب، والقاضي أبوبكر الباقلاني قال: يتوقف فيه وقال: لا يحمل على ندب ولا وجوب إلا بدليل»^(١).

قال الآمدي في بيان مقتضى الأمر المطلق: «قال الشافعي في قول وجماعة من الفقهاء والمتكلمين كأبي الحسن البصري والجبائي في أحد قوليه إنه للوجوب ومجاز فيما عداه، وقال أبو هاشم وجماعة من المتكلمين وجماعة من الفقهاء: إنه للندب.

وقال الشيعة: إنه مشترك بينهما، وتوقف الأشعري ومن تابعه في ذلك وهو الحق»^(٢).

قال الجويني: «المشهور من مذهب الجمهور أن الصيغة التي فيها الكلام للإيجاب إذا تجردت عن القرائن، وهذا مذهب الشافعي - رحمه الله -، والمتكلمون من أصحابنا مجمعون على إتباع أبي الحسن في الوقف...»^(٣).

فأنت ترى أن المنسوب للأشعري القول بالوجوب والقول بالتوقف، والمؤلف نسب المنع للأشاعرة ولكن لم يبين قولهم.

أما الأشاعرة فقد تنوعت آراؤهم في هذه المسألة، فمنهم من قال بقول الجمهور كالشيرازي فقد قال: «صيغة الأمر بمجردا تقتضي الإيجاب في قول أكثر أصحابنا وهو قول

(١) شرح اللمع (٢٠٦/١) ط/ دار الغرب الإسلامي.

(٢) منتهى السؤل في علم الأصول (٥/٢) ط محمد علي صبيح.

(٣) البرهان (١٥٩/١) ط/ دار الوفاء.

الفقهاء»^(١).

وقال الرازي: «والحق عندنا أن لفظة «افعل» حقيقة في الترجيح المانع من النقيض وهو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين»^(٢).

ومنهم من قال بالتوقف تبعاً لشيخه أبي الحسن الأشعري في هذه المسألة كالآمدي كما تقدم والغزالي.

قال الغزالي: «وقد ذهب ذاهبون إلى وضعه للوجوب وقال قوم: بل للندب، وقال قوم يتوقف فيه، ثم منهم من قال: هو مشترك، كلفظ العين، ومنهم من قال: لا ندري أيضاً أنه مشترك، أو وضع لأحدهما واستعمل في الثاني مجازاً والمختار أنه يتوقف فيه»^(٣).

* * *

(١) شرح اللمع (٢٠٦/١).

(٢) المحصول (٦٦/١) ط جامعة الإمام.

(٣) المستصفى (٤٢٣/١).

يسأل: عن الحرام هل هو رزق من الله للجهال أم^(١) يأكلون من غير ما قُدِّرَ لهم^(٢)؟

فإن قال به، فهو سني.

وإن قال غيره، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله ﷺ: «فرغ الله من أربع: من الخلق، والخلق والرزق، والأجل»^(٣)، وقال - عليه السلام -: «كل ميسر لما خلق له رزق رزقه الله غير أنه رزق مسخوط عليه يأكله ومغضوب»^{(٤)(٥)(٦)(٧)}.

(١) الصواب: «أو».

(٢) في م: «يسأل عن الحرام هل هو رزق من الله تعالى أم لا؟
فإن قال: هو من الله تعالى، فهو سني، وإن قال: ليس هو رزق من الله عز وجل فهو معتزلي».

(٣) لم أجد بهذا اللفظ وأخرجه بمعناه ابن حبان في صحيحه ح (٦١٥٠) بلفظ «فرغ الله إلى كل عبد من خمس من رزقه وأجله وعمله وأثره ومضجعه» وأبوداود الطيالسي (٩٨٤) والقضاعي في مسند الشهاب (٦٠٢) والإمام أحمد في المسند (٢١٢١٥) كلهم من حديث أبي الدرداء.

(٤) أخرج الجزء الأول من الحديث: «كل ميسر لما خلق له» البخاري في كتاب التوحيد باب قوله: ولقد يسرنا الذكر (٧٥٥١)، ومسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق آدمي (٢٦٤٩) وأبوداود في كتاب السنة (٤٧٠٩)، وأحمد في المسند (١٩٨٤٧) وابن حبان في صحيحه (٢٣٣)، والنسائي في الكبرى (١١٦٨٠) والطبراني في المعجم الكبير (٤٢٣٥) كلهم من حديث عمران بن حصين، أما باقي لفظ الحديث فلم أجد.

(٥) من قوله: «دليلنا... إلى قوله... ومغضوب» ليست في م.

(٦) ما بعد كلمة «مغضوب» ساقط من المخطوط. وقد وجدت الساقط بعد أكثر من مسألة، فأضفته إلى هذه المسألة إتماماً للكلام.

وقد وجدت الساقط بعد أكثر من مسألة فأضفته إلى هذه المسألة إتماماً للكلام.

(٧) هذه المسألة تابعة لمسألة هل الحرام من رزق الله؟

عليه وأكله ممقوت محرم وقال ﷺ: «إن الله حرم لحماً عُذِي بالحرام على الجنة»^(١) «ولعن شارب الخمر وحامله ومحموله وعاصره ومعتصره»^(٢) «ولعن آكل الربا وموكله»^(٣)، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾^(٤) لأن له إرادة بغير أمر وأمر^(٥) بغير إرادة.



(١) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (٣) وأبو يعلى في المسند (٨٣) (٨٤) من حديث أبي بكر الصديق.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البيوع (١٢٩٥)، وابن ماجه في كتاب الأشربة (٣٣٨١) من حديث أنس بن مالك بسند حسن، وأبو داود في كتاب الأشربة (٣٦٧٤)، وابن ماجه في كتاب الأشربة (٣٣٨٠)، وأحمد (٤٧٧٢) (٥٣٦٧) (٥٦٨٣) من حديث ابن عمر بسند صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب: موكل الربا (٢٠٨٦) ومسلم في كتاب المساقاة: باب لعن آكل الربا (١٥٩٧) وأبو داود في كتاب الترجل (٣٣٣٣) والترمذي في كتاب البيوع (١٢٠٦) والنسائي في كتاب الطلاق (٣٤١٦) وابن ماجه في كتاب التجارات (٢٢٧٧) والدارمي (٢٥٣٥) وأحمد (٢٧٣٥) كلهم من حديث عبدالله بن مسعود.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٨.

(٥) هكذا في المخطوط، والصواب لغة «وأمرأ».

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف يوافق معتقد أهل السنة والجماعة سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عن الخمر والحرام: هل هو رزق الله للجهاال؟ أم يأكلون ما قدر لهم؟

فأجاب: إن لفظ «الرزق» يراد به ما أباحه الله - تعالى - للعبد وملكه إياه، ويراد به ما يتغذى به العبد.

فالأول: كقوله: ﴿أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(١)، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٢).

فهذا الرزق هو الحلال، والمملوك لا يدخل فيه الخمر والحرام.

والثاني: كقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٣).

والله - تعالى - يرزق البهائم، ولا توصف بأنها تملك، ولا بأنه أباح الله ذلك لها إباحة شرعية، فإنه لا تكليف على البهائم - وكذلك الأطفال والمجانين - لكن ليس بمملوك لها وليس بمحرم عليها، وإنما الحرام بعض الذي يتغذى به العبد، وهو من الرزق الذي علم الله أنه يتغذى به، وقدر ذلك بخلاف ما أباحه وملكه، كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «يجمع خلق أحدكم في بطن أمه

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٣.

(٣) سورة هود، آية: ٦.

أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح قال: فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها^(١).

والرزق الحرام مما قدره الله، وكتبته الملائكة هو داخل تحت مشيئة الله وخلقه، وهو مع ذلك قد حرّمه ونهى عنه، فلفاعده من غضبه وذمه وعقوبته ما هو أهله^(٢).

وقال شيخ الإسلام: «وأما الرزق الذي ضمنه الله لعباده، فهو قد ضمن لمن يتقيه أن يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأما من ليس من المتقين فضمن له ما يناسبه، بأن يمنحه ما يعيش به في الدنيا، ثم يعاقبه في الآخرة، كما قال عن الخليل: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣).

قال الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُئْسَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨) ومسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الأدمي (٢٦٤٣).

(٢) الفتاوى (٤٤٥/٨ - ٤٤٦).

(٣) سورة البقرة، آية: ١٢٦.

الْمَصِيدُ ﴿١٢٦﴾ (١).

والله إنما أباح الرزق لمن يستعين به على طاعته، لم يبيحه لمن يستعين به معصيته بل هؤلاء وإن أكلوا ما ضمنه لهم من الرزق فإنه يعاقبهم كما قال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ (٣).

فإنما أباح الأنعام لمن يحرم عليه الصيد في الإحرام.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤)، فكما أن كل حيوان يأكل ما قدر له من الرزق، فإنه يعاقب على أخذ ما لم يباح له، سواء كان محرم الجنس، أو كان مستعينا به على معصية الله، ولهذا كانت أموال الكفار غير مغصوبة، بل مباحة للمؤمنين، وتسمى فيئاً إذا عادت إلى المؤمنين، لأن الأموال إنما يستحقها من يطيع الله لا من يعصيه بها، فالمؤمنون يأخذونها بحكم الاستحقاق، والكفار يعتدون في إنفاقها كما أنهم يعتدون في أعمالهم، فإذا عادت إلى المؤمنين فقد فاءت إليهم كما يفىء المال إلى

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٢٦.

(٣) سورة المائدة، آية: ١.

(٤) سورة المائدة، آية: ٩٣.

مستحقه»^(١).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة صواب، فهم يقولون: الحرام ليس من رزق الله.

قال القاضي عبد الجبار: «وبعد، فإن الحرام مما يقع به اعتداء، ثم لا يجوز أن يكون رزقاً، فإن قيل: من أين أن الحرام لا يجوز أن يكون رزقاً؟ قلنا: لأن الله - تعالى - منعنا من إنفاقه واكتسابه، فلو كان رزقاً لم يجز ذلك.

وبعد، فإن الله - تعالى - قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِثْلَهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾^(٢).

وأيضاً، فإنه تعالى مدحنا بإنفاق ما رزقناه، حيث قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٣) ومعلوم أنه لا يجوز أن يمدح على الإنفاق من الحرام، فصح لنا ما ذكرناه، فهذه طريقة القول فيه»^(٤).

قال القاضي أبو يعلى: «والله يرزق الحلال والحرام، خلافاً للمعتزلة في قولهم إن الله سبحانه لا يرزق الحرام والدلالة عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٥)، وأضاف الرزق إليه، والرزق ما كان غذاء لأبدانهم وقواماً لأجسامهم على ما بيننا، وهذا

(١) الفتاوى (٨/ ٥٤٣ - ٥٤٤).

(٢) سورة يونس، آية: ٥٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣.

(٤) شرح الأصول الخمسة (٧٨٧ - ٧٨٨).

(٥) سورة الذاريات، آية: ٥٨.

يحصن بالحرام، كما يحصل بالحلال، فإن الأجسام تغذى بالحرام ولأن الأمة مطبقة على أن الإنسان لا يأكل إلا رزقه، ولا يأخذ إلا ما قسم له؛ ولأن الأمة مطبقة في الرغبة إلى الله - تعالى - ألا يرزقهم الحرام وأن يرزقهم الحلال»^(١).

* * *

... (١) ... وقوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا﴾ (٢).

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (٣)، الآية (٤).

* * *

(١) أول هذه المسألة ساقط من أصل المخطوطة وهو متصل بالسقط في المسألة السابقة إلا أن الكلام في هذه المسألة على الاستواء على العرش.

يوضح هذا أن في م: «يسأل عن الباري جل جلاله هل هو العرش أم لا؟
فإن قال: هو على العرش، فهو سني. وإن قال: لا، فهو أشعري أو معتزلي، وقد تقدم بحث هذه المسألة، ص ١٨٥.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٣) سورة يونس، آية: ٣.

(٤) هذه الأدلة ليست في م.

يسأل عن النزول؟

فإن قال: ينزل كل ليلة، فهو سني.

وإن أنكر، فهو أشعري^(١).

دليلنا: قوله - عليه السلام - : «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا»^(٢)،
وينزل «نصف شعبان»^(٣)، و«ليالي الجمعة»^(٤)، و«ينادي هل من تائب
فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه

(١) في م: «يسأل عن قول النبي ﷺ: «إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا،
فيقول: ألا من سائل فأعطيه سؤله؟ ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من تائب فأتوب
عليه؟ فإن آمن به وأمره كما جاء، فهو سني. وإن قال: ينزل قدرته، فهو أشعري»..

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (٦٣٢١) ومسلم في كتاب
صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء.. (٧٥٨) والترمذي في كتاب الدعوات
(٣٤٩٨) وأبو داود في كتاب السنة (٤٧٣٣) وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٦٦)
وأحمد (٧٥٣٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أحمد من حديث من عبدالله بن عمرو بن العاص (٦٦٠٤) وفيه ابن لهيعة، قال
ابن حجر: «صدوق خلط بعد احتراق كتبه»، قال ابن مهدي: «ما أعتد بشيء سمعته
منه».

قال أحمد بن حنبل: ما كتب عنه قديماً فسماعه صحيح. انظر التهذيب (١٥٣٢).
وابن ماجه (١٣٨٨) من حديث علي بن أبي طالب وفيه أبو بكر بن عبدالله ابن أبي
سبرة ت ١٦٢ هـ ضعيف انظر التهذيب (٢١٠٥٨).

والترمذي في كتاب الصوم (٧٣٩) من حديث عائشة وفيه الحجاج بن أرطاة ضعيف
وقد عنعن انظر التهذيب (١٣٠٤٧).

(٤) نزول الرب يوم الجمعة روي فيه حديث أخرجه الجوزقاني (ح ٧٥ ص ٨٠) عن ابن
عباس مرفوعاً.

قال الجوزقاني: كذب موضوع باطل وأورده السيوطي في اللآلي المصنوعة (٢٧/١).

سؤله؟»^(١).

وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٢)، جوزنا في ذلك ليوم
فكذلك هاهنا^{(٣)(٤)}.

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (٤٧٣٣).
وانظر تخريجه مفصلاً رقم «٢» في الحاشية.

(٢) سورة الفجر، آية: ٢٢.

(٣) يريد المؤلف أنه إذا كان الرب يجرى يوم القيامة للفصل فكذلك فهو ينزل إلى السماء الدنيا كما يليق بجلاله لا يماثل نزول المخلوق (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

(٤) من قول: «دليلنا... إلى قوله... فكذلك هنا» ليست في م.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «نزول الرب - تبارك وتعالى - إلى سماء الدنيا في كل ليلة استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول والنبي ﷺ قال ذلك علانية، بلغه الأمة تبليغاً عاماً لم يخص به أحداً دون أحد، وكانت الصحابة والتابعون تذكره وتأثره وتبلغه وترويه في المجالس الخاصة والعامة، وهو في جميع كتب أهل الإسلام كصحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والنسائي وأمثال ذلك من كتب المسلمين»^(١).

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني: «ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب - سبحانه وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكيف، بل يشبتون ما أثبتته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله»^(٢).

وقال الحافظ تقي الدين عبد الغني المقدسي: «تواترت الأخبار وصحت الآثار بأن الله - عز وجل - ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فيجب

(١) انظر شرح حديث النزول (٥) ط المكتب الإسلامي

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٩١).

الإيمان به والتسليم له وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكيف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول»^(١).

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»^(٢).

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: «فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب - تبارك وتعالى - في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله ﷺ برّد وتشمروا لدفعها فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبهه منه فعلاً أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل وهم يسألون، لأنه القادر على ما يشاء أن يفعل كيف يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا

(١) عقيدة الحافظ تقي الدين المقدسي (٥٠) ت البصري.

(٢) البخاري في كتاب الدعوات باب: الدعاء نصف الليل ٦٣٢١٠ ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترخيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ح (٧٥٨).

ما أقدره الله تعالى عليه : كيف يصنع ؟ وكيف يقدر ؟»^(١).

ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة صواب وقد اختلفت أقوالهم في تأويل معنى النزول في الحديث .

قال ابن فورك في تأويل هذا الحديث : «يحتمل أن يقال : إن معناه أن يظهر رحمته لهم وإجابته لدعائهم ، وأنه من له أن لا يجيب ولا يرحم . .

ويحتمل أيضاً : أن يكون معناه نزول ملائكته بأمره ، فيضاف إليها النزول على معنى ما وقع بأمره . . .»^(٢).

قال الجويني : «والوجه حمل النزول ، وإن كان مضافاً إلى الله تعالى ، على نزول ملائكته المقربين ، وذلك سائغ غير بعيد .

ومما يتجه في تأويل الحديث أن يحمل النزول على إسباغ الله نعماءه على عباده مع تماديهم في العدوان وإصرارهم على العصيان . . .»^(٣).

قال الآمدي : «وأما خبر النزول فإنه يحتمل أن يكون المراد النزول بمعنى اللطف والرحمة ، وترك ما يليق بعلو الرتبة وعظم الشأن ، والاستغناء الكامل المطلق»^(٤).

(١) الرد على الجهمية (٩٤) دار ابن الأثير .

(٢) مشكل الحديث (٤٧٢) عالم الكتب .

(٣) الإرشاد (١٦٢) الخانجي .

(٤) غاية المرام (١٤٢) .

قال الرازي: «النوع الثاني من الكلام في هذا الحديث بناؤه على التأويل على سبيل التفصيل وهو أن يحمل هذا النزول على نزول رحمته إلى الأرض في ذلك الوقت.

أو أن جمعاً من أشرف الملائكة ينزلون في ذلك الوقت بأمر الله...»^(١).

* * *

(١) أساس التقديس (١٤٥-١٤٦).

يسأل^(١): «عن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن^(٢)»^(٣).

فإن قال: به، فهو سني.

وإن أنكره، فهو أشعري ومعتزلي.

دليلنا: قوله ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ورضاك»^(٤).

وقوله - عليه السلام -: «القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء ويوعيتها ما يشاء، إن شاء أقامها وإن شاء أزاغها»^{(٥)(٦)}.

■

(١) هذه السئلة ليست في «م».

(٢) كتب في الهامش: «قال مالك بن دينار: وجدت في بعض الكتب: إن الله تعالى قال: أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليهم رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليهم نقمة، لا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك ولكن توبوا إلى أعظفهم عليكم» تفسير هشام.

(٣) أخرجه مسلم ك القدر باب: تصريف القلوب (٢٦٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب القدر ح (٢١٤٠) وقال حديث حسن وأحمد في المسند من حديث أنس بن مالك (١١٦٩٧) و(١٣٢٨٤) ومن حديث أم سلمة (٢٦١٣٩) أما زيادة ورضاك فلم أجدها بنصها وفي مسند أحمد «وطاعتك» بدل ورضاك ح (٢٥٦٠٢) من مسند عائشة.

(٥) أخرجه مسلم في بحره في كتاب القدر باب تصريف الله القلوب (٢٦٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص والترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٢٢) (٢٤٠٨٣) (٢٦٠٣٦) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٦) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: .. أزاغها» ليست في م.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة، فهم يقرون بهذا الحديث ويثبتون لله صفة الأصابع كما جاء النص بها.

فعن النّوّاس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه»^(١).

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «أن حبراً من اليهود قام إليه فقال: أبلغك أن الله يحمل يوم القيامة السموات على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، والخلائق على أصبع ثم يهزهن ويقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجباً لما قال الحبر وتصديقاً له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^{(٢)(٣)}.

قال القاضي أبو يعلى: قال الإمام أحمد في رواية أبي طالب: «قلب العبد بين أصبعين، وخلق آدم بيده، وكلما جاء الحديث مثل هذا قلنا به»^(٤).

قال الإمام ابن بطة: «ثم الإيمان والقبول والتصديق بكل ما روته

(١) تقدم تخريجه انظر ص ٤٢٤.

(٢) سورة الزمر، آة: ٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِيتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ ح (٧٤٥١).

(٤) طبقات الحنابلة (١/٢٩).

العلماء ونقله الثقات: أهل الآثار عن رسول الله ﷺ ويلقاها بالقبول لا ترد بالمعاريض ولا يقال لم وكيف؟، ولا تحمل على المعقول، ولا تضرب لها المقاييس، ولا يعمل التفاسير إلا ما فسرهُ رسول الله ﷺ أو رجل من علماء الأمة ممن قوله شفاء وحجة، مثل أحاديث الصفات والرؤية، ومثل ما روي «أن الله - عز وجل - يضع السماوات علي أصبع والأرضين علي أصبع، وأن الله عز وجل يضع قدمه في النار فتقول قط قط، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»^(١).

ما قرره المؤلف عن الأشاعرة صواب فهم لا يثبتون الحديث على ظاهره، بل يتأولونه.

قال الغزالي: «كقوله ﷺ «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن»، فإنه عند الجاهل يخيل عضوين مركبين من اللحم والعظم والعصب مشتملين على الأنامل والأظفار، نابتين من الكف، وعند العالم يدل على المعنى المستعار له دون الموضع له وهو ما كان الأصبع له، وكان سر الأصبع وروحه وحقيقته، وهو القدرة على التقلب كما يشاء»^(٢).

قال الرازي في تأويل هذا النص: «والتأويل الصحيح فيه: أن الشيء الذي يأخذه الإنسان بأصبعه يكون مقدور قدرته، ومحل تصرفه على وجه السهولة من غير ممانعة أصلاً، ولما كانت الإصبع سبباً لهذه المكنة والقدرة، جعل لفظ الإصبع كناية عن تلك القدرة

(١) الإبانة الصغرى (٥٦).

(٢) الاقتصاد (٣٥) ط الكليات أنقرة.

الكاملة»^(١).

قال الإمام الدارمي في نقض هذه الشبهة: «في أي لغات العرب وجدت أن أصبعيه قدرتيه؟ فأنبئنا بها، فإننا قد وجدناها خارجة عن جميع اللغات إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها واستطاعتها»^(٢).

قال ابن فورك: «وقال بعض أهل العلم: الأصبعين ههنا بمعنى النعمتين»^(٣).

قال ابن قتيبة في الرد على هذا: «فإن قال لنا: ما الأصبع عندك ههنا؟

قلنا: هو مثل قوله في الحديث الآخر: يحمل الأرض على أصبع وكذا على أصبعين ولا يجوز أن تكون الأصبع ههنا نعمة وكقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٤).

ولا يجوز ذلك، ولا نقول أصبع كأصابعنا، ولا يد كأيدينا، ولا قبضة كقبضتنا، لأن كل شيء منه عز وجل لا يشبه شيئاً منا»^(٥).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة جار على أصولهم ولكن لم أقف لهم على تأويل لهذا الحديث.

(١) أساس التقديس (١٧٨).

(٢) نقض الدارمي على بشر (٥٩) ط / أنصار السنة.

(٣) مشكل الحديث (٢٣٨).

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٥) تأويل مختلف الحديث (٢٠٩-٢١٠) الكليات الأزهرية ١٣٨٦ هـ صححه محمد زهري النجار.

يسأل^(١): عن السموات والأرض هل هما في قبضته يوم القيامة أم^(٢) لا؟

فإن قال: به، فهو سني.

وإن أنكره فهو أشعري، وكافر بالله^(٣).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٤)، وقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^{(٥)(٦)}، الآية^(٧).

* * *

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) الصواب لغة «أو».

(٣) انظر التعليق ص ٩٦.

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(٦) كتب في الأصل (كطي السجل للكتاب)، وقراءة حفص التي اعتمدها المؤلف في الآيات (الكتب) بضم الكاف والتاء من غير أنف على الجمع وقرأ خلف والباقون بكسر الكاف وفتح التاء، وألف بعدها على الأفراد، وهذه القراءة توافق ما كتبه المؤلف، (الكتاب). انظر: البدور الزاهرة (٢١١) لعبد الفتاح القاضي، وإتحاف فضلاء البشر لابن البناء (٣١٢).

(٧) من قوله: «دليلك إلى قوله: الآية» ليست في م.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة.

فهم يؤمنون بأن من صفاته الفعلية، القبض وأنه يقبض الأرض بإحدى يديه ويطوي السماء بيمينه، وكلتا يديه يمين، وأن من صفاته الذاتية القبضة.

قال الإمام ابن خزيمة:

«باب تمجيد الرب - عز وجل - نفسه: عند قبضته الأرض بإحدى يديه، وطيء السماء بالأخرى، وهما يمينان لربنا، لا شمال له تعالى»^(١) ربنا عن صفات المخلوقين»^(٢).

وقال الإمام ابن القيم: «إن اقتران لفظ الطي والقبض والإمساك باليد يصير المجموع حقيقة هذا في الفعل، وهذا في الصفة»^(٣).

وقد جاء كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بإثبات هذه الصفة لله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٤).

(١) لعل مراد ابن خزيمة أن اليمن وصف للدين جميعاً، وإلا فقد جاءت الروايات الصريحة بتسمية الشمال كما في رواية مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه، كصفة القيامة ح (٢٧٨٨).

(٢) التوحيد (١/١٧٠) ط / الرشد.

(٣) مختصر الصواعق (٢/٢٢٣) ط / الكتب العلمية.

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٧.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآيات يوماً على المنبر:
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ
مَطْوِيَّتٌ يَمِينِهِ﴾ الآية.

ورسول الله ﷺ يقول: هكذا بأصابعه يحركها يمجّد الرب نفسه أنا
الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أن الكريم، فرجف برسول
الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به»^(١).

كما جاء وصف اليد بالبسط كذلك فيما رواه مسلم من حديث أبي
موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل
ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع
الشمس»^(٢).

وما نسبّه المؤلف إلى الأشاعرة صواب فهم يتأولون القبضة.

قال الرازي: «يقال: إن الأرض في قبضته، إلا أن هذا الكلام كما
يذكر ويراد به احتواء الأنامل على الشيء، فقد يذكر ويراد به كون
الشيء في قدرته وتصرفه وملكه، يقال: هذه البلدة في قبضة السلطان،
والمراد ما ذكرناه»^(٣).

قال ابن فورك: «وقبضه لهما يحتمل أن يكون بمعنى إفنائهما

(١) أخرجه أحمد في المسند ح (٥٥٧٦) (٥٣٩١) وهو في مسلم نحوه في كتاب صفة
القيامة والجنة والنار (٢٧٨٨) وإسناد أحمد صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب (٢٧٥٩).

(٣) أساس التقديس (١٦٩) الكليات الأزهرية.

كقول القائل: قبض الله روح فلان إليه إذا فناه... .

وقيل: يفنيهما بيمينه أي يقسمه التي أقسم بها ثم يعيدها^(١).

قال ابن جماعة: «وأما قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فمعناه أن قوته وقدرته عليها وعلى إزهابها كقوة أحدكم وقدرته وتمكنه على ما في قبضته^(٢).

قال الإمام النذاري في إبطال هذا التأويل: فكيف أدعيت أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه: أنهما صارتا يوم القيامة في ملكه، كأنهما كانتا قبل يوم القيامة في ملك غيره خارجتين عن ملكه، فكان مغلوباً عليها في دعواك حتى صارتا يوم القيامة في ملكه مطويات، ولا تكونان في يده منشورات وما أراك إلا ستدري أن قوله: ﴿مطويات﴾ ناقض لتأويلك^(٣).

* * *

(١) مشكل لحديث (٢٤٣ - ٢٤٤) عالم الكتب.

(٢) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (١٢٨ - ١٢٩) دار السلام ط ١٤١٠ هـ وهبي سليمان غاوجي، القاهرة.

(٣) الرد علي بشر (٦٠) مطبعة أنصار السنة.

يسأل^(١) عن قوله - عليه السلام -: «يضع قدمه في جهنم فتنزوي»^(٢)؟

فإن آمن به وأمره كما جاء، فهو سني.

وإن أنكره، فهو معتزلي، وأشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(٣).

وقوله ﷺ: «إن الله يضع قدمه في جهنم فتنزوي، فنقول قط قط»^(٤) أي حسب حسب»^{(٥)(٦)}.

* * *

- (١) هذه المسألة ليست في م.
- (٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٤٨٤٩) (٤٨٥٠) ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون (٢٨٤٦) والترمذي في كتاب صفة الجنة (٢٥٥٧) وأحمد (٧٦٦١) (١٠٢١٠) (٢٧٢٢٤) (٨٥٩٩) من حديث أبي هريرة. ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون (٢٨٤٨) وأحمد (١١٩٧٢) (١٣٥٥٦) من حديث أنس بن مالك.
- (٣) سورة ق، آية: ٣٠.
- (٤) كتب أعلاها: «مخففة».
- (٥) سبق تخريجه في الحاشية رقم ٢.
- (٦) من قوله: ... «دليلنا. إلى قوله... حسب» ليست في م.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة فيؤمنون بأن لله قدماً ورجلاً كما جاء النص بذلك مع اعتقاد أنه ليس كمثله شيء سبحانه.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اختصمت الجنة والنار إلى ربهما، فقالت الجنة: أي رب: مالها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار: أي رب، إنما يدخلها الجبارون والمتكبرون، فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها.

فأما الجنة: فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وأنه ينشئ لها نشئاً، وأما النار فيلقون فيها، وتقول: هل من مزيد؟ ويلقون فيها، وتقول: هل من مزيد؟

حتى يضع الجبار فيها قدمه هناك تمتلئ ويدنو بعضها إلى بعض وتقول: قط قط»^(١).

وجاء في رواية لمسلم «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله - تبارك

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ح (٧٤٤٩) وفي كتاب التفسير باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ح (٧٣٨٤) ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ح (٢٨٤٦).

وتعالى - رجله تقول قط قط فهناك تمتلىء»^(١).

قال الإمام البغوي في هذا الحديث: «فهذه ونظائرها صفات الله - تعالى -، ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق وعلى هذا مضى سلف هذه الأمة»^(٢).

قال القاضي أبو يعلى: «اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأن المراد به قدم هو صفة الله تعالى وكذلك الرجل».

وقد نص أحمد على ذلك في رواية المروزي وقد سألته عن الأحاديث «يضع قدمه» وغيرها قال نمرها كما جاءت.

وقال ابن منصور قلت لأبي عبدالله «اشتكت النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها» فقال أحمد: صحيح^(٣).

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة هو ما تقتضيه أصولهم كما تقدم من قولهم إلا أنني لم أقف على تأويل لهم لهذا الحديث، وقد وافق المؤلف على هذه النسبة - القاضي أبو يعلى^(٤).

وما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة صواب وقد تنوعت أقوالهم في

(١) أخرجها مسلم في كتاب الجنة باب النار بدخلها الجارون ح (٢٨٤٦).

(٢) انظر شرح السنة (١/١٧٠).

(٣) إبطال التأويل (١/١٩٥-١٩٦) ط ١، ١٤١٠م الذهبي الكويت ت محمد الحمود.

(٤) انظر المعتمد (٥٤).

تأويل هذا النص .

قال الآمدي : «وقوله - عليه السلام - يضع الجبار قدمه في النار، فقد قيل: يحتمل أن يراد به بعض الأمم المستوجبين النار، وتكون إضافته القدم إلى الجبار - إضافة تمليك وقد قيل: يحتمل أن يكون المراد به قدم بعض الجبارين المستحقين للعذاب الأليم بأن يكون قد ألهم الله النار الاستزادة إلى حين استقرار قدمه فيها»^(١).

قال ابن فورك: «إن معنى القدم هاهنا، هم الكفار الذي سبق في علم الله - تعالى - أنهم من أهل النار، وحمل معنى القدم على أنه هو المتقدم...»^(٢).

قال الجويني: «وقد حمل بعض أهل التأويل القدم على وجه آخر، فقال: لعل القدم اسم لبعض الأمم الذين استوجبوا النار في علم الله، وبهم يتم ملء جهنم، وهذا ممكن غير بعيد وقد حملة بعض الناس على مالك خازن النار»^(٣).

وقال الرازي: «لما أورد حديث: يضع الجبار قدمه» قال: «واعلم أن هذه الأحاديث لا يمكن إجراؤها على ظاهرها...»^(٤).

وقال ابن جماعة: «اعلم أن إجراء هذا الحديث ونحوه على ظاهره

(١) غاية المرام (١٤١).

(٢) مشكل الحديث (١٢٦).

(٣) الشامل (٥٦٤) المعارف - الاسكندرية.

(٤) أساس التقديس (١٨٥).

محال على الله؛ لأدلة عقلية ونقلية تقتضي رده وضعفه، أو تأويله لا محالة»^(١).

قال القاضي أبو يعلى في إبطال تأويلات الأشاعرة: «هذا غلط لوجهين: أحدهما أن قوله: «يضع قدمه» هاء كناية، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور في الخبر «الله» - سبحانه - وفي لفظ آخر «الجبار» وفي لفظ آخر «رب العزة» فوجب أن يرجع إليه، فأما التقدم من الكفار فلم يتقدم ذكرهم، فلا يجب رجوع الهاء إليهم.

والثاني: أن هذا يسقط فائدة التخصيص بالنار، لأن المتقدم بفعل الخير يضعه في الجنة، فلو كان المراد بالقدم المتقدم لم يكن لتخصيصه بالنار فائدة فوجب حمله على ظاهره ليفيد»^(٢).

وبالجملة فرواية «يضع الله - تبارك وتعالى - رجله» تبطل كل ما توهموه من تأويلات.

* * *

(١) إيضاح الدليل (١٦٠).

(٢) إبطال التأويلات (١/١٩٦).

يسأل^(١) عن قوله ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة»^(٢)؟

فإن قال: به، فهو سني.

وإن أنكره، فهو دهري سالمي^(٣).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ^(٤)﴾، إلى قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ﴾^(٥)، إلى قوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ﴾^(٦).

* * *

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٦٠٤) والترمذي (٣٢٣٥) وابن خزيمة في التوحيد (٢٠١/١) من حديث معاذ بن جبل، وأخرجه الدارمي (١٢٦/٢) وابن أبي عاصم في السنة (٣٨٨-٤٦٧) والحاكم (٥٢١-٥٢٠/١) من حديث عبدالرحمن بن عائش، وأخرجه أحمد (٣٧٧٤) والترمذي (٣٢٣٣) من حديث ابن عباس، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٧٠) والبعوي في شرح السنة (٣٨/٤-٣٩) من حديث ثوبان، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٨٩-٤٦٦) والطبراني في الكبير (٣٤٩/٨) من حديث أبي أمامة، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٦٥) من حديث جابر بن سمرة، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٩٦/١) من حديث أبي رافع. وصحح الحديث الإمام أحمد كما في التهذيب (٢٠٥/٦) والحاكم في المستدرک ووافقه الذهبي (٥٢٠/١-٥٢١) وحسنه ابن الجوزي في العلل (٢١/١).

(٣) كتب في الهامش: «منسوب إلى أبي سالم».

(٤) سورة النجم، الآيات: ١-٥.

(٥) سورة النجم، آية: ١١.

(٦) سورة النجم، آية: ١٧.

دراسة المسألة :

الحديث الذي أشار إليه المؤلف جاء عن عدد من الصحابة - رضي الله عنهم - أن قالوا : « احتبس رسول الله ﷺ ذات غداة في صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرن الشمس ، فخرج رسول الله ﷺ - سريعاً ، فثوب بالصلاة ، وصلى وتجاوز في صلاته ، فلما سلّم قال : « كما أنتم على مصافكم ، ثم أقبل إلينا فقال : إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة : إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي ، فنعست في صلاتي حتى استثقلت ، فإذا أنا بربي - عز وجل - في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ! فيم يختصم المלא الأعلى ؟ قلت : لا أدري ربّ ، قال : يا محمد ! فيم يختصم المלא الأعلى ؟ قلت : لا أدري ربّ ، فرأيت كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري ، وتجلّى لي كل شيء وعرفت ، فقال : يا محمد ! فيم يختصم المלא الأعلى ؟ قلت : في الكفارات والدرجات ، قال ! وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجمعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء على الكريهات ، فقال : وما الدرجات ؟ قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام والصلاة والناس نيام ، قال : سل ، قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبّ المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك وحبّ من يُحبك وحبّ عمل يقربني إلى حبك ، وقال رسول الله ﷺ : إنها حق ، فادرسوها

وتعلموها»^(١).

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون ويحجب عنه الكافرون، واتفقوا على أنه لا يُرى في الدنيا عياناً، واختلفوا في النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة الإسراء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل من ادعى أنه رأى ربه بعينه قبل الموت، فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحداً من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت، وثبت في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ: أنه لما ذكر الدجال قال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»^{(٢)(٣)}.

أما رؤية الله في المنام فهذه قد تقع لآحاد الناس وهذا الحديث من رؤيا المنام قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق»^(٤).

(١) تقدم تخريجه ص ٤٧٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن باب ذكر ابن صياد (٢٩٣١).

(٣) الفتاوى (٣/٣٨٩).

(٤) الفتاوى (٣/٣٩٠).

واختلف أهل السنة في رؤية النبي محمد ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج .

فقال طائفة من الصحابة والتابعين منهم عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - إنه رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج وإلى هذه يميل المصنف وهو قول القاضي أبي يعلى وابن خزيمة^(١) .

واختلفت الرواية عن الإمام أحمد - رحمه الله - فروي عنه أنه قال : بإثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج ، وروي عنه نفي الرؤية في تلك الليلة ، وروي عنه إطلاق الرؤية من غير تفسير بعين أو قلب^(٢) .

والذي تدل عليه الأدلة أن النبي ﷺ لم ير ربه عياناً ليلة الإسراء فقد جاء عنه ﷺ أنه قال : «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(٣) .

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : لما سألها مسروق هل رأى محمد ربه؟ فقالت : «لقد قفَّ شعري مما قلت، ثم قالت : من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب»^(٤) .

(١) انظر المعتمد (٨٤) والتوحيد (١/٤٧٧) لابن خزيمة .

(٢) انظر المعتمد (٨٤) لأبي يعلى .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب في قول عليه الصلاة والسلام إن الله لا ينام ح (١٧٩) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٧٧) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين»^(١).

وعائشة أنكرت الرؤية، فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، وتارة يقول: رأى محمد ربه وتارة يقول: رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه، وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول رآه بفؤاده....

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: «سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: نور، أنى أراه»^{(٢)(٣)}.

أما قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(١١) فَمُتَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ فهذه رؤية جبريل - عليه السلام - قال مسروق لعائشة: ألم يقل الله ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾^(١٢)؟، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عن هذا، فقلت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب معنى قول الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾^(١٣) ح (١٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب في قوله عليه السلام نور أنى أراه ح (١٧٨).

(٣) الفتاوى (٥٠٩/٦ - ٥١٠).

(٤) سورة النجم، آية: ١٣.

فقال: إنما رأيت جبريل منهبطاً^(١).

وأراد المؤلف بقوله (دهري سالمى) التشنيع على السالمية، ولا ينبغي التشنيع بمثل هذه الألفاظ، وبخاصة في المسائل الخلافية. أما ما نسبته إلى السالمية فلم أقف على من وافقه على هذه النسبة لهم.

* * *

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب معنى قول الله ﷻ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَى ﴿١٧٧﴾ ح (١٧٧).

يسأل^(١) عن قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»^(٢)؟

فإن قال: به، فهو سني.

وإن أنكره، فهو أشعري حشيشي...^(٣).

* * *

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب: النهي عن ضرب الوجه (٢٦١٢)، وأحمد في المسند (٧٣٧٢) (٧٤١٤) (٩٦٠٢) (٩٩٦٣) (١٠٧٤٣) وابن حبان (٥٦٠٥) والحميدي في مسنده (١١٢١) وعبد بن حميد في المنتخب (٩٠٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) هنا بعد كلمة «حشيشي» سقط في أصل المخطوطة ولا أعلم قدر ما سقط.

دراسة المسألة:

جاء هذا الحديث من وجوه متعددة فيها الصحيح والضعيف وسوف نقتصر على ما صح من الحديث.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»^(١).

وعنه أن النبي ﷺ قال: «إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه، ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله - عز وجل - خلق آدم على صورته»^(٢).

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقبحوا الوجه فإن الله - عز وجل - خلق آدم على صورته»^(٣).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن»^(٤).

-
- (١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب: النهي عن ضرب الوجه (٢٦١٢).
- (٢) أخرجه أحمد (٧٣٧٢) وابن أبي عاصم في السنة (٢٣٠/١) والدارقطني في الصفات (٤٦٠).
- (٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٢٨/١ - ٢٢٩) وعبدالله في السنة (٤٩٨/١) والدارقطني (٤٥، ٤٨) في الصفات.
- (٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٣٠/١)، وابن خزيمة في التوحيد (٨٦/١) والدارقطني في الصفات رقم (٤٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩١) رقم (٦٣٩) والبخاري في الأدب المفرد رقم (١٧٢٠).

وأهل السنة والجماعة على الإقرار بهذا الحديث وإمراره كما جاء وعلى أن الضمير في قوله (صورته) يعود على الرحمن سبحانه، ويؤيد هذا رواية ابن عمر التي صححها الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية وفيها «إن ابن آدم خلق على صورة الرحمن».

قال حرب الكرماني في كتاب السنة: «سمعت إسحاق بن راهوية يقول: صح أن الله خلق آدم على صورة الرحمن».

وقال إسحاق الكوسج: «سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح»^(١).

سئل الإمام أحمد عن الحديث الذي روي عن النبي ﷺ: «أن الله خلق آدم على صورته» على صورة آدم؟ فقال أحمد بن حنبل: فأين الذي يروي عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل».

ثم قال أحمد: وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلق^(٢).

وقال رجل للإمام أحمد: إن فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» فقال على صورة الرجل: فقال الإمام أحمد: «كذب هذا، هذا قول الجهمية وأي فائدة في هذا»^(٣).

قال القاضي أبو يعلى: «ويطلق القول في صورة آدم على صورته

(١) نظر فتح الباري (١٨٣/٥) السلفية.

(٢) إبطال التأويلات (٨٨/١).

(٣) المصدر نفسه (٨٨/١).

سبحانه لا على طريق التشبيه في الجسم والنوع والشكل والطول لأن ذلك مستحيل في صفاته، وإنما أطلقنا حمل إحدى الصورتين على الأخرى تسمية لورود الشرع بذلك على طريق التعظيم لآدم»^(١).

قال الإمام ابن قتيبة: «والذي عندي والله أعلم أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الألف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منها بكيف»^(٢).

قال الإمام عبدالعزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله تعالى -: «والحق في هذه المسألة هو أن الضمير في الحديث الصحيح في خلق آدم على صورته يعود إلى الله - عز وجل -، وهو موافق لما جاء في حديث ابن عمر «أن الله خلق آدم على صورة الرحمن» وقد صححه الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية والآجري، وشيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون من الأئمة رحمة الله عليهم»^(٣).

ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة صواب، فلم يقولوا بظاهر الحديث، وتنوعت أقوالهم في تأويله.

قال ابن فورك «وأما قوله - عليه السلام - «خلق آدم على صورته»

(١) المصدر نفسه (١/٨٢)

(٢) تأويل مختلف الحديث (٢٢١) الكليات الأزهرية ١٣٨٦هـ.

(٣) خطاب لسماحته في تقرّظ كتاب الشيخ حمود التويجري - رحمهما الله تعالى - «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن» ٣٠/٣/١٤٠٨هـ.

فقد تأوله المتأولون من أهل العلم على وجوه كثيرة، سندكرها.. ثم أورد هذه التأويلات.

ثم قال: واعلم أن بعض أصحابنا المتكلمين في تأويل هذا الخبر حاد عن وجه الصواب، وسلك طريق الخطأ والمحال فيه، وهو ابن قتيبة توهماً أنه مستمسك بظاهره غير تارك له، فقال: «إن الله - عز وجل - صورة لا كالصور كما أنه شيء لا كالأشياء» فأثبت الله - تعالى - صورة قديمة، زعم أنها لا كالصور، وأن الله خلق آدم على تلك الصورة، وهذا جهل من قائله، وتوغل في تشبيه الله - تعالى - بخلقه^(١).

قال الرازي: «الضمير عائد إلى آدم - عليه السلام - وهذا أولى الوجوه الثلاثة لأن عود الضمير إلى أقرب المذكورات واجب، وفي هذا الحديث: أقرب الأشياء المذكورة هو آدم - عليه السلام -»^(٢).

قال ابن جماعة: «واختلف العلماء فيمن يعود الضمير في صورته إليه فقيل إلى المضروب والمشتوم وهو الأقرب.

وقيل: أشار بذلك إلى أن آدم على صورة بنه..

وقيل الضمير عائد إلى آدم..»^(٣).

قال القاضي أبو يعلى في إبطال هذه التأويلات: «فإن قيل الهاء عائد على المضروب.

(١) مشكل الحديث وبيانه (٤٨ - ٧).

(٢) أساس التقديس (١١٣).

(٣) إيضاح الدليل (١٥٤٠).

قيل : هذا غلط لوجهين : أحدهما أن هذا يسقط فائدة التخصيص بآدم ؛ لأن آدم وغيره من الأنبياء والبشر مخلوقون على صورة المضروب ، بمعنى أن له وجهاً ، وما أسقط فائدة التخصيص سقط في نفسه .

والثاني أن في اللفظ «خلق آدم على صورة الرحمن»^(١) .

وقال الإمام ابن قتيبة : «فقال قوم من أصحاب الكلام : أراد خلق آدم على صورة آدم لم يزد على ذلك ، ولو كان المراد هذا ما كان في الكلام فائدة .

ومن يشك في أن الله - تعالى - خلق الإنسان على صورته ، والسباع على صورها والأنعام على صورها .

وقال قوم : إن الله خلق آدم على صورة عنده .

وهذا لا يجوز لأن الله - عز وجل - لا يخلق شيئاً من خلقه على مثال .

وقال قوم في الحديث : لا تقبحوا الوجه ، فإن الله - تعالى - خلق آدم على صورته .

يريد أنه - عز وجل - خلق آدم على صورة الوجه .

وهذا أيضاً بمنزلة التأويل الأول ، لا فائدة فيه»^(٢) .

وفي الجملة فصحة رواية ابن عمر «خلق آدم على صورة الرحمن» تبطل كل هذه التأويلات .

(١) إبطال التأويلات (٨٤ - ٨٥) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (٢١٩) .

يسأل^(١) عن الإيمان أم مخلوق أم غير مخلوق؟

فمن قال: مخلوق، فهو كافر.

ومن قال: غير مخلوق، فهو مبتدع.

بل يقول: الإيمان على ضربين إيمان الله وإيمان بالله، فأما إيمان الله فهو غير مخلوق؛ لأنه صفة من صفاته.

والدليل على أن له إيماناً قوله: ﴿السَّالِمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِتَمُّ﴾^(٢)، وأما الإيمان بالله فهو ضربان: مخلوق، وغير مخلوق، فأما ما هو مخلوق: فهو أفعال العبد كالصلاة، والصوم وأفعال الحج، وغير ذلك، وأما الذي ليس بمخلوق^(٣) فقول: لا إله إلا الله، لأن ذلك وحدانيته وصمدانيته وأزليته.

وأما الهداية فهو أيضاً غير مخلوق^(٤)، لأن الهداية صفة من صفاته، وهو - تعالى - بجميع صفاته غير مخلوق، ودليل عليه: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٥).

* * *

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) سورة الحشر، آية: ٢٣.

(٣) لعل الصواب لغة [مخلوقاً].

(٤) لعل الصواب لغة [فهو أيضاً غير مخلوق].

(٥) سورة الشورى، آية: ٥٢.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف في هذه المسألة هو معتقد أهل السنة والجماعة.

ورد عن الإمام أحمد كما نقل ابن حامد أن أبا طالب نقل عن الإمام أحمد أنه يقول في الإيمان: «أن من قال مخلوق فهو جهمي ومن قال: غير مخلوق فقد ابتدع، وأنه يهجر حتى يرجع»^(١).

قال الإمام ابن بطة: «حدثنا أبو عمر حمزة بن القاسم الهاشمي، قال: حدثنا: حنبل، قال: سمعت أبا عبد الله وسئل عمن قال: الإيمان مخلوق، فقال: هذا كلام سوء رديء، وأي شيء بقي والنبى ﷺ يقول: «الإيمان شهادة أن لا إله الله»^(٢) فلا إله إلا الله مخلوق؟

من قال هذا، فهو قول سوء، يدعو إلى كلام جهم، يُحذر عن صاحب هذا الكلام، ولا يجالس، ولا يكلم حتى يرجع ويتوب، وهذا عندي يدعو إلى كلام جهم، الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله مخلوق هو؟

قال الله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٣)، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ

(١) طبقات الحنابلة (١٧٦/٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ح (١٧).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴿١﴾.

فهذه صفاته وأسمائه غير مخلوقة وصف الله بها نفسه.

قال النبي ﷺ: «الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله»، فمن قال: «لا إله إلا الله» مخلوق، فقد قال بقول الجهمية، يحذر عن صاحب هذه المقالة، وصفات الله وأسمائه غير مخلوقة، وهذه من صفات الله - تعالى - ولم يزل الله عالماً، فمن قال: لا إله إلا الله مخلوق، فقد قال مقالة الجهمية» (٢).

وقال الإمام ابن بطة: «فالقول في هذا ما كان عليه أهل العلم والتسليم لما قالوه، فمن قال: إن الإيمان مخلوق، فهو كافر بالله العظيم، لأن أصل الإيمان وذروة سنامه شهادة أن لا إله إلا الله، ومن قال: إنه غير مخلوق، فهو مبتدع لأن القدرية تقول: إن أفعال العباد وحركاتهم غير مخلوقة، فالأصل المعمول عليه من هذا التسليم لما قاله العلماء، وترك الكلام فيما لم يتكلم فيه الأئمة، فهم القدوة وهم كانوا أولى بالكلام منا، نسأل الله عصمة من معصيته، وعياداً من مخالفته» (٣).

قال القاضي أبو يعلى: «واعلم أنه لا يجوز إطلاق القول في الإيمان أنه مخلوق أو غير مخلوق، لأن من قال مطلقاً: إنه مخلوق

(١) سورة الحشر، آية: ٢٣.

(٢) الإبانة (٢/٢٩٩) قسم الرد علي الجهمية.

(٣) الإبانة (٢/٣٠٠).

أوهم أن كلام الله وأسماءه وصفاته مخلوقة، ومن قال: إنه غير مخلوق أو هم أن أفعال العباد قديمة غير مخلوقة»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له ما تريد بالإيمان؟ أتريد شيئاً من صفات الله وكلامه كقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ والإيمان الذي دل عليه اسمه المؤمن، فهو غير مخلوق، أو تريد شيئاً من أفعال العباد وصفاتهم، فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة، ولا يقول هذا من يتصور ما يقول، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل»^(٢).

* * *

(١) المعتمد (١٩١).

(٢) الفتاوى (٦٦٤/٧).

يسأل^(١) عن البهائم أله^(٢) روح أم لا روح فيه^(٣) غير أنه^(٤) لحم ودم وريح وقوة؟

فمن قال: فيه^(٥) روح، فهو سني.

وإن قال: غيره، فهو سالمي حشيشي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُرِيكُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٦).

وقوله: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٧).

وقوله: ﴿ثُمَّ نَبِّئِ الْأَنْبِيَاءَ عَنْ أَلْسِنَتِهِمْ﴾^(٨)، إلى آخر الآيات.

ولم لم يكن فيهم^(٩) الروح لما وجب عليهم الزكاة، ولما جاز أكلُ لبنهم، ولا لحمهم، ولا درهم، ولا نسلهم، لأنه لو كان كما يزعمون - لعنهم الله - لكان ميتاً وقد حرّم الله الميتة ولحم الخنزير تباً لهم وسحقاً.

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) الأصوب أن يقال: «أله» لأن الضمير يعود على البهائم اسم مؤنث جمع بهيمة.

(٣) الأصح «فيها».

(٤) الأصح «أنها».

(٥) الأصح «فيها».

(٦) سورة الأنعام، آية ٣٨.

(٧) سورة النحل، آية: ٨.

(٨) سورة الأنعام، آية: ١٤٣.

(٩) الأصح «فيها».

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف في هذه المسألة صواب، وبه قال جمهور العقلاء.

ووجود الروح في البدن هي علامة الحياة كما أن مفارقتها للبدن علامة الموت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»^(١).

وقال: «لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان: فيراد بالروح إلهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه الساري في العروق، وهو الذي يسميه الأطباء الروح، ويسمى الروح الحيواني، فهذان المعنيان غير الروح التي تفارق بالموت التي هي النفس»^(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي: «واختلف في الروح: ما هي؟ فقيل: هي جسم، وقيل عرض وقيل: لا ندري ما الروح! أجوهر أم عرض؟ وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر من اعتدال الطبائع الأربع، وقيل: هي الدم الصافي الخالص من الكدرة والعفونات، وقيل: هي الحرارة الغريزية، وهي الحياة، وقيل: هو جوهر بسيط منبث في العالم كله من

(١) الفتاوى (٢٨٩/٩).

(٢) الفتاوى (٢٩٢/٩).

الحيوان، على جهة الأعمال له والتدبير، وهي على ما وصفت من الانبساط في العالم، غير منقسمة الذات والبنية، وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير»^(١).

أما ما نسبته المؤلف إلى السالمية فلم أجد من وافقه على هذه النسبة.

* * *

(١) شرح الطحاوية (٤٤٣)، والروح (٢٤٨/١).

يسأل^(١) عن هذه الدنيا أتفنى وتصير هباءً منثوراً أم تكون فلا تفنى وإنما يحيون فيها ويموتون؟
فإن قال: تفنى، فهو سني.

وإن قال: غيره، فهو سالمي دهري كافر.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾^(٢)،
وقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ
الْأَرْضَ عِثْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٤)، وقوله:
﴿وَيَسْتَلُونَا مِنَ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾^(٥)، الآية. وقوله: ﴿وَيَوْمَ
نُسِخَ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾^(٦) الآية.

وعن ابن عباس قال: «يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوزة
شمطاء»^(٧) زرقاء، أنيابها بادية مشوهة خلقها، لا يراها أحد إلا كرهها،
فُتْشِرَفُ على الخلائق فيقال لم: أتعرفون هذه القبيحة؟ فيقولون: نعوذُ
بالله من معرفتها! فيقال: هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وقاتلتم عليها، ثم
يؤمر فتلقى في النار فتقول: يارب أتباعي وأصحابي فيلحقوا بها»^(٨).

(١) هذه المسألة ليست في: «م».

(٢) سورة الكهف، آية: ٨.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٤٨.

(٥) سورة طه، آية: ١٠٥.

(٦) سورة الكهف، آية: ٤٧.

(٧) كتب في الهامش: «الشمط اختلاط الشيب بالشيب: مجمل».

(٨) أخرج ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا عن ابن عباس رقم (١٢٢) ص ٥٢، وابن الأعرابي =

وروى الفضيلُ بنُ عياض أنه قال: «بلغني: يؤتي بالدنيا يوم القيامة وتبخر في زيتها وبهجتها، فتقول يا رب اجعلني لأخير عبادك داراً، فيقول الله تعالى: لا أرضاك لهم أنتِ لا شيء فكوني هباءً مثوراً»^(١)، والآيات والأخبار أكثر من أن تحصى^(٢).

* * *

F

= في الزهد كما في كنز العمال (٨٥٧٩).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا من قول الفضيل رقم (١٢٥) ص ٥٢-٥٣.

(٢) من قوله: ... «دليلنا... إلى قوله أكثر من أن تحصى» ليست في م.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف تدل عليه ظواهر النصوص من الكتاب والسنة، فالأرض التي يحشر العباد عليها يوم القيامة، أرض أخرى غير هذه الأرض، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨) (١).

وقال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصه النقي» (٢).

العفر: قيل البياض ليس بناصع وقيل: البياض يقرب إلى حمرة قليلاً وقيل: خالص البياض.

والنقي: بفتح النون وكسر القاف، أي الرقيق النقي من الغش والنخال (٣).

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : «تبدل الأرض أرضاً كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة» (٤).

(١) سورة إبراهيم آية: ٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب يقبض الله الأرض (٦٥٢١) ومسلم كتاب صفات المنافقين باب البعث والنشور (٢٧٩٠).

(٣) انظر غريب الحديث (١١١/٥) لابن قتيبة، والنهاية (١٩٥/١) لابن الأثير، فتح الباري (٣٧٥/١١) السلفية.

(٤) قال السيوطي في البدور السافرة ص ٤٢ أخرجه عبدالرزاق وعبد بن حميد بن أبي حاتم في تفاسيرهم والبيهقي بسند صحيح.

قال رسول الله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نُزُلًا لأهل الجنة»^(١).

قال القرطبي: «هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموات تبدل وتزال ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط، لا كما قال كثير من الناس، أن تبدل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها ونسف جبالها ومد أرضها»^(٢).

قال المؤلف: «وإن قال غيره فهو سالمي دهري كافر».

لم يبين المؤلف القول المخالف ما هو، وإجماله هذا تكرر في أكثر من موضع ولم أجد قولاً للسالمية في هذه المسألة.

* * *

(١) أخرجه مسلم كتاب صفات المنافقين باب نزل أهل الجنة (٢٧٩٢).

(٢) التذكرة (٢١٦) ط/ المجلد العربي.

يسأل^(١) عن الروح؟

فإن قال: لا تفنى وإنما تخرج من نفس وتدخل في أخرى، فهو سالمى مجوسى دهري.

وإن قال: لا تدخل في أخرى، فهو سني.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾^(٢)، قيل: هو أرواح المؤمنين.

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾^(٣) قيل: أرواحهم، فدل على أنها لا تدخل في أخرى^(٤).

* * *

(١) هذه المسألة لست في «م».

(٢) سورة المطففين، آية: ١٨.

(٣) سورة المطففين، آية: ٧.

(٤) كتب في الهامش: «ويعتقد أن الحياة غير الروح لأن الحياة ما صار الإنسان به حياً والروح ما قال الله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وهو مخلوق وتفارق الحسد إذا نام والحياة لا تفارق إلا إذا مات...».

دراسة المسألة:

القول بالتناسخ عقيدة باطلة ظهرت في ديانة المجوس وبعض الديانات الهندية^(١).

قال ابن الجوزي: «وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ، وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيرّه فاستراح، وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق»^(٢).

قال الاسفراييني: «أهل التناسخ هم قوم من الفلاسفة قبل الإسلام وكان سقراط من جملتهم، وكان في دولة الإسلام من أهل التناسخ فريقان، فريق من جملة القدرية، وفريق من غلاة الروافض»^(٣).

وكان أحمد بن خابط^(٤) يقول بالتناسخ.

أما ما نسبته المؤلف إلى السالمية فلم أقف على من وافق المؤلف على هذه النسبة.

قال السفاريني: «التناسخ الباطل الذي يقوله أعداء الرسل من

(١) انظر الملل والنحل ص (٥٨١) للشهرستاني ط/ الأزهر، والملل والنحل (٣/٣٥٨)

لشهرستاني، ت/ أحمد فهمي مكتبة حسين ١٣٦٨هـ.

(٢) تلبس إبليس (٧٧) ط/ المنيرية.

(٣) التبصير (١٢٠) ط الخانجي.

(٤) أحمد بن خابط معتزلي من أصحاب النظام يوافق النصاري في اعتقادهم ويقول بالتناسخ انظر: الملل والنحل (٨٨) للشهرستاني.

الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد، ويزعمون أن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي كانت تناسبها وتشاكلها، فإذا فارقت هذه الأبدان انتقلت إلى أبدان تلك الحيوانات، فتتعم فيها وتعذب ثم تفارقها، وتحل في أبدان أخرى تناسب أعمالها وأخلاقها وهلم جرا، فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم غير ذلك، فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفق عليه الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم وهو كفر بالله وباليوم الآخر^(١).

أما مسألة مستقر الروح بعد خروجها من الجسد، فقد تنوعت الأقوال في ذلك واختلفت، والحق في ذلك التلقي من النصوص الصحيحة.

٤

قال السفاريني: «هذه من المسائل العظام قد تكلم فيها الناس، واختلفوا في ذلك، وهي إنما تتلقى من السمع فقط»^(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي: «يتلخص من الأدلة: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت، فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملاء الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا كلهم، بل من

(١) لوامع الأنوار (٢/٥٠).

(٢) المصدر نفسه (٢/٤٦).

الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه كما في المسند عن عبد الله بن جحش: «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: الجنة، فلماً ولّى قال: إلا الدين، سارني به جبرائيل آنفاً»^(١).

ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون في الأرض، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة»^(٢).

قال ابن القيم بعد أن أورد تنوع الأرواح في البرزخ: «ومن تأمل السنن والآثار وكان له فضل اعتناء عرف حجة ذلك فلا يظهر أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضاً فإنها كلها حق، صدق يصدق بعضها بعضاً لكن الشأن في فهمها وفهم المقصود منها، ومعرفة النفس وأحكامها، وأن لها شأناً غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً، وتنقسم إلى مرسله ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم وعذاب، أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير»^(٣).

* * *

(١) مسند الإمام أحمد رقم (١٦٨٠٣).

(٢) شرح الطحاوية (٤٥٤، ٤٥٥).

(٣) الروح (٢٠٠-٢٠١) ط/ دائرة المعارف العثمانية - الهند - ١٣٨٣ هـ.

يسأل^(١) عن يزيد بن معاوية رحمة الله عليهما، هل يكفر من يلعنهما أم^(٢) لا؟

فإن قال: يفسق، فهو واقفي^(٣) شكاك في الدين ورافضي، ومن قال: بالترحم عليهما وعلى جميع الصحابة، فهو سني.

دليلنا: قوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(٤) وقال - عليه السلام -: «أتاني جبريلُ بوزقة خضراء من عليين مكتوب فيها فرض الله تعالى حُبَّ معاويةَ بن أبي سفيان وابنه يزيدَ فرضاً مني على عبادي»^(٥).

وقال - عليه السلام -: «الأمناء ثلاثة أنا وجبريل وأخي معاوية»^(٦). وعن الحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يتم السنة إلا بالترحم على يزيد ومعاوية، ومثل أصحابي كمثلي بيت، ومثل معاوية كمثلي باب على البيت، مثل يزيد كحلقة الباب، فمن تعرض للحلقة فقد تعرض للباب، ومن تعرض للباب فقد تعرض

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) الصواب لغة «أو».

(٣) لعل المراد به لفظ ذم، لا فرقة معينة.

(٤) أخرجه الدارقطني في المؤتلف والمختلف (١٧٧٨) وابن حزم في الإحكام (٢٥١/٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٧٦٠) قال ابن عبد البر: «هذا إسناد لا تقوم به حجة» وقال ابن حزم: «هذه رواية ساقطة».

(٥) لم أجده. وعلامة الوضع ظاهرة عليه.

(٦) حديث موضوع قال النسائي، وابن حبان، والخطيب: إنه باطل والواضع له: علي بن عبد الله بن القدح البرداني انظر الفوائد المجموعة ص (٤٠٤) (١١٩١٠) للشوكاني.

لما في البيت، ومن تعرض لما في البيت فقد تعرض بي، ومن تعرض بي فقد كفر»^(١).

وعن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ أنه قال يوماً أدعُ بمعاوية ابن أبي سفيان فقام بلال المؤذن ودعا بمعاوية، فحمل يزيد معه فقال ﷺ: «ألا أبشرك يا معاوية قال: بلى يا رسول الله قال: إن الله - تعالى - قد أنزل عليّ جبريل - عليه السلام - وهو يقول: الله عنك راض وعن ابنك يزيد»^(٢).

وعن معمر الأصفهاني يقول سمعت سليمان بن موسى القاضي يقول: سب رجل يزيد بن معاوية رحمة الله عليهما، فقدم إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز فذكر له فقال: أين البيعة فجلبا البيعة فشهدا عليه أنه سب يزيد بن معاوية فأمر باستتابته، فأبى، فأمر بضرب عنقه، فدل على أنه يكفر بالطعن ولو لم يكفر لم يؤمر بضرب عنقه^(٣).

* * *

(١) لم أجده. وعلامة الوضع عليه ظاهره.

(٢) لم أجده. وعلامة الوضع عليه ظاهرة.

(٣) لم أجده. . . والذي وجدته: ما روي عن عمر بن عبدالعزيز أنه ما سمع شاتماً لمعاوية إلا ضربه انظر شرح أصول الاعتقاد (٧/ رقم ٢٣٨٦) اللالكائي.

دراسة المسألة :

غلا المؤلف^(١) في يزيد بن معاوية مع أن يزيد ليس من الصحابة بإجماع المؤرخين قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فالرافضة لما كانت تسب الصحابة صار العلماء يأمرؤن بعقوبة من يسب الصحابة ، ثم كفّرت الصحابة وقالت عنهم أشياء قد ذكرنا حكمهم فيها في غير هذا الموضع ، ولم يكن أحد إذ ذاك يتكلم في يزيد بن معاوية ، ولا كان الكلام فيه من الدين ، ثم حدثت بعد ذلك أشياء ، فصار قوم يظهرون لعنة يزيد بن معاوية ، وربما كان غرضهم بذلك التطرق إلى لعنة غيره ، فكره أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه ، فسمع بذلك قوم ممن كان يتسنن ، فاعتقد أن يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدى .

وصار الغلاة فيه على طرفي نقيض ، هؤلاء يقولون : إنه كافر زنديق ، وإنه قتل ابن بنت رسول الله ﷺ ، وقتل الأنصار وأبناءهم بالحرّة ليأخذ بشأر أهل بيته الذين قتلوا كفاراً ، مثل جده لأمه عتبة بن

(١) وإن كنت أتوقف في صحة نسبة هذه المسألة لأبي الفرج الشيرازي رحمه الله فربما طالت أيدي أصحاب عدي بن مسافر هذه النسخة فأضيفت ونسبت له ، والذي حملني على ذلك ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال (. . .) ثم ذكروا بعد هذا « عقيدته » وقالوا : هذه عقيدة السنة من إملاء الشيخ عدي والعقيدة من كتاب التبصرة للشيخ أبي الفرج المقدسي بالفاظه نقل المسطرة لكن حذفوا منها تسمية المخالفين وأقوالهم وذكروا ما ذكروا من الأدلة وزادوا فيها من ذكر يزيد وغيره أشياء لم يقلها الشيخ أبو الفرج (. . .) الفتاوى (١١ / ١٠٣) .

ربيعة^(١) وخاله الوليد^(٢) وغيرهما، ويذكرون عنه من الاشتهار بشرب الخمر وإظهار الفواحش أشياء.

وأقوام يعتقدون أنه كان إماماً عادلاً هادياً مهدياً، وأنه كان من الصحابة، وأنه كان من أولياء الله تعالى، وربما اعتقد بعضهم أنه كان من الأنبياء.

وهذا الغلو في يزيد من الطرفين خلافاً، لما أجمع عليه أهل العلم والإيمان.

فإن يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ولم يدرك النبي ﷺ، وليس من الصحابة باتفاق العلماء، ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح، بل كان من شبان المسلمين، فليس كافراً ولا زنديقاً، وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضى بعضهم، وكان فيه شجاعة وكرم، ولم يكن مظهراً للفواحش كما يحكي عنه خصومه، وجرت في إمارته أمور عظيمة.

أحدهما: مقتل الحسين - رضي الله عنه -، وهو لم يأمر بقتل الحسين، ولا أظهر الفرح بقتله ولا نكت بالقضيب على ثناياه - رضي الله عنه - ولا حمل رأس الحسين - رضي الله عنه - إلى الشام،

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو الوليد، من سادات قريش، قتله عبده بن الحارث بن عبدالمطلب رضي الله عنه كافراً يوم بدر. انظر المعارف لابن قتيبة (١٥٧/١٥٤/٧٢).

(٢) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس مات وهو مشرك يوم بدر قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه انظر (المعارف، لابن قتيبة ١٥٦).

لكن أمر بمنع الحسين - رضي الله عنه - ورفعه عن الأمر ولو كان بقتاله، فزاد النواب على أمره، وحض الشمر بن ذي الجوشن^(١) على قتله لعبيد الله بن زياد^(٢) فاعتدى عليه عبيد الله بن زياد، فطلب منهم الحسين - رضي الله عنه - أن يجيء إلى يزيد، أو يذهب إلى الثغر مرابطاً، أو يعود إلى مكة فمنعوه - رضي الله عنه -، إلا أن يستأسر لهم، وأمر عمر بن سعد^(٣) بقتاله فقتلوه مظلوماً . . .

وكان قتله - رضي الله عنه - من المصائب العظيمة، فإن قتل الحسين، وقتل عثمان قبله: كانا من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمة، وقتلتها من شرار الخلق عند الله .

ولما قدم أهلهم - رضي الله عنهم - على يزيد بن معاوية أكرمهم وسيرهم إلى المدينة، وروى عنه أنه لعن ابن زياد على قتله، وقال: كنت أَرْضَى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين، لكنه مع هذا لم يظهر منه إنكار قتله، والانتصار له، والأخذ بثأره كان هو الواجب عليه، فصار أهل الحق يلومونه على تركه للواجب مضافاً إلى أمور

(١) اسمه شرحبيل بن قرط الضبابي الكلابي من قتلة الحسين، لما قام المختار الثقفي بتتبع قتلة الحسين خرج إلى الكوفة ففاجأه جمع من رجال المختار فقتلوه سنة ست وستين . انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٢٨٠) والبداية والنهاية (٨/ ١٧٥ / ٢٧٠) .

(٢) عبيد الله بن زياد أبيه ولد بالبصرة سنة ٢٨هـ وله فتوحات، وله ولاية، قتله ابن الأشتر سنة ٦٧هـ .

(٣) عمر بن سعد بن وقاص الزهري قال الذهبي هو في نفسه غير متهم لكنه بشر قتال الحسين وفعل الأفاعيل قتل عندما تتبع المختار الثقفي قتلة الحسين سنة ٦٦هـ وقيل ٦٥هـ الميزان (٣/ ١٩٨) والبداية (٨/ ١٧٠) .

أخرى، وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء.

وأما الأمر الثاني: فإن أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته، وأخرجوا نوابه وأهله، فبعث إليهم جيشاً، وأمره إذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاثاً، فصار عسكره في المدينة النبوية ثلاثاً يقتلون وينهبون، ويفتضون الفروج المحرمة، ثم أرسل جيشاً إلى مكة المشرفة، فحاصروا مكة، وتوفي يزيد وهم محاصرون مكة، وهذا من العدوان والظلم الذي فعل بأمره.

ولهذا كان الذي عليه معتقد أهل السنة وأئمة الأمة أنه لا يسب ولا يحب، قال صالح بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إنهم لا يحبون يزيد قال: يابني! وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟. فقلت: يا أبت! فلماذا لا تلعنه؟ قال: يابني! ومتى رأيت أباك يلعن أحداً؟

وروي عنه قيل له: أكتتب الحديث عن يزيد بن معاوية؟ فقال:

لا، ولا كرامة، أو ليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل؟

فيزيد عند علماء أئمة المسلمين، ملك من الملوك، لا يحبونه محبة الصالحين وأولياء الله، ولا يسبونهم، فإنهم لا يحبون لعنة المسلم المعين، لما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «أن رجلاً كان يدعى حماراً، وكان يكثر شرب الخمر، وكان كلما أتى به النبي ﷺ ضربه، فقال رجل: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي ﷺ: فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله

ورسوله»^(١).

ومع هذا فطائفة من أهل السنة يجيزون لعنه، لأنهم يعتقدون أنه فعل من الظلم ما يحوز لعن فاعله، وطائفة أخرى ترى محبته، لأنه مسلم تولى على عهد الصحابة، وبايعه الصحابة ويقولون: لم يصح عنه ما نقل عنه، وكانت له محاسن، أو كان مجتهداً فيما فعله.

والنصواب هو ما عليه الأئمة: من أنه لا يخص بمحبة ولا يلعن، ومع هذا فإن كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر للفاسق والظالم، لا سيما إذا أتى بحسنات عظيمة.

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «أول جيش يغزو القسطنطينة مغفور له»^(٢).

وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية، وكان معه أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه -.

وقد يشتهه يزيد بن معاوية بعمه يزيد بن أبي سفيان فإن يزيد بن أبي سفيان كان من الصحابة وكان من خيار الصحابة، وهو خير آل حرب، وكان أحد أمراء الشام الذين بعثهم أبو بكر - رضي الله عنه - في فتوح الشام...

فالأوجب الاقتصاد في ذلك والإعراض عن ذكر يزيد بن معاوية

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة (٦٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب: ما قبل في قتال الروم (٢٩٢٤).

وامتحان المسلمين به، فإن هذا من البدع المخالفة لأهل السنة والجماعة.

فإن بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاوية من الصحابة وأنه من أكابر الصالحين وأئمة العدل وهو خطأ بين^(١).

وأما معاوية - رضي الله عنه - فهو من الصحابة ممن أسلم عام فتح مكة، قبل موت النبي ﷺ بنحو من ثلاث سنين، وكان أحسن الناس سيرة في ولايته، وهو ممن حسن إسلامه، ولولا محاربته لعلي - رضي الله عنه - وتولية الملك، لم يذكره أحد إلا بخير^(٢).

ومن أصول أهل السنة الكف عما شجر بين الصحابة - رضي الله عنهم - والترضي عنهم، فحبهم سنة، والدعاء لهم قرينة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآرائهم فضيلة، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً فهو مبتدع رافضي^(٣).

* * *

(١) الوصية الكبرى (١٠٥-١١٠) دار الفاروق.

(٢) انظر منهاج السنة النبوية (٤/٤٢٩).

(٣) انظر السنة للإمام أحمد بن حنبل ص ٣٨ ضمن مجموع مع كتاب الرد على الجهمية مطبعة الحلبي - مصر.

يسأل^(١) عن قراءة القرآن وثوابه وهدية الأحياء للأموات هل يصل الثواب إليهم أم^(٢) لا؟

فإن قال: يصل الثواب إليهم، فهو سني.

وإن قال: لا ينالهم الأجر ولا الفضل ولا الثواب، فهو أشعري، رادُّ على قول الله تعالى وعلى أخبار النبي ﷺ.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٣).

وعن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «ما الميت في قبره إلا شبه الغريق المبهوت، ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة، فإذا لحقه ذلك أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإن الله عز وجل يدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدور أمثال الجبال، وإن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم»^(٤).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تصدق المؤمن عن ميت فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباقٍ من نور، فيقف على رأس القبر فينادي يا صاحب القبر الغريب في وحدته! أبشر فإن أهلك قد

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) الصواب لغة «أو».

(٣) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٤) أخرجه الضياء في المنتقى (١/٢٦٨) وفي السنن (٢٨٦) كما في الضعيفة للألباني - رحمه الله - (٧٩٩/٢) وقال: منكر جداً وفيه ابن أبي عياش، قال الذهبي: لا أعرفه - وخبره منكر جداً وساق حديثه (الميزان ٣/٤٩٦).

أهدوا لك هذه الهدية، فأقبل فيدخلها في قبره، فيقول: جزى الله أهلي خيراً، والقبر الذي بجانبه يتحسر ويندم، فيقول: ليس لي أحد يذكرني بخير وثوابٍ وهدية، فهو مغموم محزون، والذي يُتصدق عنه فرحٌ مسرورٌ بتلك الهدية»^(١).

ورأى النبي ﷺ رجلاً جالساً على قبر فقال له: «لا تجلس على قبر، فإنه يتأذى بجلوسك عليه»^(٢).

عن أبي هريرة قال: قال: النبي ﷺ: «من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له»^(٣) وفي رواية: «أربعون»^(٤).

وعن ابن جريج^(٥) عن موسى بن وردان^(٦) عن أبي هريرة قال: قال

٢

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٥/١ - من زوائد المعجمين) وقال الهيثمي في المجمع (١٣٩/٣) رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو محمد الشامي، قال عنه الأزدي كذاب قال الألباني - رحمه الله - في الضعيفة (٤٨٦/١) موضوع.

(٢) ذكره المجد ابن تيمية في المنتقى (١٠٤/٢) وعزاه إلى مسند أحمد وكذا الحافظ في الفتح (١٧٩/٣)، وأخرجه الطحاوي في معاني الآثار (٢٩٦/١)، من حديث عمرو بن حزم، وفيه ابن لهيعة وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب (١٩٠/٤) إلى الطبراني في الكبير ولم أجده فيه.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز باب من صلى عليه مائة فشفعوا (٩٤٧) من حديث عائشة والنسائي في الجنائز (١٩١١) وأحمد في المسند (١٣٣٩٣) كلهم من حديث عائشة.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز باب من صلى عليه أربعون فشفعوا (٩٤٨) من حديث ابن عباس.

(٥) هو عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج القرشي الأموي مولا هم. تلميذ عطاء بن أبي رباح ت ١٥٠ هـ انظر تهذيب التهذيب (١٦٦٥).

(٦) موسى وردان القرشي العامري القاص ت ١٢٧ هـ التهذيب (١٩٩٠٥).

رسول الله ﷺ لأصحابه: «أهدوا إلى موتاكم، قلنا: ما نهدي إلى موتانا يارسول الله قال: الصدقة والقرآن والدعاء ثم قال ﷺ: إن أرواح المؤمنين يأتون كلَّ جُمعة إلى سماء الدنيا، فيقفون بحذاء دورهم وبيوتهم، فينادي كلُّ واحدٍ بصوت حزين يا أهلي ويا ولدي وياقرباتي! اعطفوا علينا بشيء - رحمكم الله - اذكرونا ولا تنسونا، وارحموا غربتنا وقلة حيلتنا وما نحن فيه، فإننا قد بقينا في سجن وثيق وغم طويل ووهن شديد، فارحمونا رحمكم الله ولا تبخلوا علينا بدعاء أو صدقة أو تسبيح لعل الله يرحمنا قبل أن تكونوا أمثالنا، واحسرتاه واندامتاه!

وقال أنس: فقلت: بأبي أنت وأمي يارسول الله: هل يصل إليهم؟ فقال: والذي نفس محمد بيده ليصل أسرع من طرفة العين، ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدي إليه»^(١).

وعن قتادة^(٢) عن أبيه قال: قال: رسول الله ﷺ: «خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاثة: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده»^(٣).

وعن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «إن الصدقة لتطفي عن

(١) لم أجده.

(٢) هو قتادة بن الفضيل بن قتادة الحرشي ت ٢٠٠هـ وأبوه هو الفضيل بن قتادة بن عياش الحرشي. انظر التهذيب (١٨١٦٢).

(٣) أخرجه مسلم بنحوه في كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب (١٦٣١) والترمذي في كتاب الأحكام (١٣٧٦) والنسائي في كتاب الوصايا (٣٦٥١) كلهم من طريق العلاء ابن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة.

أهلها حر القبور»^(١).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليرفع له الدرجة في الجنة فيقول: يارب أنى لي هذا؟ قال: لاستغفار ولدك لك»^(٢).

وعن سعيد الجيلي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وعمل بما فيه، ألبس والداه تاجاً يوم القيامة»^(٣).

وعن تميم الداري أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مؤمن يقرأ آية الكرسي، ويحمل ثوابها لأهل القبور، لم يبق على وجه الأرض قبراً إلا أدخل الله تعالى فيه [٤] ووسعه عليه من البصر، وأعطاه الله تعالى بقراتها ثواب ألف شهيد، ورفع له ألف درجة، وكتب له بكل حرف كلمة ألف ألف حجة وعمرة، وخلق الله بكل حرف ملكين يسبحان الله يوم القيامة، وكان ثوابهم لهم»^(٥).

* * *

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨٧)، (٢٨٨) وابن عدي في الكامل (٣٩٦) كلهم من طريق يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر به.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة كما في المصنف (٣٨٧/٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أبوداود (١٤٥٣) والحاكم في المستدرک (٢٠٨٥) وصححه، وأبويعلى في مسنده (١٤٩٣) من طريق يحيى بن أيوب عن زيان بن فائد عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه مرفوعاً.

(٤) كلمة لم أتبين رسمها. ولعلها «معروفاً».

(٥) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٦٦٨٠) (٢٨/٤) من حديث علي.

دراسة المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أئمة الإسلام متفقون على انتفاع الميت بدعاء الخلق له، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، وقد دل عليه الكتاب والسنة والاجماع، فمن خالف ذلك كان من أهل البدع»^(١).

وقال: «والأئمة اتفقوا على أن الصدقة تصل إلى الميت، وكذلك العبادات المالية: كالعتق، وإنما تنازعوا في العبادات البدنية: كالصلاة والصيام، والقراءة، ومع هذا ففي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»^(٢).

وفي الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنه -: «أن امرأة قالت: يا رسول الله! إن أمي ماتت، وعليها صيام نذر، قال: أرأيت إن كان على أمك دين فقضيته، أكان يؤدي ذلك عنها؟ قالت: نعم، قال: فصومي عن أمك»^(٣).

فهذه الأحاديث الصحيحة صريحة في أنه يصام عن الميت ما نذر، وأنه شبه ذلك بقضاء الدين.

(١) انظر الفتاوى (٣٠٦/٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: من مات وعليه صوم (١٩٥٢) ومسلم في كتاب الصيام باب: قضاء الصيام عن الميت (١١٤٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: من مات وعليه صوم (١٩٥٣) ومسلم في كتاب الصيام باب: قضاء الصيام عن الميت (١١٤٨).

والأئمة تنازعوا في ذلك، ولم يخالف هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة من بلغته وإنما خالفها من لم تبلغه..»^(١).

وقال: «الصدقة عن الميت فإنه ينتفع بها باتفاق المسلمين، وقد وردت بذلك عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة، مثل قول سعد: «يا رسول الله! إن أُمِّي افتلّت نفسها، وأراها لو تكلمت تصدقت، فهل ينفعها أن أتصدق عنها؟ فقال: نعم»^(٢).

وكذلك ينفعه الحج عنه، والأضحية عنه، والعتق عنه، والدعاء والاستغفار له بلا نزاع بين الأئمة.

وأما الصيام عنه وصلاة التطوع عنه، وقراءة القرآن عنه، فهذا فيه قولان للعلماء:

أحدهما: ينتفع به، وهو مذهب أحمد، وأبي حنيفة، وغيرهما، وبعض أصحاب الشافعي وغيرهم.

الثاني: لا تصل إليه، وهو المشهور في مذهب مالك والشافعي.

وأما الاستئجار لنفس القراءة، والإهداء، فلا يصح ذلك»^(٣).

وقال: «فإذا أهدى لميت ثواب صيام، أو صلاة، أو قراءة جاز ذلك، وأكثر أصحاب مالك والشافعي، يقولون: إنما يشرع ذلك في

(١) الفتاوى (٢٤/٣٠٩-٣١٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب: موت الفجأة (١٣٨٨) ومسلم في كتاب الزكاة باب وصول ثواب الصدقة (١٠٠٤).

(٣) الفتاوى (٢٤/٣١٤-٣١٥).

العبادات المالية، ومع هذا فلم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعاً، وصاموا، وحجوا، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين، ولا لخصوصهم، بل كان عادتهم كما تقدم، فلا ينبغي للناس أن يعدلوا عن طريق السلف، فإنه أفضل وأكمل..»^(١).

ومما تقدم نعلم أن الصدقة عن الميت وسائر العبادات المالية يصل إلى الميت ثوابها بالاتفاق، وأما العبادات البدنية ففي ذلك نزاع، والصواب أنه يصل إلى الميت ثوابها.

ومع ذلك فالأولى الاكتفاء بالدعاء لهم، وعدم إهداء ثواب القرب لهم، لأنه لم يكن معهوداً عند السلف.

أما ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة فلم أقف فيما بين يدي من كتبهم على المنع من إهداء ثواب القرب للأموات.. ولم أجد من وافق المؤلف على نسبة هذا المذهب لهم.

وهذه المسألة: مسألة خلافة لا يبدع المخالف فيها فجعلها من مسائل الإمتحان غير مناسب.

* * *

يسأل: عن صوم شهر رمضان هل يصام برؤية الهلال أم بالحساب والقياس؟

فإن قال: برؤية والإخبار عن الثقات، فهو سني.

وإن قال: بغيره فهو شاعي^(١) رافضي كافر بالله وبرسوله.

دليلنا: قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»^(٢).

وقوله ﷺ: «نحن أمة أمية لا نحسب ولا نحسب ولا نقول بقول

المنجمين وأهل الحساب، نصوم لرؤيته ونفطر لرؤيته»^(٣).

وروي عن علي كرم الله وجهه^(٤)، أنه قال: «صمنا تسعاً»^(٥)

(١) هكذا في المخطوطة ولعلها «شيعي» وهذا الذي يقتضيه السياق.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا» (١٩٠٩) ومسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال (١٠٨١)، والترمذي في كتاب الصوم (٦٨٤) والنسائي في كتاب الصيام (٢١١٧) وابن ماجه في الصيام (١٦٥٥) وأحمد (٧٤٦٤) (٧٥٢٧) والدارمي (١٦٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: قول النبي ﷺ: لا نكتب ولا نحسب (١٩١٣) بلفظ: «إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين».

ومسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال (١٠٨٠) والنسائي في كتاب الصيام (٢١٤٠) وأبوداود في كتاب الصوم (٢٣١٩).

أما لفظ: «لا نحسب ولا نقول بقول المنجمين وأهل الحساب» فلم أجدها.

ولفظ: «نصوم لرؤيته ونفطر لرؤيته» فثبت كما في الحديث السابق.

(٤) لا وجه لتخصيص علي، رضي الله عنه - ب: «كرم الله وجهه» دون سائر الصحابة، ولم يثبت هذا التخصيص عن السلف الصالح، ولا دليل يدل على التخصيص، فالأولى الاكتفاء بالترضي عنه كسائر الصحابة - رضي الله عنهم - أجمعين.

(٥) الصواب لغة: «تسعة».

وعشرين من شهر رمضان، وأكثر ما صمنا ثلاثين تاماً؛ لأن الشهور أكثرها نواقص»^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾.

* * *

(١) أخرجه أبوداود في الصيام (٢٣٢٠)، والترمذي في الصيام (٦٨٩) من حديث ابن مسعود وابن ماجه في الصيام (١٦٥٨) من حديث أبي هريرة.

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف عليه عمل أهل السنة من عصور متعاقبة، وعليه تدل الأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهِلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(١).

وقال: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٢).

وقال ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم الشهر فعدوا، ثلاثين»^(٣).

وقال ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة، والشهر هكذا وهكذا يعني تمام الثلاثين»^(٤).

وقال ﷺ: «لاتصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه، فإن أغمي عليكم فاقدروا له»^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإننا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ح (١٠٨١).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ح (١٠٨٠).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ح (١٠٨٠).

أن العمل في رؤية هلال الصوم والحج أو العدة أو الإيلاء أو غير ذلك من الأحكام المتعلقة بالهلال بخبر الحاسب، أنه يرى أو لا يرى: لا يجوز.

والنصوص المستفيضة عن النبي ﷺ بذلك كثيرة، وقد أجمع المسلمون بذلك عليه، ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلاً، ولا خلاف حديث إلا أن بعض المتأخرين من المتفقهة الحادئين بعد المائة الثالثة زعم: أنه إذا غم الهلال جاز للحاسب أن يعمل في حق نفسه بالحساب، فإن كان الحساب دل على الرؤية صام وإلا فلا.

وهذا القول وإن كان مقيداً بالإغمام، ومختصاً بالحاسب، فهو شاذ مسبوق بالإجماع على خلافه، فأما إتباع ذلك في الصحو، أو تعليق عموم الحكم العام به فما قاله مسلم^(١).

وقال القرطبي: «وقد روى ابن نافع عن مالك في الإمام: لا يصوم الهلال، ولا يفطر لرؤيته وإنما يصوم ويفطر على الحساب: أنه لا يقتدى به، ولا يتبع»^(٢).

قال النووي: «ومن قال بحساب المنازل فقلوه مردود بقوله ﷺ: «إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب، الشهر هكذا وهكذا». الحديث»^(٣)، ولأن الناس لو كلفوا بذلك لضاق عليهم، لأنه لا يعرف الحساب إلا

(١) انظر الفتاوى ١٣٢/٢٤٠.

(٢) تفسير القرطبي (١/٦٦٩، ٦٧٠) ط دار الشعب.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٢٣.

أفراد الناس»^(١).

أما ما نسبته المؤلف للرافضة فلهم في المسألة قولان:

الأول: موافقة المسلمين في الصوم بالرؤية والفطر بالرؤية، غير أنهم قالوا: بأن شهر رمضان لا ينقص عن ثلاثين يوماً، ولم ينقص منذ خلق الله السموات والأرض، والثاني: الصيام بالعدد والحساب^(٢).

* * *

(١) المجموع (٦/ ٢٧٠).

(٢) انظر بحار الأنوار محمد بن باقر المجلسي (٩٦/ ٣٠٤ - ٣٠٧) ط المكتبة الإسلامية طهران - غير مؤرخه - ط ١.

تمت مسائل الامتحان بحمد الله ومَنَّه وصلواته على
سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وسلامه .

وقع الفراغ منه في جمادى الآخرة سنة تسع وستين
وستمئة على يد الفقير إلى الله يوسف بن محمد بن يوسف .
قرأ على الفقيه الإمام مجد الدين علي بن أبي بكر بن
محمد .

وكتب الفقير إلى الله تعالى يوسف بن محمد بن
يوسف^(١) .

٢

(١) آخر المخطوطة م : «تم الكتاب وربنا محمود، وله المكارم والعلی والجود، والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وسلامه، وبالله التوفيق، قرأ على هذه العقيدة الفقيه الإمام مجد الدين علي بن أبي بكر بن محمد قراءة من . وكنت قرأتها على الإمام العالم عز الدين بن رزق الله بن أبي بكر الرسعني الحنبلي قدس الله روحه، وقد أقر بصحتها، وتم له في سادس رمضان من سنة تسع وستين وستمئة، كتب الفقير إلى الله تعالى يوسف بن محمد بن يوسف الهكاري حامداً لله ومصلباً على نبيه وآله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلامه .

هذه مسائل وجدتها في النسخة: م زائدة على الأصل

يسأل: عن الباري جل جلاله هل هو بذاته في الأرض أم^(١)
بعلمه؟

فإن قال: بعلمه، فهو سني.

وإن قال: بذاته، فهو معتزلي.

* * *

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى عالٍ على خلقه، وقدرته وعلمه في كل مكان.

قال الإمام مالك بن أنس: «الله في السماء وعلمه في كل مكان»^(١).

قيل للإمام أحمد: والله تعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم، على عرشه لا يخلو شيء من علمه^(٢).

قال الإمام أبو نصر السجزي: «وأئمتنا متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه بكل مكان»^(٣).

قيل لعبد الله بن المبارك: «كيف نعرف ربنا عز وجل؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه ها هنا في الأرض، فقليل هذا لأحمد بن حنبل، فقال: هكذا هو عندنا»^(٤).

قال: الإمام أحمد: «وهو على العرش فوق السماء السابعة».

(١) الفتاوى (١٨٣/٥).

(٢) طبقات الحنابلة (٤٣١/١) لابن أبي يعلى واجتماع الجيوش الإسلامية (٧٧) لابن القيم.

(٣) الفتاوى (١٩٠/٥).

(٤) العلو (١٤٩) ط أضواء السلف.

فإن احتج مبتدع أو مخالف بقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١).

وبقوله - عز وجل -: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٢)، أو بقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَايَهُمْ﴾^(٣).

قيل: إنما يعنى بذلك العلم، لأن الله تبارك وتعالى على العرش فوق السماء السابعة يعلم ذلك كله وهو تعالى بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان^(٤).

قال حرب بن إسماعيل الكرماني: قلت لإسحاق بن راهوية قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَايَهُمْ﴾^(٥) كيف تقول فيه؟

قال: حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه^(٦).

وقال الإمام ابن عبد البر: «أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَايَهُمْ﴾^(٧)، هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في

(١) سورة ق، آية: ١٦.

(٢) سورة الحديد، آية: ٤.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٧.

(٤) السنة للإمام أحمد ص ٤٨ ضمن شذرات البلاتين.

(٥) سورة المجادلة، آية: ٧.

(٦) العلو (١٧٨) للذهبي.

(٧) سورة المجادلة، آية: ٧.

ذلك أحد يحتج به»^(١) وقد قدمنا الأدلة من الكتاب والسنة على صفة العلو لله تعالى .

ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة قد صرح بعضهم بخلافه .

قال القاضي عبد الجبار: «في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَآهُمْ وَلَا حِصَّةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾»^(٢) .

فيجب أن يحمل الكل على أن المراد به: أنه عالم بأحوالهم، وأنهم لا يقدرّون على أن يستسروا بما يتناجون دونه . .»^(٣) .

وقد قال بعض الجهمية بأنه يحل بذاته في الأرض .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وافترق الناس في هذا المقام - في العلو والاستواء - أربع فرق:

فالجهمية النفاة الذين يقولون: لا هو داخل العالم ولا خارج العالم، ولا فوق ولا تحت، لا يقولون بعلوه ولا بفوقيته، بل الجميع عندهم متأول أو مفوض .

وقسم ثان: يقولون: إنه بذاته في كل مكان، كما يقول ذلك النجارية وكثير من الجهمية عبادهم وصوافيتهم وعوامهم»^(٤) .

(١) العلو (٢٤٩) للذهبي، وانظر الفتاوى (١٩٣/٥) لابن تيمية .

(٢) سورة المجادلة، آية: ٧ .

(٣) متشابه القرآن (٦٤٦) دار التراث .

(٤) الفتاوى (١٢٢/٥ - ١٢٣) .

يسأل: عما نقرأه؟

فإن قال: هو نفس القرآن، فهو سني.

وإن قال: قرأية القرآن، فهو أشعري^(١).

* * *

(١) قد تقدم البحث عن هذه المسألة انظر مسألة: المقروء هل هو كلام الله؟ ص ١٤٢.

يسأل: عن العبد إذا عذب في قبره هل يألم أم^(١) لا؟

فإن قال: يألم، فهو سني.

وإن قال: لا يألم، فهو أشعري.

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة وعليه تدل الأدلة من الكتاب والسنة .

قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِكَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١٦﴾﴾^(١).

وقال ﷺ في حديث البراء بن عازب: «فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه...»^(٢).

وقال ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لدعوات الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع»^(٣).

قال: شيخ الإسلام «وعذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) أخرجه أحمد (١١٨٦٢) (١٣٠٣٤)، وأبوداود (٤٧٥٣) والبيهقي في عذاب القبر (٢٠) وعبدالرزاق في المصنف (٦٧٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٠/٣ - ٣٨٢) وابن منده في الإيمان.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت وأخرجه مسلم في كتاب الجنة (٢٨٦٨)، والنسائي في كتاب الجنائز (٢٠٥٨)، وأحمد (١١٥٩٦) (١١٦٨٦) (١١٧١٣) (١٢١٤٣) من حديث أنس بن مالك.

الحال مجتمعين، كما تكون على الروح منفردة عن البدن»^(١).

وقال: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وإنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها، وقاموا له من قبورهم لرب العالمين»^(٢).

أما ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة فلم أقف على صحة هذه النسبة لهم، والموجود في كتبهم التصريح بوقوع عذاب القبر.

قال الأيجي: «إحياء الموتى في قبورهم، ومسألة منكر ونكير لهم، وعذاب القبر للكافر والفاسق كلها حق عندنا»^(٣).

وقال المكلاطي: «والذي صار إليه أهل الحق: إثبات عذاب القبر، فإنه من مجوزات العقول، ووقوعه معلوم من جهة السمع»^(٤).

وقال الإسفرايني: «ولا ينكر ما استفاض به الأخبار، ونطقت به الآيات من الإحياء في القبر إلا من ينكر عموم قدرة الله تعالى»^(٥).

وقال الجويني: «وقد تواترت الأخبار باستعاذة رسول الله ﷺ بربه

(١) الفتاوى (٢٨٢/٤).

(٢) الفتاوى (٢٨٤/٤).

(٣) المواقف (٣٨٢).

(٤) لباب العقول (٣٨٠).

(٥) التبصير في الدين (١٥٩).

من عذاب القبر، ونقل آحاد من الأخبار في ذلك تكلف، ثم لم يزل ذلك مستفيضاً في السلف الصالحين قبل ظهور أهل البدع والأهواء»^(١).

* * *

يسأل: عن الأمر هل يصح من غير إرادة أم^(١) لا؟

فإن قال: يصح، فهو سني.

فإن قال: لا يصح، فهو معتزلي^(٢).

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) انظر بحث هذه المسألة في ص ٢٩٠.

يسأل: عمن يسب أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - وأصحابه هل يكفرون أم^(١) لا؟

فإن قال: يكفرون، فهو سني.

وإن قال: أنكر ذلك، فهو أشعري.

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

دراسة المسألة :

قال شيخ الإسلام «فأما من سب أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بيته وغيرهم فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضرباً نكالاً، وتوقف عن قتله وكفره.

فقال في رواية الإصطخري: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع.

فقد نص على وجوب تعزيره، واستتابته حتى يرجع بالجلد، وإن لم ينته حبس حتى يموت أو يرجع.

وقال إسحاق بن راهوية: من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس، وقد قطع طائفة من الفقهاء من الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة، وكفر الرافضة.

وقال محمد بن يوسف الفريابي: وسئل عمن شتم أبا بكر قال: كافر، قيل: فيصلى عليه؟ قال: لا.

وقال أحمد في الرجل يشتم: قال هذا زندقة.

وقال فمن شتم أبا بكر وعمر وعائشة ما أراه على الإسلام.

قال القاضي أبو يعلى: أطلق الإمام أحمد القول فيه أنه يكفر بسبه لأحد من الصحابة، وتوقف في رواية عبدالله وأبي طالب عن قتله، وكمال الحد، وإيجاب التعزير يقتضي أنه لم يحكم بكفره^(١).

قال شيخ الإسلام: أما من اقترن بسبه دعوى أن علياً إله، أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبرئيل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقصت منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية، ومنهم من سبهم سباً لا يقدر في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك - فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولانحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقاً فهذا محل الخلاف فيهم، لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفرأ قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره، لأنه تكذيب لما نصه

(١) انظر الصارم المسلول (٥٧٠-٥٧٣) ط المكتب الإسلامي.

القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١) وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره ومنهم من تردد فيه^(٢).

ما نسبته المؤلف إلى الأشاعرة من إنكار كفر من سب الصحابة لم أقف على صحة هذه النسبة لهم.



(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) الصارم المسبول (٥٩٠-٥٩١).

يسأل: عن الاسم هل هو المسمى أم^(١) غيره؟
فإن قال: الاسم للمسمى، أو عَلِمَ دل على المسمى أو صفة
للمسمى، فهو سني.
وإن قال: غير المسمى، فهو معتزلي^(٢).

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) سبق الكلام على هذه المسألة في ص ٣٢٦.

يسأل: عن الجن هل هم موجودون أم^(١) لا؟

فإن قال: هم موجودون، فهو سني.

وإن أنكر ذلك، فهو معتزلي، أو رافضي.

(١) الصواب لغة «أو».

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة بل عامة المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداً ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين...، وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار...»^(١).

وقال: «وجماهير الأمم يقرون بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها، ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم، وأما أكابر القوم فالمأثور عنهم: إما الإقرار بهم وإما أن لا يحكى عنهم في ذلك قول...، وليس لمن أنكر حجة يعتمد عليها تدل على النفي وإنما معه عدم العلم...»^(٢).

قال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٣).

وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ

(١) الفتاوى (١٩/١٠).

(٢) الفتاوى (١٩/٣٢).

(٣) سورة الجن، آية: ١.

قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ (١).

وقال: ﴿وَالْجَانَّ حَلْفَنُہُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾ (٢).

وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة بالدلالة على وجودهم فمكرر وجودهم منكر معلوم بالضرورة، وتكذيب للقرآن وهذا كفر ولا شك في ذلك.

أما ما نسبته المؤلف إلى المعتزلة فقد وافقه بعض أهل العلم على نسبة هذا المذهب لهم.

قال الجويني: «فإن قيل بيّنوا مذهبكم في الجن والشیاطین، قلنا: نحن قائلون بثبوتهم، وقد أنكرهم معظم المعتزلة، ودل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم، وركاكة ديانتهم، فليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد نصت النصوص من الكتاب والسنة على إثباتهم» (٣).

وقال ابن حجر الهيتمي: «وإنكار المعتزلة لوجودهم فيه مخالفة للكتاب والسنة والإجماع، بل ألزموا به كفراً؛ لأن فيه تكذيب النصوص القطعية بوجودهم» (٤).

وقال الدميري: «فإذا قيل: ما تقول فيما حكي عن بعض المعتزلة أنه ينكر وجود الجن؟ قلنا: عجيب أن يثبت ذلك عمّن يصدق بالقرآن

(١) سورة الأحقاف، آية: ٢٩.

(٢) سورة الحجر، آية: ٢٧.

(٣) الإرشاد (٣٢٣).

(٤) الفتاوى الحديثية (١٢٣) ط ١٣٩٠ هـ البابي الحلبي القاهرة.

وهو ناطق بوجودهم»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك كما يوجد في طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك»^(٢).

قال القاضي أبو يعلى: «وجود الجن ثابت، وهم عقلاء مكلفون لا نراهم وهم يرونا، ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون، خلافاً لبعض القدرية والفلاسفة والملاحدة في إنكارهم ذلك، وزعموا أن لا جن»^(٣).

وليس كل المعتزلة على إنكار وجود الجن بل منهم من صرح بوجودهم كالزمخشري في الكشف^(٤).

قال القاضي عبد الجبار: «اعلم أن الدليل على إثبات وجود الجن السمع دون العقل، وذلك أنه لا طريق للعقل إلى إثبات أجسام غائبة»^(٥).

(١) حياة الحيوان الكبرى (٣٠٦/١) ١٣٧٤هـ ط الاستقامة، الناشر المكتبة التجارية القاهرة.

(٢) الفتاوى (١٩/١٠).

(٣) المعتمد (١٧١-١٧٢).

(٤) انظر الكشف (١٦٦/٤) ط دار الفكر.

(٥) آكام المرجان ص ٣ الشليبي ولم أجده في كتب القاضي عبد الجبار المطبوعة.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وبعد:

ففي نهاية المطاف، أرجو أن أكون قد ساهمت في إحياء هذا الجزء، الذي بقي حبيس القماطر قروناً عديدة، ويمكن أن أجمل أهم نتائج البحث فيما يلي:

- ١ - أهمية إحياء تراث وكتب السلف وحاجة الناس إليها.
- ٢ - المساهمة في خدمة هذا الجزء وتيسير الاستفادة منه، الذي يمثل تدوينا لآراء الفرق في حقبة من الزمن.
- ٣ - الاطلاع على مسائل عديدة متنوعة ومفيدة.
- ٤ - بحث مسائل دقيقة وغامضة، وبيان آراء الفرق فيها.
- ٥ - هذا الجزء يبين جهود إمام من أئمة الحنابلة في الذب عن السنة والدفاع عنها.
- ٦ - الجزء يمثل تصنيفاً في الملل والنحل لعالم من أهل السنة مما يبين أهمية طرُق هذا المجال من قبل أهل السنة.

وختاماً، فهذا جهد المقل، وهذه بضاعته، فإن أصبت فذلك محض فضل الله، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله تعالى الغفران، وحسن الختام، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس المصادر والمراجع

- (١) إبطال التأويلات لابي يعلى الحنبلي، تحقيق محمد الحمود، مكتبة الذهبي الكويت، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- (٢) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي، دار الفكر.
- (٣) إثبات صفة العلو، لموفق الدين أبي محمد بن قدامة المقدسي، حقق وعلق عليه : د.أحمد ابن عطية الغامدي، مؤسسة علوم القرآن بيروت ومكتبة العلوم والحكم، ط ١ / ١٤٠٩هـ.
- (٤) إثبات صفة العلو لابن قدامه، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- (٥) أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود الزمخشري، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ.
- (٦) أساس التقديس للرازي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٦هـ.
- (٧) أصول الدين لعبد القاهر البغدادي، مكتبة المثنى، ومؤسسة الخانجي، مصور عن طبعة مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية باستنطبول، ط ١ / ١٣٤٦هـ.
- (٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد بالرياض، ١٤٠٣هـ.
- (٩) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، طبع مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ.
- (١٠) آكام المرجان في أحكام الجان للشبلي، طبعة محمد علي صبيح، القاهرة ١٣٧٦هـ.
- (١١) إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، د/علي المغربي، مكتبة وهبة، ط ١ / ١٤٠٥هـ.
- (١٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، تعليق وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ١٣٩٩هـ.

- (١٣) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة لابن تيمية، تحقيق منير آغا، مكتبة الرياض الحديثة .
- (١٤) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي، دار الندوة ، بيروت .
- (١٥) إثر حركات الباطنية في عرقله الجهاد ضد الصليبين، تأليف يوسف الشيخ عيد. دار المعالي بعمان الأردن .
- (١٦) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهنمية لابن القيم ، مطابع الفرزدق الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .
- (١٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، مراجعة وتحرير علي سامي النشار، دار الكتب العلمية ١٤٠٢ هـ .
- (١٨) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، تحقيق د. بشير عيون مكتبة المؤيد، ط الثالثة ١٤١١ هـ .
- (١٩) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة العكبري، تحقيق ودراسة رضا بن نعان معطي، دار الراية، ط الأولى ١٤٠٩ هـ .
- (٢٠) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن طة العكبري، تحقيق ودراسة يوسف الوابل. دار الراية ١٤١٥ هـ .
- (٢١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن طة العكبري، تحقيق ودراسة الأثيوبي .
- (٢٢) الإبهاح في شرح المنهاج على منهاج الأصول في علم الأصول، علي بن عبد الكافي السبكي وولد عبد الوهاب، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١/١٤٠١ هـ .
- (٢٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لعلاء الدين بن بلبان، قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٧ هـ .
- (٢٤) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد لأبي المعالي الجويني، طبعة الخانجي ١٣٦٩ هـ .
- (٢٥) الأسماء وانصفات للبيهقي، ت/ محمد زاهد الكوثري، دار إحياء التراث، بيروت .
- (٢٦) الأصول من الكافي، للكليني، دار الكتب الإسلامية، ط ٣/ ١٣٨٨ هـ .
- (٢٧) الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين ببيروت، ط ٦/ ١٩٨٤ م .

- (٢٨) الأم للشافعي، دار الفكر، ط الثانية ١٤٠٣ هـ .
- (٢٩) الأنساب للسمعاني، تقديم وتعديق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، ط الأولى ١٤٠٨ هـ .
- (٣٠) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجل أحمد بن حنبل، لعلاء الدين المرادوي، صححه وحققه محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ١٤٠٠/٢ هـ .
- (٣١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي ط ٢، ١٣٨٢ هـ .
- (٣٢) الإيمان لابن تيمية، تحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي .
- (٣٣) الإيمان لابن مودة تحقيق علي الفقيهي، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٦ هـ .
- (٣٤) الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير للجوزقاني، تحقيق عبد الرحمن القريوائي، المطبعة السلفية، ط الأولى ١٤٠٤ هـ .
- (٣٥) الابانة الصغرى لابن بطة العكبري، تحقيق هنري لوست، ١٩٥٨ م .
- (٣٦) الابتهاج في احاديث المعراج لابي الخطاب بن دحية الكلبي، تحقيق رفعة فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي .
- (٣٧) الأحكام في أصول الإحكام لابن حزم، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط الأولى ١٤٠٠ هـ .
- (٣٨) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية المشبهة لابن قتيبة، تحقيق الكوثري، مكتبة القدسي، القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٤٩ هـ .
- (٣٩) الأدب المفرد للبخاري، الدار السلفية ١٣٧٥ هـ .
- (٤٠) الارشاد في عام الكلام للجويني، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩ هـ .
- (٤١) الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق الكوثري، مطبعة السعادة ١٣٥٨ هـ .
- (٤٢) الاعتصام، للشاطبي، تعريف محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٥ هـ .

- (٤٣) الاعتقاد للبيهقي ، صححه أحمد محمد مرسي ، حديث أكاديمي ، باكستان .
- (٤٤) الافصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ، المؤسسة السعيدية بالرياض .
- (٤٥) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ، ط كلية الالهيّات أنقرة .
- (٤٦) الانتصار والرد على ابن الرواندي الملحد لأبي الحسين الخياط ، دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ .
- (٤٧) الانتصار والرد على ابن الرواندي الملحد لابن الخياط ، تحقيق دنيرج ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٨م .
- (٤٨) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحبلي ، مكتبة المحتسب الاردن ١٩٨٣م .
- (٤٩) الإيمان لأبي يعلى ، تحقيق سعود الخلف ، دار العاصمة ، ١٤١٠هـ .
- (٥٠) الإيمان لابن أبي شيبة ، حققه ناصر الدين الألباني ، دار الارقم الكويت .
- (٥١) الإيمان لابن منده ، تحقيق عني بن أحمد الفقيهي ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية ١٤٠٦هـ .
- (٥٢) الإيمان لابي عبيد القاسم بن سلام ، حققه ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية ١٤٠٣هـ .
- (٥٣) البحر الزخار المعروف بمسند البزار ، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ومكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط الأولى ١٤٠٩هـ .
- (٥٤) البداية والنهاية ، لابن كثير ، دار الريان ، ط ١ / ١٤٠٨هـ .
- (٥٥) البدع والنهي عنها ، لابن وضاح القريبي ، طر الرائد ، بيروت ، ط ٢ / ١٤٠٢هـ .
- (٥٦) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ط الأولى ١٤٠٤هـ .
- (٥٧) البدور السافرة في علوم الآخرة للسيوطي ، تحقيق مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن .
- (٥٨) البرهان في أصول الفقه لأبي حامد الاسفرايني ، تحقيق عبد العظيم الديب ، دار الوفاء ، ط الثالثة ١٤١٢هـ .

- (٥٩) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان الفضل السكسكي، تحقيق د. بسام العموش، مكتبة المنار، ط الأولى ١٤٠٨ هـ.
- (٦٠) التاج المكلل في جواهر ومآثر الطراز الأول لصديق بن حسن خان، طبع شرف الدين الكتبي، المطبعة الهندية بمباي ط الثانية ١٣٨٣ هـ.
- (٦١) التبصرة في أصول الفقه لأبي اسحاق الشيرازي، تحقيق محمد حسن هيتو ١٤٠٠ هـ.
- (٦٢) التبصرة في أصول الدين لأبي الفرج الشيرازي، رسالة ماجستير في كلية أصول الدين بالرياض تحقيق إبراهيم الدوسري.
- (٦٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر الاسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- (٦٤) التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد السعوي، ط الأولى ١٤٠٥ هـ.
- (٦٥) التذكري في علوم الآخرة للقرطبي، مكتبة المجلد العربي.
- (٦٦) التسعينية لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى الكبرى، طبعة دار الريان، ط الأولى ١٤٠٨ هـ.
- (٦٧) التعريفات للجرجاني، مكتبة لبنان، طبعة جديدة ١٩٨٥ م.
- (٦٨) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للرازي، المطبعة البهية - القاهرة.
- (٦٩) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأساندي لابن عبد البر، حققه مجموعة من علماء المغرب، الناشر وزارة الأوقاف المغربية ١٣٨٧ هـ.
- (٧٠) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطبي، قدم له وعلق عليه محمد زاهد الكوثري.
- (٧١) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز الرشيد، مطبعة الإمام مصر.
- (٧٢) التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، ت: كلود سلامة.
- (٧٣) التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط / جامعة الإمام.
- (٧٤) التوحيد، لمحمد بن علي القمي، صححه وعلق عليه هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة بيروت.

- (٧٥) التوحيد لابن منده، تحقيق علي الفقيهى، مكتبة الغرباء الأثرية، ط الثانية ١٤١٤هـ .
- (٧٦) التوحيد لابي رشيد النيسابوري، تحقيق محمد أبو ريده، طبع وزارة الثقافة المصرية، ١٩٦٩م.
- (٧٧) التوحيد وأثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة د. عبد العزيز الشهوان، دار الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ .
- (٧٨) الجامع الصحيح للترمذي، تحقيق أحمد شاكر وغيره، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية ١٣٩٨هـ .
- (٧٩) الجامع الصحيح لمسلم، ترفيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة .
- (٨٠) الجامع الصغير للسيوطي، مع شرحه فيض القدير للمناوي، دار المعرفة ببيروت .
- (٨١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- (٨٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم إبراهيم، طبعة دار الكتب العلمية .
- (٨٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لإسماعيل الأصبهاني، تحقيق محمد بن ربيع المدخلي، ومحمد أبو رحيم، دار الراية، الرياض، ط الأولى ١٤١١هـ .
- (٨٤) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى عمان، ط ٢، ١٤٠٦هـ .
- (٨٥) الخطط المقرزية، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقرئزي، دار صادر بيروت .
- (٨٦) الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي، تحقيق جعفر الحسني، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٠هـ .
- (٨٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار المعرفة .
- (٨٨) الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق، د. عبد الرحمن العثيمين الناشر مكتبة التوبة، مطبعة المدني ١٤١٢هـ .
- (٨٩) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب، دار المعرفة ببيروت .

- (٩٠) الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية .
- (٩١) الرد على المنطقين لابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ط الثانية ١٣٨٣هـ .
- (٩٢) الروح لابن قيم الجوزية، مطبعة دار المعارف العثمانية الهند، ط الرابعة ١٣٨٣هـ .
- (٩٣) الروض المربع شرح زاد المستنقع للبهوتي، مع حاشية ابن قاسم، ط الثانية ١٤٠٥هـ .
- (٩٤) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، لأبي عذبة، ت: د/ عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ط ١/١٤٠٩هـ .
- (٩٥) الروضة من الكافي للكليني، نشر محمد الاخوندي، طهران، ط الثانية ١٣٨٩هـ .
- (٩٦) السنة لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤٠٠هـ .
- (٩٧) السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الألباني، المكتب الاسلامي، ط الأولى ١٤٠٠هـ .
- (٩٨) السنة للإمام أحمد بن حنبل، ضمن مجموع من كتاب الرد على الجهمية، مطبعة عيسى الحلبي، مصر .
- (٩٩) السنة للخلال، تحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ .
- (١٠٠) السنة لمحمد بن نصر المروزي، دار الثقافة الإسلامية .
- (١٠١) السنن الصغرى للنسائي، اعتنى به ورقمه وصنع فهرسه عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط الثانية المفهرسة ١٤٠٩هـ .
- (١٠٢) السنن الكبرى للبيهقي، دار الفكر .
- (١٠٣) السنن الكبرى للنسائي، تحقيق د. عبد الغفار البنداري وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ .
- (١٠٤) الشامل في أصول الدين، لأبي المعالي الجويني، دار المعارف بالأسكندرية .
- (١٠٥) الشريعة للآجري ت: الوليد بن محمد سيف النصر، مؤسسة قرطبة، ط ١/١٤١٧هـ .
- (١٠٦) الشريعة للآجري ت: عمر الدميحي، دار الوطن، ط الأولى ١٤١٧هـ .
- (١٠٧) الشريعة للآجري ت: محمد حامد الفقي، الناشر حديث أكاديمي، باكستان .
- (١٠٨) الشفاء للقاضي عياض، دار الفكر .

- (١٠٩) الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول، تحقيق عصام الحريستاني، المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- (١١٠) الصواعق المرسله الشهابية، لسليمان بن سحمان، ت: عبد السلام آل عبد الكريم، دار العاصمة ط ١٤٠٨/١هـ.
- (١١١) العبر في خبر من غير، للذهبي، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية.
- (١١٢) العقيدة النظامية للجويني، تحقيق الكوثري، مطبعة الأنوار ١٣٦٧هـ.
- (١١٣) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، باكستان، ط الثانية ١٤٠١هـ.
- (١١٤) العلو للذهبي، تحقيق أشرف عبد المقصود، طبعة أضواء السلف ١٤١٦هـ.
- (١١٥) العلو للذهبي، تعليق عبد الرزاق عفيفي، طبعة أضواء السلف ١٤١٦هـ.
- (١١٦) الغنية لطالبي طريق الحق لعبد القادر الجيلاني، مصطفى البابي الحلبي، ط ١٣٧٥٣.
- (١١٧) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي، البابي الحلبي القاهرة، ط الثانية ١٣٩٠هـ.
- (١١٨) الفرق بين الفرق، للبغدادى، حقق أصوله وفصله وضبط مشكله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة.
- (١١٩) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى، ت: محمد زاهد الكوثري، مكتبة الثقافة الإسلامية، ١٤٦٧هـ.
- (١٢٠) الفصل في اللم والأهواء والنحل، دار المعرفة.
- (١٢١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار عكاظ ١٤٠٢هـ.
- (١٢٢) الفقيه والمتفقه للبغدادى، تحقيق اسماعيل الأنصاري، طبعة دار الافتاء السعودية ١٣٨٩هـ.
- (١٢٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٣٩٢هـ.

- (١٢٤) القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى ، للشيخ محمد بن عثيمين ، دار طيبة الرياض .
- (١٢٥) الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ / ١٤٠٣ .
- (١٢٦) الكامل في ضعفاء الرجال ، لابن عدي ، ت : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، ط ٣ / ١٤٠٩ هـ .
- (١٢٧) الكتاب ، لسيبويه ، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .
- (١٢٨) الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري ، دار المعرفة .
- (١٢٩) الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية ، لمرعي بن يوسف الحنبلي .
- (١٣٠) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ، دار المعرفة لبنان بيروت .
- (١٣١) المحصول في علم الأصول ، للرازي ت : طه العلواني ، مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ / ١٤١٢ هـ .
- (١٣٢) المحيط بالتكليف ، للقاضي عبد الجبار ، ت / عمر عزمي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والترجمة .
- (١٣٣) المسامرة للكمال بن أبي شريف ، مع شرحها المسائرة لابن الهمام مع حاشية قاسم الحنفي ط ١٣١٧ هـ ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق .
- (١٣٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، دار الكتاب العربي .
- (١٣٥) المسودة في أصول الفقه ، لآل تيمية ، جمعها وبيضاها : أبو العباس أحمد بن محمد الحراني ، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ١٣٨٤ هـ .
- (١٣٦) المصباح المنير للفيومي ، مكتبة لبنان .
- (١٣٧) المصنف في الأحاديث والآثار لابن أب شيبة ، حققه وصححه عامر العمري الأعظمي ، الدار السلفية .
- (١٣٨) المصنف لعبد الرزاق ، تحقيق وتخرىج وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية ١٤٠٣ هـ .

- (١٣٩) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.
- (١٤٠) المعارف، لابن قتيبة، ت: د: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط ١/١٤٠٦هـ.
- (١٤١) المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الحنبلي، تحقيق وديع حداد، در المشرق ببيروت المعجم الأوسط، للطبراني، ت: د/ محمود الطحان، مكتبة المعارف ط ١/١٤٠٥هـ.
- (١٤٢) المعجم الصغير للطبراني، صححه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، ط الثانية ١٤٠١هـ.
- (١٤٣) المعجم الكبير للطبراني، حقه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، ط الثانية.
- (١٤٤) المعجم الوسيط، أعد مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية استنبول.
- (١٤٥) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر، مطبعة دار الكتب المصرية، ط الأولى ١٣٨٠هـ.
- (١٤٦) المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقضاي عبد الجبار، حقه جماعة من الباحثين، المؤسسة المرية العامة للتأليف والترجمة.
- (١٤٧) المغني في الأسفار عن حمل الأسفار للعراقي، تحقيق اشرف عبد المقصود، دار طبرية، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- (١٤٨) المقصد الارشد في ذكر أصحاب الامام أحمد لابن مفلح، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- (١٤٩) الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ١٤٠٤هـ.
- (١٥٠) الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق فتح الله بدران، مطبعة الأزهر، ط الأولى.
- (١٥١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط ٢/١٤٠٣هـ.
- (١٥٢) المنتخب لعبد بن حميد، تحقيق مصطفى بن العدوي شلباية، الجزء الأول دار الأرقم ط الأولى ١٤٠٥هـ، والجزء الثاني والثالث، مكتبة ابن حجر ط الأولى ١٤٠٨هـ.

- (١٥٣) المتقى من أخبار المصطفى- صلى الله عليه وسلم - للمجد بن تيمية ، تصحيح محمد حامد الفقي ، ط / الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٣ هـ .
- (١٥٤) المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعلمي ، تحقيق شعيب الأنأؤوط وإبراهيم صالح ، دار صادر بيروت .
- (١٥٥) النية والأمل لابن المرتضي ، تحقيق عصام الدين علي ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٥ م .
- (١٥٦) المواقف في علم الكلام ، للإيجي ، عالم الكتب .
- (١٥٧) الموضوعات لابن الجوزي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المطبعة السلفية بالمدينة المنورة .
- (١٥٨) الموطأ للإمام مالك ، صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه .
- (١٥٩) النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المطبعة المنيرية .
- (١٦٠) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، ت : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية .
- (١٦١) الوافي بالوفيات ، للصفدي ، باعتناء هلموت ريتز ، دار النشر فرانز شتايز ستوتغارت ١٤١١ هـ .
- (١٦٢) الورقات في أصول الفقه لجويني ، مكتبة محمد علي صبيح ، بميدان الأزهر .
- (١٦٣) الوصية الكبرى لابن تيمية ، تحيق محمد النمر وعثمان ضميرية ، دار الفاروق الطائف ، ط الثانية ١٤١٠ هـ .
- (١٦٤) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة ، تحقيق وهبي غاوجي ، دار السلام القاهرة ، ط الأولى ١٤١٠ هـ .
- (١٦٥) بحار الأنوار لمحمد بن باقر المجلسي ، طبعة المكتبة الإسلامية ، طهران ، ط الأولى .
- (١٦٦) بدائع الفوائد ، لابن القيم ، مطبعة الفجالة الجديدة ، ط ٢ / ١٣٩٢ هـ .

- (١٦٧) بيان تلبي الجهمية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت : محمد القاسم ، مطابع احكومة بالمملكة العربية السعودية .
- (١٦٨) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، صححه محمد زهدي النجار ، مكتبة الطليات الحكومة بالمملكة العربية السعودية .
- (١٦٩) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، دار إحياء التراث العربي .
- (١٧٠) تاريخ الرسل والملوك للطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف .
- (١٧١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية .
- (١٧٢) تاريخ دمشق لابن القلانسي ، تحقيق سهيل زكار ، دار حسان دمشق ، ط الأولى ١٤٠٣ هـ .
- (١٧٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ، للبيجوري ، دار الكتب العلمية ، ط ١٤٠٣/١ هـ .
- (١٧٤) تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، دار إحياء التراث العربي ببيروت .
- (١٧٥) ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزواوي ، الدار العربية للكتاب ، ط الثانية ١٩٨٠ م .
- (١٧٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، دار الشعب بالقاهرة .
- (١٧٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، مكتبة القاهرة .
- (١٧٨) تقريب التهذيب ، لابن حجر ، ت : محمد عوامة ، دار الرشيد بسوريا ، ط ١٤٠٨/٢ هـ .
- (١٧٩) تلبس إبليس ، لابن الجوزي ، دار الكتب اللمية ببيروت ، ط ١٤٠٣/١ هـ .
- (١٨٠) تلخيص المستدرك للذهبي ، مطبوع بهامش المستدرك .
- (١٨١) تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار أطلس للنشر والتوزيع بالرياض ، ١٤١٧ هـ .
- (١٨٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لأبي بكر الباقلاني ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ .
- (١٨٣) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ .

- (١٨٤) تترية الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٣٩٩ هـ.
- (١٨٥) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، طبعة مصورة عن مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند.
- (١٨٦) تهذيب الكمال للمزي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤٠٣ هـ.
- (١٨٧) تهذيب اللغة للأزهري، حققه وقدم له عبد اللام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار لمصرية للتأليف والترجمة.
- (١٨٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، دار الفكر ١٤٠٥ هـ.
- (١٨٩) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، مكتبة ابن تيمية.
- (١٩٠) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، دار الكتب الإسلامية، مصر، ط الثانية، ١٤٠٢ هـ.
- (١٩١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، تعليق / محمود ربيع، مكتبة الأزهري، ط ٢ / ١٣٥٧ هـ.
- (١٩٢) حاشية لوامع الأنوار البهية، لعبد الله البابطين وسليمان بن سحمان، مكتبة الخافقين ١٩٣. حركات الغلو والتطرف في الإسلام، د. أحمد الشاذلي، الدار المصرية للكتاب والنشر.
- (١٩٣) حركة الغلو والتطرف في الإسلام، د. أحمد الشاذلي، الدار المصرية للكتاب والنشر.
- (١٩٤) حركة الحشاشين تاريخ وعقائد، محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا بمصر.
- (١٩٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، ط ٤ ١٤٠٥ هـ.
- (١٩٦) حياة الحيوان الكبرى، للدميري، دار الاستقامة بالقاهرة، والمكتبة التجارية، ١٣٧٤ هـ.

- (١٩٧) خبيئة الأكوام في افتراق الأمم على المذاهب والأديان لصديق خان، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٥ هـ.
- (١٩٨) خلق أفعال العباد للبخاري، ط دار الرسالة.
- (١٩٩) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية.
- (٢٠٠) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي، مطبوع بآخر أضواء البيان.
- (٢٠١) دليل الطالب لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، المكتبة الفصائلية مكة المكرمة ١٤١٠ هـ.
- (٢٠٢) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، دار الطتب العلمية، ط ١٤٠٦/٣ هـ.
- (٢٠٣) ديوان عنتره، ضبط شكله وطبعه أمين الخوري، المطبعة الأدبية.
- (٢٠٤) ذم الدنيا، لابن ابي الدنيا، ت: د. نجم عبد الرحمن الخلف، دار الراية بالرياض، ط ١٤٠٩/١ هـ.
- (٢٠٥) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، صححه محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر ١٣٧٢ هـ.
- (٢٠٦) رد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية.
- (٢٠٧) رسائل العدل والتوحيد، للحسن البصري، والقاضي عبد الجبار، والقاسم الرسي، والشريف الرضي، ت: د. محمد عمارة، دار الشروق ١٤٠٧ هـ.
- (٢٠٨) رسالة السجزي إلى أهل زبيد، تحقيق محمد باكريم باعبد الله، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية.
- (٢٠٩) روح المعاني للألوسي، دار إحياء التراث، لبنان، بيروت.
- (٢١٠) روضة الناظر مع شرحها لابن بدران، دار الكتب العلمية.

- (٢١١) روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة، راجعه سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي ط ١/١٤٠١ هـ.
- (٢١٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ومكتبة المنارة الإسلامية ط ٣/١٤٠٢ هـ.
- (٢١٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- (٢١٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية الأردن ومكتبة المعارف الرياض، ط الثالثة ١٤٠٦ هـ.
- (٢١٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية الأردن ومكتبة المعارف الرياض، ط الثالثة ١٤٠٦ هـ.
- (٢١٦) سنن أبي داود، ت: محمد محي الدين عبد، دار الفكر.
- (٢١٧) سنن ابن ماجه، حق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار الحديث.
- (٢١٨) سنن الدراقطني، عني به السيد عبد الله هاشم المدني، دار المحاسن، القاهرة.
- (٢١٩) سنن الدارمي، ت: محمد فواز زمرلي، دار الفكر.
- (٢٢٠) سير أعلام النبلاء للذهبي، أشرف على التحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٢ هـ.
- (٢٢١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار المسيرة بيروت، ط ٢/١٣٩٩ هـ.
- (٢٢٢) شرح الأصبهانية لابن تيمية، تحقيق حسنين مخلوف، دار الرشد.
- (٢٢٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم للالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة.
- (٢٢٤) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط الثانية ١٤٠٨ هـ.

- (٢٢٥) شرح السُّنة للبرهاري، تحقيق د. سعيد القحطاني، دار ابن القيم، ط الأولى ١٤٠٨ هـ.
- (٢٢٦) شرح السُّنة للبعوي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٣ هـ.
- (٢٢٧) شرح العقائد النسفية، للتفتازاني، طبع / محمود أفندي الكتبي بمصر ط ١/١٣٣١ هـ.
- (٢٢٨) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ت: د/ عبد الله التركي ورفيقه، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١/١٤٠٨ هـ.
- (٢٢٩) شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح الفوزان، مكتبة المعارف، ط السادسة ١٤١٣ هـ.
- (٢٣٠) شرح الكوكب المنير، لابن النجار، ت: د. محمد الزحيلي ود. نزية حماد، جامعة أم القرى، ط ١/١٤٠٨ هـ.
- (٢٣١) شرح اللمع، للشيرازي، ت: د/ عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط ١/١٤٠٨ هـ.
- (٢٣٢) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم. د دار الريان.
- (٢٣٣) شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد للسفارينى، المكتب الإسلامي، ط الرابعة ١٤١٠ هـ.
- (٢٣٤) شرح حديث النزول لابن تيمية، المكتب الإسلامي.
- (٢٣٥) شرح صحيح مسلم، للنووي، دار الفكر بيروت.
- (٢٣٦) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، المطبعة الحسينية بالقاهرة، ط ١/١٣٢٣ هـ.
- (٢٣٧) شكاية أهل السُّنة للقشيري، ضمن طبقات الشافعية، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية.
- (٢٣٨) صحيح ابن خزيمة، حققه محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٣٩٥ هـ.
- (٢٣٩) صريح السُّنة لابن جرير الطبري، تحقيق بدر المعنوق، دار الخلفاء، ط. الأولى ١٤٠٥ هـ.

- (٢٤٠) طبقات الخنابلة لابن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ.
- (٢٤١) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، دار المعرفة ط الثانية.
- (٢٤٢) طبقات المفسرين للداودي، تحقيق علي محمد عمر، الناشر مكتبة وهبة مطبعة الاستقلال الكبرى، ط الأولى ١٣٩٢هـ.
- (٢٤٣) عقائد السلف جمع النشار والطالبي، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية.
- (٢٤٤) عقيد الحافظ عبد الغني المقدسي، تحقيق محمد البصري، نشر دار الافتاء السعودية.
- (٢٤٥) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، لعمود التويجري، دار اللواء بالرياض، ط ١٤٠٩/٢هـ.
- (٢٤٦) عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني، تحقيق د. ناصر الجديع، دار العاصمة ط ١٤٠٩/١هـ.
- (٢٤٧) غاية المرام في علم الكلام للآمدي، تحقيق حسن عبد اللطيف، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة.
- (٢٤٨) غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام، دار الكتاب العربي.
- (٢٤٩) غريب الحديث، لابن قتيبة، ت: د/ عبد الله الجبوري، وزارة الأوقاف العراقية ط ١٣٨٧/١هـ.
- (٢٥٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً عبد العزيز ابن عبد الله بن باز، قام باخراجه وتحقيقه محب الدين الخطيب، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، ط الثانية ١٤٠٧هـ.
- (٢٥١) فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الريان.
- (٢٥٢) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة لابي القاسم البلخي والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية ١٣٩٣هـ.
- (٢٥٣) قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وولاية الأمور، تحقيق عبد الرزاق البدر، طبعة الجامعة الإسلامية.

- (٢٥٤) كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٤ هـ.
- (٢٥٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنى ببغداد.
- (٢٥٦) لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، لأبي الحجاج المكلاتي، ت: د/ فوقية حسين محمود، دار الأنصار ط ١٩٧٧ م.
- (٢٥٧) لسن العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- (٢٥٨) لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة، للزبيدي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٥ هـ.
- (٢٥٩) لقط المرجان في أحكام الجان للسيوطي، دار الكتب العلمية.
- (٢٦٠) لمع الأدلة في قواعد أهل السنة، لأبي المعالي الجويني، ت: د/ فوقية حسين محمود، عالم الكتب، ط ١٤٠٧/٢ هـ.
- (٢٦١) لمعة الاعتقاد لابن قدامة، ضمن مجموع، تحقيق بدر البدر، دار ابن الاثير، الكويت، ط الثانية ١٤١٦ هـ.
- (٢٦٢) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، المكتب الإسلامي ببيروت ومكتبة اسامة بالرياض، ط ١٤٠٥/٣ هـ.
- (٢٦٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرر المضية في عقيدة الفرق المراضية للسفاريني، مؤسسة الخافقين، ط الثانية ١٤٠٢ هـ.
- (٢٦٤) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار، دار التراث.
- (٢٦٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، دار الكتاب العربي، ط ١٤٠٢/٣ هـ.
- (٢٦٦) مجمل اللغة لابن فارس، تحقيق زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٦ هـ.
- (٢٦٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم وساعده ابنه محمد، الرئاسة العام لشؤون الحرمين.
- (٢٦٨) مجموعة التوحيد، تحقيق بشير عون، الناشر دار البيان مكتبة المؤيد ١٤٠٧ هـ.
- (٢٦٩) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- (٢٧٠) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، دار الباز للنشر والتوزيع .
- (٢٧١) مختار الصحاح للرازي، المكتبة العصرية، بيروت ط الثانية ١٤١٧هـ .
- (٢٧٢) مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطة، لابن القيم، اختصار محمد الموصلي، دار الكتب العلمية .
- (٢٧٣) مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي، اختصره وحققه وعلق عليه الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي ط الأولى ١٤٠١هـ .
- (٢٧٤) مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ١٤٠٩هـ .
- (٢٧٥) مسائل الإمام أحمد لابي داود، دار المعرفة، بيروت .
- (٢٧٦) مسائل عبد الله بن الإمام أحمد، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤٠٠هـ .
- (٢٧٧) مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة .
- (٢٧٨) مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ .
- (٢٧٩) مسند أحمد بن حنبل، ط: دار التراث .
- (٢٨٠) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك، عالم الكتب، ط الثانية ١٤٠٥هـ .
- (٢٨١) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه للبوصيري، تحقيق موس محمد علي، دار الكتب الحديثه .
- (٢٨٢) معالم أصول الدين للرازي، دار الفكر اللبناني .
- (٢٨٣) معالم التنزيل للبغوي، إعداد وتحقيق خالد العلك ومروان سوار، دار المعرفة، ط الأولى ١٠٦هـ .
- (٢٨٤) معجم البلدان لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٩هـ .
- (٢٨٥) معجم المؤلفين لعمر رضى كحالة، طبعة مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي .
- (٢٨٦) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩ .

- (٢٨٧) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لابي الحسن الاشعري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثانية ١٣٨٩هـ .
- (٢٨٨) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، تحقيق د. عبد الله التركي، مكتبة الخانجي، ط الأولى ١٣٩٩هـ .
- (٢٨٩) منتهى السؤل في علم الأصول للآمدي مطبعة محمد علي صبيح .
- (٢٩٠) منهاج السلامة في ميزان القيامة لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق مشعل المطيري، دار ابن حزم، ط الأولى .
- (٢٩١) منهاج السنة النبوي لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى ١٤٠٦هـ .
- (٢٩٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية .
- (٢٩٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة .
- (٢٩٤) نجاه السلف في اعتقاد السلف لأبي قائد الحنبلي، دار الصحوة ١٤٠٥هـ .
- (٢٩٥) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ .
- (٢٩٦) نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، حرره وصححه: الفرد جيوم، مكتبة المثني بالقاهرة .
- (٢٩٧) نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، للإسنوي، دار الكتب العلمية، ط ٢/ ١٤٠٣هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول : ترجمة المؤلف .	١٣
الحالة السياسية .	١٣
الحالة العلمية .	١٥
الحالة الاجتماعية .	١٧
اسمه ونسبه ومولده .	٢٠
رحلاته وجهوده في نشر المذهب .	٢٣
عقيدته وعبادته وزهده .	٢٥
شيوخه .	٢٨
فقه المؤلف .	٣١
ذريته وتلاميذه .	٣٥
الفصل الثاني : منهج المؤلف في جزئه وتقويمه .	٤٣
وصف النسخ الخطية .	٤٤
توثيق نسبة الجزء للمؤلف .	٤٨
سبب تأليفه .	٥٠
منهج المؤلف في جزئه .	٥١
تقويم الجزء .	٥٣

- ٧٤ - ٦٣ الفصل الثالث : حكم امتحان الناس في عقائدهم .
- ٧٧٠ النص المحقق .
- ٧٩ مسألة : أول نعمة .
- ٨٣ مسألة : معرفة الله بالشرع أم بالعقل .
- ٨٩ مسألة : الخير والشر من العبد أم قضاء وقدر .
- ٩٩ مسألة : مسمى الإيمان .
- ١٠٥ مسألة : الاستثناء في الإيمان .
- ١١٣ مسألة : زيادة الإيمان ونقصانه .
- ١٢١ مسألة : كفر العبد بالمعصية .
- ١٢٧ مسألة : القرآن المسموع هل هو كلام الله ؟
- ١٤٣ مسألة : المقروء هل هو كلام الله ؟
- ١٤٩ مسألة : بما نزل جبريل ؟
- ١٥٢ مسألة : كلام الباري قديم أم محدث ؟
- ١٦٣ مسألة : كلام الله منه بدء وإليه يعود .
- ١٧٠ مسألة : هل التلاوة هي المتلو ؟
- ١٧٨ مسألة : ما في المصحف هل هي القرآن أم كتابته ؟
- ١٧٩ مسألة : ما في الصدور هل هو القرآن أو حفظه ؟
- ١٨٥ مسألة : الاستواء على العرش .
- ٢٠٣ - ١٩٣ مسألة : صفة الباري (اليد) .
- ٢١٥ مسألة : صفة الفوقية .
- ٢٢٦ مسألة : صفة الغضب والرضا .

- ٢٣١ مسألة: رؤية الباري في الآخرة .
- ٢٣٦ مسألة: حساب الكفار .
- ٢٤٢ مسألة: خلاف الصحابة .
- ٢٤٨ مسألة: الشفاعة لأهل الكبائر .
- ٢٥٣ مسألة: وقوع الصغائر من الأنبياء .
- ٢٥٨ مسألة: الملائكة أفضل أم صالحى البشر .
- ٢٦٤ مسألة: كفتا الميزان .
- ٢٦٩ مسألة: الإيمان بالعبث .
- ٢٧٥ مسألة: فتنة القبر .
- ٢٨٢ مسألة: بطلان نبوته صلى الله عليه وسلم بموته .
- ٢٨٨ مسألة: هل أراد الله المعصية من الخلق ؟
- ٢٩٥ مسألة: هل الباري يضل ويهدي ؟
- ٣٠١ مسألة: المقتول مات بأجله أم قطع القاتل أجله .
- ٣٠٦ مسألة: الغلاء والرخص من الله أم من الخلق ؟
- ٣١٢ مسألة: الإسراء والمعراج .
- ٣١٧ مسألة: الخوض .
- ٣٢٠ مسألة: سنة النبي صلى الله عليه وسلم هل هي وحي ؟
- ٣٢٦ مسألة: أسماء الله قديمة أم محدثة ؟
- ٣٤٥ مسألة: ذبح الموت .
- ٣٤٦ مسألة: الكرامات والمعجزات .
- ٣٥٤ مسألة: هل يقال يا قديم الإحسان .

- ٣٥٨ مسألة : المسح على الخفين .
- ٣٥٩ مسألة : فرض القدم الغسل أم المسح ؟
- ٣٦٤ مسألة : خلافة الصحابة .
- ٣٧٢ مسألة : العالم قديم أم محدث ؟
- ٣٧٨ مسألة : علم الله تعالى .
- ٣٨٤ مسألة : نظر الباري إلى المخلوقات .
- ٣٨٨ مسألة : سلوك الجن في بني آدم .
- ٣٩٨ مسألة : الإيمان قول واعتقاد وعمل .
- ٤٠٠ مسألة : الاغتسال من الجنابة .
- ٤٠٢ مسألة : خلق حروف المعجم .
- ٤٠٩ مسألة : صيغة أوامر الله ونواهيه .
- ٤١٥ مسألة : هل العقل مخلوق أو لا ؟
- ٤١٩ مسألة : هل العقل يحلل ويحرم ؟
- ٤٢٦ مسألة : صفات الذات هي معاني زائدة أو هي نفس الذات ؟
- ٤٣٥ مسألة : حد التكلم .
- ٤٤٢ مسألة : خلع الإمام بعد فسقه .
- ٤٤٧ مسألة : الأمر المطلق يقتضي الوجوب أو لا ؟
- ٤٥٢ مسألة : تقدير الرزق الحرام .
- ٤٥٩ مسألة : نزول الرب .
- ٤٦٦ مسألة : أصابع الرحمان .
- ٤٧٠ مسألة : صفة القبضة .

- ٤٧٤ مسألة : صفة القدم .
- ٤٧٩ مسألة : رؤية الرب .
- ٤٨٥ مسألة : إن الله خلق آدم على صورته .
- ٤٩١ مسألة : خلق الإيمان .
- ٤٩٥ مسألة هل للبهايم روح أو لا ؟
- ٤٩٨ مسألة : فناء الدنيا .
- ٥٠٢ مسألة : فناء الروح .
- ٥٠٦ مسألة : يزيد ومعاوية .
- ٥١٤ مسألة : إهداء ثواب القرآن للأموات .
- ٥٢١ مسألة : صوم رمضان بالرؤية أم بالحساب .
- ٥٢٧ مسألة : الله في السماء أم في كل مكان ؟
- ٥٣٢ مسألة : تألم العبد في قبره .
- ٥٣٦ مسألة : الأمر من غير إرادة .
- ٥٣٧ مسألة : حكم سب أبي بكر رضي الله عنه .
- ٥٤١ مسألة : الاسم هو المسمى أو غيره ؟
- ٥٤٢ مسألة : الجن موجودون أم لا ؟
- ٥٤٦ الخاتمة .
- ٥٤٨ فهرس المصادر والمراجع
- ٥٦٨ فهرس الموضوعات .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس